Copyright © King Saud University

٢١٢
ك. ز

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، الربع الثاني تأليف محمود بن عمر بن محمد ابن احمد الخوارزمي ، جار الله ، ابو القاسم (٤٦٧-٥٣٨ هـ). بخط سعد بن مسعود بن ابي محمد الحلواي ، ٦٣١ هـ.

٣٣٤٣

٣٢٤ ق ٢١ س ٣٠ × ١٩،٥ سم

نسخة قد يمة جيدة ، خطها جيد ، بها رطوبة مطبوع
الاعلام ٨ : ٥٥ ، كشف الظنون ٢ : ١٤٧٥

١- تفسير ، قرآن كريم وعلومه أ- الزمخشري ، محمود بن عمر ٥٣٨ هـ ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ د- تفسير الكشاف.

Copyright © King Saud University

الربع الثاني من الكشاف عن حقائق التنزيل

لجار الله العلامة استاذ الدنيا شيخ العرب والعجم
ابي القسم محمود بن عمر الزمخشري رضي الله عنه وعن اسلافه

صفة السعي بين الصفا والمروة

يبداء بالصفا ويختم بالمروة والشوط من الصفا الى المروة شوط ومن المروة الى الصفا شوط
وعن الطحاوي انه يبداء في كل شوط بالصفا ويختم بالصفا وهذا ليس بصحيح لانه يكون
اربعة عشر شوطا واتفق رواة نسك رسول الله عليه السلام عليه وسلم انه طاف بينهما
سبعا

نقل من شرح المجمع

مكتبة جامعة الرياض – قسم المخطوطات
اسم الكتاب الكشاف الرقم ٣٣٤٣
اسم المؤلف محمود بن عمر الزمخشري
تاريخ النسخ ٦٦٢ هـ
عدد الاوراق ٢٢٤ ق القياس
ملاحظات

وفي كتاب الكشاف سمع واسنادي الامام العلامة
قدوة المفسرين تاج المحدثين امام المعقول والمنقول
علم الزهاد صدر القراء حامل اهل الاتقان والمله
محمد الملة والدين محمد بن مسعود بن محمد السعد
المعري ...

Copyright © King Saud University

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من سألهم عن القرية الى واذ نتقنا وهي مائتان وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة
فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر
منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف
قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا
ينبسط له فآمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله
لتنذر به قلت بانزل اي انزل اليك لتنذر به او بالنهي لانه اذا لم
يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على
الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته
فان قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلث النصب باضمار
فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير
والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل
ان تنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه
الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك هاهنا ۞ اتبعوا
ما انزل اليكم من القران والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اوليا
اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة
الاوثان والاهوا والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم
وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة

١

محمد والله ما نزلت اية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها
وقرا مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغا ومن يبتغ غير الاسلام دينا
ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله
دين اوليائه قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره
وقرى تذكرون بحذف التا وبتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون
اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ۞ فجاءها اهلها
بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة
حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم
باسنا بائتين او قائلين فان قلت هل تقدر حذف المضاف الذي
هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر حذف
المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه
قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون فان قلت لا يقال جاءني
زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض
النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا
او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى الواو لان الذكر قد عاد
على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو
استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف
استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح
وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما
معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجي الباس
قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما

Copyright King Saud University

خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة
والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا
بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة ۞ فما كان دعواهم
ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه
وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم
الا قولهم هذا لانه لا يستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب
ويجوز فما كان دعاءهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم
وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما
كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز
العكس ۞ فلنسألن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور
وهو اليهم ومعناه فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسالهم عما اجابوا
به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ويسال
المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
۞ فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين
باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم ۞ وما كنا غائبين عنهم
وعما وجد منهم فان قلت واذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم
فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا
فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم ۞ والوزن يومئذ الحق
يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء
وخبره يومئذ والحق صفته او والوزن يوم يسال الله الامم ورسلهم
الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل

توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تاكيدا
للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترفون
بها بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد
عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها
في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل ۞
من ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة
التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن
وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات
ان يخف ۞ بما كانوا بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها ۞
مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها
واقدرناكم على التصرف فيها ۞ وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة
وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك
والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف ۞
ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور
ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ۞
من الساجدين ممن سجد لآدم ۞ لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم
فان قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي
يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك
ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود
اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت

لم ساله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولإظهار
معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه اصل آدم وانه
خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل
للمفضول خارج من الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا
لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت قد استانف قصة
اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله نار
واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد
ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة
كان مستبعدا ان يومر بما امر به فاهبط منها من السما التي هي مكان
المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين
من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك
من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك
كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه
لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع
الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله
الى الارض فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر
ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته
من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف
وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها
عباده فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه
اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه

وهصه كسره ورماه به الى الارض

ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف
على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم
حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت
الباء فان تعلقها بلاقعدن تصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد
لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم
بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي
فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف
من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به
ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل
من كبار الفقهاء يرمي بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام
فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال
رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم
على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على رسول الله
والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني
ثم ابتدا لاقعدن واثبات الالف اذا ادخل حرف الجر على ما الاستفهامية
قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم
فساد لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام
كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف
كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب
زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين

Copyright King Saud University

ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع
ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال
له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم
من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب وهذا مثل
لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز
من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فان قلت
كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتدا وعن ايمانهم وعن شمائلهم
بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو
تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت
في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها
فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى
شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى
عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير
ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في
تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن
القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها
للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في
لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض
الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما
من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي
وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم

كبد القوس مقبضها ومجرى السهم منها

فاقرا واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة
على مخلفيّ فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من
قبل يميني فياتيني من قبل الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين واما من
قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون
ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم
مذءوما من ذامه اذا ذمه وقرا الزهري مذوما بالتخفيف مثل
مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملان
جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب
ضمير المخاطب كما في قوله انتم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم
لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان
جهنم منكم اجمعين على ان لاملان في محل الابتدا ولمن تبعك خبره
ويا ادم وقلنا يا ادم وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل والياء والهاء
بدل منها ووسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه
وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع
الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح
ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة
ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه
ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رايا ما يؤثران ستره
وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة
من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا

Copyright © King Saud University

في المعقول فإن قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة
كما في أويصل قلت لأن الثانية مدة كألف وارى وقد جاء في قراءة
عبد الله أوري بالقلب إلا أن تكونا ملكين إلا كراهة أن تكونا ملكين
ومنه دليل على أن الملكية بالمنظر الأعلى وأن البشرية تلمح
مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى من
الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوتهما
بالتوحيد وسوّاتهما بالواو المشددة وقاسمهما وأقسم لهما إني
لكما لمن الناصحين فإن قلت المقاسمة أن تقسم لصاحبك
ويقسم لك تقول قاسمت فلانا أي حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله
تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كأنه قال لهما أقسم لكما إني لمن
الناصحين وقالا له أتقسم بالله إنك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة
بينهم أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها أو أخرج قسم
إبليس على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم
فدلاهما فنزلهما إلى الأكل من الشجرة بغرور بما غرهما به
من القسم بالله وعن قتادة وإنما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر أنه كان إذا
رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا
للعتق فقيل له إنهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما
ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الأكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة
وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما أي تهافت عنهما اللباس
فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر
وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير

تصغير واصل

كان لباسهما من جنس الأظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين
النظر وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ أبو السمال وطفقا
بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما
تخصف النعل بأن تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ
الحسن يخصّفان بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان وقرأ الزهري
يخصفان من أخصف وهو منقول من خصف أي يخصفان أنفسهما وقرئ
يخصّفان من خصّف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين ألم
أنهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا
ما حذرهما الله من عداوة إبليس وروي أنه قال لآدم ألم يكن فيما
منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما
ظننت أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك
إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدا فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر
بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسميا
ذنبهما وإن كان صغيرا مغفورا ظلما لأنفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين
على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم
العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وإبليس بعضكم
لبعض عدو في موضع الحال أي متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه
مستقر استقرار أو موضع استقرار ومتاع انتفاع بعيش
إلى حين إلى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما أهبط آدم وحضرته
الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي
ملائكة ربي فإنما أصابني الذي أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء

اي طائفة ... ولان افضل من ... بالنظر طرقة ...

وسد دبره وحنطه وكفنه في ثوب من الثياب وحفروا له ولحدوا
ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده
جعل ما في الأرض منه لأنه من السماء لأنه قضى ثم وكتب ومنه
وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وريشا لباس الزينة استعير من
ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا
يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لأن الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها
وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب
وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله
وارتفاعه على الابتداء وخبره إما الجملة التي هي ذلك خير كأنه قيل
ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى
عود الذكر وأما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ كأنه قيل
ولباس التقوى المشار إليه خير ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم
لباس التقوى وأن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوءة لأن
مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل
لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك
خير وفي قراءة عبد الله وأبي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس
التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في
الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك
من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني إنزال اللباس
لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة
على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق

عليها إظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة
من المهانة والفضيحة وإشعارا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى
لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما أخرج أبويكم
بأن أخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال أي أخرجهما نازعا
لباسهما بأن كان سببا في أن نزع عنهما إنه يراكم هو تعليل للنهي
وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم
من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه
لشديد المؤونة إلا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين
وفيه دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس وأن إظهارهم
أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور
ومخرقة إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون أي
خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما
سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول
فإن قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد
بهو والضمير في إنه ضمير الشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله
بالنصب وفيه وجهان أن يعطف على اسم إن وأن تكون الواو بمعنى
مع وإذا عطف على اسم إن وهو الضمير في إنه كان راجعا إلى إبليس
الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي إذا فعلوها
اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله
أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما تقليد
والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله وإلحاد في صفاته

ينزع حكاية حال ماضية لقوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت

كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا صلى الله عليه الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل واذا فعلوا فاحشة ﴿قل ان الله لا يامر بالفحشاء﴾ لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله ﴿اتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة ﴿قل امر ربي بالقسط﴾ بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد ﴿واقيموا وجوهكم﴾ وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها ﴿عند كل مسجد﴾ في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلاة ﴿وادعوه﴾ واعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا ﴿كما بدأكم تعودون﴾ كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة ﴿فريقا هدى﴾ وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان ﴿وفريقا حق عليهم الضلالة﴾ اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة ﴿انهم﴾ ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة ﴿اتخذوا الشياطين اولياء﴾ اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين ﴿من دون الله﴾ ﴿خذوا زينتكم﴾ اي ريشكم ولباس زينتكم ﴿عند كل مسجد﴾ كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يامرهم

بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة ﴿وكلوا﴾ كان بنو عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ﴿قل من حرم زينة الله﴾ من الثياب وكل ما يتجمل به ﴿والطيبات من الرزق﴾ المستلذات من الماكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء وكانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها لحمها وشحمها ولبنها ﴿قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا﴾ غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها ﴿خالصة يوم القيمة﴾ لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين امنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها

هو الواقدي صاحب المغازي

Copyright © King Saud University

خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله
ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وقرئ خالصةً
بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر ❁ الفواحش ما تفاحش
قبحه أي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج ، والإثم عام لكل
ذنب وقيل شرب الخمر ، والبغي الظلم والكبر أفرده بالذكر كما
قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم
لأنه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره ، وأن تقولوا على
الله وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ❁
ولكل أمة أجل وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم
عند الله كما نزل بالأمم ، وقرئ فإذا جاء آجالهم وقال ساعة لأنها
أقل الأوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة
يريد أقصر وقت وأقربه ❁ إما يأتينكم هي إن الشرطية ضمت إليها
ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة
فإن قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط
والجزاء والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ
تأتينكم بالتاء ❁ فمن أظلم فمن أشنع ظلما ممن يتقول على الله ما لم يقله
أو كذب ما قاله ، أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم
من الأرزاق والأعمار ، حتى إذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم
واستيفائهم له أي إلى وقت وفاتهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام
والكلام هنا الجملة الشرطية وهي إذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم
حال من الرسل أي متوفيهم والرسل ملك الموت وأعوانه ، وما

حتى

صح بإسكان الياء
لأنه جمع صحيح منصوب
وبإعلام الحركة النصب
يكون ساكنا

وقعت موصولة بمعنى أين الآلهة الذين تدعون ، ضلوا عنا غابوا
عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بأنهم لم يكونوا على شيء
فيما كانوا عليه وأنهم لم يجدوه في العاقبة ❁ قال ادخلوا أي يقول
الله تعالى يوم القيمة لأولئك الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افترى على
الله كذبا أو كذب بآياته وهم كفار العرب ، في أمم في موضع الحال أي
كائنين في جملة أمم وفي غمارهم مصاحبين لهم أي ادخلوا في النار
مع أمم ، قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم ، لعنت
أختها التي ضلت بالاقتداء بها ، حتى إذا اداركوا فيها أي تداركوا
بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار ، قالت أخراهم منزلة وهي الأتباع
والسفلة ، لأولاهم منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لأولاهم
لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم ، عذابا ضعفا مضاعفا
، لكل ضعف لأن كلا من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين
، ولكن لا تعلمون وقرئ بالتاء والياء ❁ فما كان لكم علينا من فضل عطفوا
هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أي فقد ثبت
أن لا فضل لكم علينا وأنا متساوون في استحقاق الضعف
، فذوقوا العذاب من قول القادة أو من قول الله لهم جميعا ❁ لا تفتح
لهم أبواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح ، إليه يصعد الكلم الطيب
كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وقيل إن الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن
لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد
أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة
ولا يغاثون ففتحنا أبواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء

ركوا

من الغيث أي لا ينزل
عليهم المطر

ولا تُفتَّح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات
وبالياء على ان الفعل لله عز وجل وقرا ابن عباس الجُمَّل بوزن القُمَّل وسعيد
بن جبير الجُمَل بوزن النُّغَر وقرئ الجُمْل بوزن القُفْل والجُمُل بوزن
النُّصُب والجَمْل بوزن الحَبْل ومعناها القَلْس الغليظ لانه حبال
جُمعت وجُعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله احسن تشبيها
من ان يشبهه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم
الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة
مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل
الماهر خِرِّيت للاهتداء به في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل
مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا
بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون
ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة
وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا
للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات
الثلاث وقرا عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام
والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك مثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب
وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان
كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش اغطية وقرئ غواشٌ
بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله لا نكلف نفسا
الا وسعها جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه

النغر طير كالعصافير حمر المناقير

اخرات وخروت جمع خرت وهو ثقب الابرة

الجزر جمع الجزور وهو الابل

وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو
الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرا الاعمش
لا تكلف نفس من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه
فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التوادّ والتعاطف
وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو
الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون
وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف
اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا
يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا
تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا
يتمالك ان يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة
تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث
او تكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة
اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة
ان قد وجدنا يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة
كالتي سبقت آنفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك
اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته
لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو
ملك يامره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار

Copyright © King Saud University

وقرئ أنّ لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الأعمش إنّ لعنة الله بكسر إنّ
على إرادة القول أو على إجراء أذّن مجرى قال فإن قلت هلا قيل
ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا
لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ما وعد الله
من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة
لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم
أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك ۞ وبينهما حجاب يعني بين الجنة
والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور
۞ وعلى الأعراف وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة
والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك
۞ رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم
المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في
دخول الجنة ۞ يعرفون كلا من زمر السعداء والأشقياء ۞ بسيماهم
بعلامتهم التي أعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك أو تعرفهم الملائكة
إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم ۞ وإذا
صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب
استعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم ۞ ونادوا رجالا
من رؤوس الكفرة يقولون لهم أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة
إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم
لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم
الجنة ۞ ادخلوا الجنة يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد

أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم
ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال وأن
التقدم والتأخر على حسبها وأن أحدا لا يسبق عند الله إلا بسبقه
في العمل ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال
السابقين ويحرصوا على إحراز قصبتهم وليتصوروا أن كل أحد يعرف
ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر
فيرتدع المسيء عن إساءته ويزيد المحسن في إحسانه وليعلم أن العصاة
يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملا وقوله وإذا صرفت أبصارهم
فيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا
وقرأ الأعمش وإذا قلبت أبصارهم وقرئ أدخلوا الجنة على البناء للمفعول
وقرأ عكرمة دخلوا الجنة فإن قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله
لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون قلت تأويله أدخلوا الجنة
أو دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فإن قلت
ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لأنه استئناف
كأن سائلا سأل عن حال أصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون
يعني حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها
لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز أن يكون له محل بأن
يقع صفة لرجال ۞ ما أغنى عنكم جمعكم المال أو كثرتكم واجتماعكم
وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون
من الكثرة ۞ أفيضوا علينا فيه دليل أن الجنة فوق النار أو مما
رزقكم الله من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة ويجوز أن يراد

Copyright © King Saud University

أو أفيضوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا
وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم كما يفعل المضطر
الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع
المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني أن تطعما الكرى
فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم
من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم كما فعلوا بلقائه فعل الناسين
فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به فصلناه على علم عالمين كيف نفصل
أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير
ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع
الكتب عالمين أنه أهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال من منصوب
فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه إلا تأويله إلا عاقبة أمره
وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد
قد جاءت رسل ربنا بالحق أي تبين وصح أنهم جاءوا بالحق أو نرد
جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كأنه قيل
هل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما
تقول هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل (ابتداءً)
يشفع لنا شافع أو نرد وقرأ ابن أبي إسحاق أو نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا
أو تكون أو بمعنى حتى أن أي يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب
نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل يغشي الليل النهار وقرئ يغشي بالتشديد
أي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة
حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أي يدركه

لأن قراءة دلت على أن اللاحق هو النهار

ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد بأمره بمشيئته وتصريفه
وهو متعلق بمسخرات أي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما
يريد أن يصرفها سمى ذلك أمرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك وقرئ
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات
بأمره قال ألا له الخلق والأمر أي هو الذي خلق الأشياء وهو الذي صرفها
على حسب إرادته تضرعا وخفية نصب على الحال أي ذوي تضرع وخفية
وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل أي تذللا
وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن رحمه الله إن الله يعلم القلب التقي والدعاء
الخفي إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وإن كان الرجل
لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلي
الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعر به ولقد أدركنا أقواما ما
كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية
أبدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا
همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وقد أثنى على زكريا فقال إذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة
السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا إنه لا يحب المعتدين أي
المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع
الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو
الإسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه سيكون قوم يعتدون في الدعاء
وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول
وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين

حاشية عن ابن عباس ... فقرأ ألا له الخلق وقال بالغالب ادعى أن لله فليقم والخلق جميع ما خلق والأمر جميع ... فقضى ولم يدع ... كلمات أن يجمع ...

ان رحمت الله قريب من المحسنين كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا
وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف
اى شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول كما شبه ذاك به
فقيل قتلا واسرا او على انه بزنة المصدر الذى هو النقيض والضغيب
او لان تانيث الرحمة غير حقيقي ۞ وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه
اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال
بمعنى منتشرات ونُشُرا جمع نشور ونشْرا تخفيف نُشُر كرُسْل ورُسُل
وقرا [illegible] ونَشَرا بمعنى منشورات فعَل بمعنى مفعول كالنفض والخبط
ومنه قولهم ضمّ نشره وبُشُرا جمع بشير وبُشْرا بتخفيفه وبَشْرا بفتح الباء
مصدر بشره بمعنى بشّره اى باشرات وبشرى ۞ بين يدى رحمته
امام نعمته وهي الغيث الذى هو من اجل النعم واحسنها اثرا ۞ اقلت
حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق
يرى ما يرفعه قليلا ۞ سحابا ثقالا بالماء جمع سحابة ۞ سقناه
الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانّث كما لو حمل
الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا ۞ لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا
ولسقيه وقرئ ميّت ۞ فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق
وكذلك فاخرجنا به ۞ كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات ۞
نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين
اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه ۞ البلد الطيب
الارض الكريمة التربة ۞ والذى خبث كالارض السبخة
التى لا تنبت ما ينتفع به ۞ باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال

سحائب ثقال اصح

كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا ۞
والنكد الذى لا خير فيه وقرئ يُخرِج نباته اى يخرجه البلد وينبته
وقوله والذى خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا
يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف والذى هو النبات واقيم المضاف
اليه مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا
لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذى خبث وقرئ نكَدا بفتح
الكاف على المصدر اى ذا نكد ونكْدا باسكانها للتخفيف كقوله
نزْه عن الريب بمعنى نزِه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ
والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد
آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله
فعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت
والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله
بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد ۞ كذلك مثل
ذلك التصريف ۞ نصرف الايات نرددها ونكررها ۞ لقوم يشكرون
نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرّف
بالياء اى يصرفها الله ۞ لقد ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت
ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله
حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا قلت انما كان ذلك لان
الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التى هى جوابها
فكانت مظنة لمعنى التوقع الذى هو معنى قد عند استماع المخاطب
كلمة القسم ۞ قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح

Copyright © King Saud University

بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي صلى الله عليه
وقرى غيره بالحركات الثلث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره
والجر على اللفظ والنصب على الاستثنا بمعنى ما لكم من اله الا اياه
كقولك ما في الدار من احد الا زيدًا او غير زيد فان قلت ما موقع الجملتين
بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعباده
والثانيه بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا
يعبدونه من دون الله والبوم العظيم يوم القيمه او يوم نزول
العذاب عليهم وهو الطوفان هـ الملا الاشراف والسادة وقيل
الرجال ليس معهم نسا في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق
ومعنى الروية روية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلاله ولم
يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت
ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شي من الضلال كما لو قيل لك
الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول
استدراكا للانتفاء عن الضلاله قلت كونه رسولا من الله
مبلغا رسالاته ناصحًا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك
ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلاله وقرى ابلغكم بالتخفيف
فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان
يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة
لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغايب
قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان معناه
كما قال انا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي

في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي
والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته
اليه والى الانبيا قبله من صحف جده ادريس وهي ثلثون صحيفة ومن صحف
شيث وهي خمسون صحيفه وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زياده
اللام مبالغه ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح
له مقصودًا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد
النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله واعلم من الله
ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة
بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا
بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي
الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشيا لا علم لكم بها قد اوحي
الي بها هـ او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف
كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاكم من ان جاكم ذكر موعظة من ربكم على رجل
منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم
كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في اباينا الاولين
يعنون ارسال البشر ولو شا ربنا لانزل ملئكة لينذركم ولتتقوا
ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار
ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم هـ والذين معه
قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث
وستة ممن امن به فان قلت في الفلك بم تعلق قلت هو متعلق
بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك

Copyright King Saud University

ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان
عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي
والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على حادث ونحوه قوله
ضائق به صدرك أخاهم واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد
منهم وإنما جعل واحدا منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله
في صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح
وأخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فإن قلت لم
حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت
هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله
وكذلك قال الملأ فإن قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ
من قوم نوح قلت كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن
سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم
يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا
بلقاء الآخرة ويجوز أن يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة
في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت
السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها
وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم
به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم
مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم
وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء
وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم ناصح أمين

عمي

أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم أو أنا لكم
ناصح فيما أدعوكم إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه خلفاء
من بعد قوم نوح أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا في الأرض قد
استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من أجرامكم ذهابا
في الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع
فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه
وواحد الآلاء إلى ونحوه إنى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب
فإن قلت إذ في قوله إذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول
به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم أجئتنا لنعبد الله وحده
أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء
في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه وإلفا لما صادفوا
آباءهم يتدينون به فإن قلت ما معنى المجيء في قوله أجئتنا قلت
فيه أوجه أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه
كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه
يدعوهم وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل
إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وأن لا يريدوا
حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني
ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده
وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب
قد وقع عليكم أي حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم جعل المتوقع
الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب
قد كان ذلك

قوله فيما خلق من أجرامكم تفسير لقوله في الخلق وقوله ذهابا في الطول والبدانة تفسير لقوله بسطة

أي لكن أرادوا التعرض

وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له
يا بني ما لك فقال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره
وقال يا بني قد قلت الشعر ٭ والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
٭ في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم
تسمونها الهة ومعنى الالاهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله
ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا ٭
وقطعنا دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن اخرهم وقصتهم ان عادا
قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها
صدا وصمود والهبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم
وافضلهم حسبا فكذبوا وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر
ثلث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله
الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك
العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر
فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز
ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معوية بن بكر
وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله
واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
قينتان كانتا لمعوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا
له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهولاء على ما هم عليه
وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر
ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما

اي لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وتحيطهم

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد
ابطاتم عليه فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد
بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم
الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا
يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا
مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله
سحابات ثلثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السما يا قيل
اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السودا فانها اكثرهن ماء فخرجت
على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا
عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود
والمومنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا **فان قلت**
ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مومنين مع اثبات التكذيب
بايات الله **قلت** هو تعريض بمن امن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا
مع هود عليه السلم كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا
مثل من امن منهم ليوذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المومنين
٭ قرئ الى ثمود بمنع الصرف بتاويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتاويل
الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم
بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل
وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى ٭ قد جاءتكم

بينة آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكأنه قيل ما هذه البينة
فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها
ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير إليها آية
ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود لأنهم
عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه
قال لكم خصوصا وإنما أضيفت إلى اسم الله تعظيما لها وتفخيما
لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته
كما تقول آية الله وروي أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها
وخلفوهم في الأرض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى أن الرجل كان
يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا
في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا
الأوثان فبعث الله إليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم
نسبا فدعاهم إلى الله فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم
وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا
في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب
لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم
ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم
جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها
الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة
التي شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح
عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم

فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت
عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله
وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع
ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا فمكثت
الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فإذا
كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم
تتفحج فيحتلبون ما شاءوا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون قال
أبو موسى الأشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته
ستين ذراعا وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي
فيهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت
ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت
عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت
به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها
وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا
وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب
فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم
صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم
محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب
فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض
فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر
وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا

أي ترد الماء في كل يومين مرة

التفحج مثل التفشج وهو أن يفرج بين رجليه إذا جلس

Copyright © King Saud University

تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الاذى اكراما لاية الله ويروى ان رسول الله صلى الله عليه حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هولاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرا ابو جعفر في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى اكلة وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر وقرا الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله. ينباع من ذفرى اسيل حرة

فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن امن منهم بدل من للذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى

قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من امن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المومنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مومنين وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مومنون جوابا عنه قلت سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به مما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مومنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي امنتم به كافرون فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المومنون معلوما واخذوه مسلما فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلم من قوله فذروها تاكل في ارض الله او شان ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري ائتنا بما تعدنا اراد وامن العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به

كقوله تعالى فازلهما الشيطان عنها اي عن الشجرة

Copyright King Saud University

ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة
الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم
او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم
اي قعود لا حراك بهم ولا يتنبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها
وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله صلى
الله عليه لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح
فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا
من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه
وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه مر بقبر
ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة
ابي رغال وانه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه
وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر
انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين
تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد
بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون
الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم
حين راى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم الناقة
كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة
وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم
انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه
فسكنوا ديارهم قال قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا
تحبون الناصحين

اي اصحاب النبي صلى الله عليه

١٨

قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه ولم يسمع منه
حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني
وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا وارسلنا
لوطا اذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر
وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة ما عملها قبلكم والبا للتعدية
من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلم سبقك بها
عكاشة من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة
معنى الاستغراق والثانية للتبعيض قال قلت ما موقع هذه الجملة
قلت هي جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة
ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر
كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم
تسبقوا به انكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة
والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار
المستانف لتاتون الرجال من اتى المراة اذا غشيها شهوة مفعول له
اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا
ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل
البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير
ملتفتين الى السماجة بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار
عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات
وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم
اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه

أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ص

Copyright Hong Seng University

بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا يعني ما اجابوه بما يكون
جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلم من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم
بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاوا بشي اخر لا يتعلق
بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المومنين من قريتهم
ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس
يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه
من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحا اذا وعظهم
ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد واهله
ومن يختص به من ذويه او من المومنين من الغابرين من الذين غبروا في
ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث
وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها
حجر فماتت وقيل كانت الموتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف
بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل
امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف
له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه
فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السما
وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير مطور حري ان يكون
غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم
وجادتهم ونحوها ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم
ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السما وامطرنا عليهم حجارة من سجيل

اي بلوط ومن معه من المومنين

الشاطر الذي اعيا اهله خبثا وقد شطر وشطر شطارة فهو ...

المتقشف الذي لا يتعاهد ... من ... الثياب والوسخ ... العيش وخشونته

ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا
يعني الحجارة الا ترى الى قوله فسا مطر المنذرين كان يقال لشعيب
خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين
قد جاتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم
الايمان بي والاخذ بما امركم به والانتها عما انهاكم عنه فاوفوا ولا
تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بانه
كانت له معجزة لقوله قد جاتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة
تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته
لم تذكر في القران كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات
شعيب عليه السلم ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه
غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع
من اولادها ووقوع عصا ادم على يده في المرات السبع وغير ذلك
من الايات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبا موسى فكانت معجزات لشعيب
فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما
في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما
يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن
الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر يقال
بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم
تحسبها حمقا وهي باخس وقيل اشياهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شي
في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيا الا مكسوه كما يفعل امرا الجور
وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا

هم دنيوف فقطعوها قطاعاً ثم اخذوها بنقصان ظاهر او اعطوه بدلها زيوفا. بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعدما اصلح فيها الصالحون من الانبيا واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف. ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفا بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض والى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه. ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية. ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم. ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله. ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين فيها عوجا. فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا في شيء منها اوعدوه وصدوه. فان قلت الام يرجع الضمير في آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق

الاحدوثة ما يتحدث به

قوله باغينها هو جمع حذف النون ... بالاضافة ... تكون ساكنة

يشرع

والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشا رين. وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج. واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم. فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنما فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقرا فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد. عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة. فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوؤهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب. وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف. او لتعودن اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر. فان قلت كيف خاطبوا شعيبا عليه السلم بالعود في

المؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت اي انقلبت

في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء عليهم السلام معصومون من الصغاير
الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكباير فضلا عن الكفر قلت لما قالوا
لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا
في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم
عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه
فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا
انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا من ذلك اجراء لكلامه على حكم
التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا
ان يشاء الله والله تعالى متعال ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر
قلت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه
انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل
عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون
فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو
بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على
الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان
ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود لان
مشية الله لعودهم في الكفر محال خارج من الحكمة اولو كنا
كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا في
ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي
لنا وما يصح ربنا افتح بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا
احكم بيننا

ومنعنا يكون عطفا على قوله خذلاننا

واو

حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا
يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحا
كمين
فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما
مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر
بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على
الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك
وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق
والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا
على الله كذبا وقال الملا الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم يثبطو نهم
عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى
كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون
باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء
والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي وطاته اللام في لئن اتبعتم شعيبا
وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين
الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين
وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا
قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون
اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء وهذا التكرير
مبالغة في رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه لرايهم واستهزاء

بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم ❊ الأسى شدة الحزن
قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الأسى اشتد حزنه على قومه
ثم انكر على نفسه فقال وكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن
عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت
اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم
تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء
بالأسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة ❊ الا اخذنا اهلها بالبأساء
بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم
وتعززهم عليه ❊ لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية
الكبر والعزة ❊ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل
ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم
بالحسنات والسيئات ❊ حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم
من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام
واعفوا اللحى قال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقال
ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم ❊ وقالوا قد
مس آباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة
الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو
بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا
ان ناخذهم بالعذاب ❊ فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم
فجاءة من غير شعور منهم ❊ اللام في القرى اشارة الى القرى التي
دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك

القرى الذين كذبوا واهلكوا ❊ آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي
مكان ارتكابها ❊ لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لاتيناهم بالخير
من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ❊ ولكن كذبوا فاخذناهم
بسوء كسبهم ويجوز ان تكون اللام في القرى للجنس فان قلت
ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما يتيسر
امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا
تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين ❊ البيات يكون بمعنى البيتوتة
يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون ويكون
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا
فيجوز ان يراد ان ياتيهم باسنا بائتا او وقت بيات او مبيتا او
مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم باسنا بياتا ❊ ضحى
وضحى نصب على الظرف يقال اتيتنا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل
اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو في افامن
واوامن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت
ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت
المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون
وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا
وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا
بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى وقرئ او امن على العطف باو ❊
وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون ❊ فان قلت
فلم رجع فعطف بالفاء قوله افامنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله

المستغلقة بكسر اللام لان الفصيح المشهور استغلق الباب واستصعب الامر

Copyright King Saud University

أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر
ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي
يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته
قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يا بنتاه إن
أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا أولم
يهد بالياء كان أن لو نشاء مرفوعا بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين يخلفون
من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء
أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا
المورثين وإذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أولم يهد الله للوارثين
هذا الشأن بمعنى أولم نبين لهم أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا
من قبلهم وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين فإن قلت
بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه أوجه أن يكون معطوفا على
ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم
أو على يرثون الأرض أو على يهد فإن قلت هل يجوز أن يكون ونطبع
بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على أصبناهم قلت
لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة
من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى
خلوهم عن هذه الصفة وأن الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص
عليك من أنبائها كقوله هذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز
أن يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون القرى نقص خبرا بعد خبر
فإن قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد

يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع

ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قوله هو
الرجل الكريم فإن قلت ما معنى الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها
قلت معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها
ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل
بالبينات بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا
إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أي استمروا
على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين لا يرعوون
ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم
وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافيا
لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين
وما وجدنا لأكثرهم من عهد الضمير للناس على الإطلاق أي ما وجدنا لأكثر
الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان والتقوى
وإن وجدنا وإن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن
الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين
وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم
نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
إلى قوله إذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا
ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ
ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم
الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم فظلموا بها كفروا بآيا
تنا

التقدير إذا عاهدوا قائلين لئن أنجيتنا

لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن به

Copyright © King Saud University

اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من وادٍ واحد ان الشرك لظلم عظيم
او وظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدّوهم عنها وآذوا
من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم
بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اى كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه
وهو موضع الايمان ه يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس
الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب
بن الريان ه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة
وحقيق عليّ ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا
اقول وهي قراءة ابى وفى المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان تكون
مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق عليّ ان لا اقول وهي قراءة نافع
والثانى ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو
حقيقا على قول الحق اى لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص
كما ضمن هيجني معنى ذكرني فى بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه
الادخل فى نكت القرآن ان يغرق موسى عليه السلم فى وصف نفسه بالصدق
فى ذلك المقام لا سيما وقد روى ان عدو الله فرعون قال له لما قال انى
رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اى واجب
على قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلى ناطقا
به ه فارسل معى بنى اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة
التى هى وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه السلم لما توفى وانقرضت
الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان

كما قلبت العرب الكلام قلبت الجمل اذا امن اللبس

اعرق فى الامر اذا بالغ فيه

بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى اربعمائة عام فان قلت
كيف قال له فات بها بعد قوله ان كنت جئت باية قلت معناه
ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاتنى بها واحضرها عندى ليصح
دعواك ويثبت صدقك ه ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك فى انه
ثعبان وروى انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا
وضع لحيه الاسفل فى الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو
فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث
قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم
خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى
خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا ه
فان قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضا والمعنى فاذا هى بيضا
للنظارة ولا تكون بيضا للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا
عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى
انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه
مدرعة صوف ونزعها فاذا هى بيضا بياضا نورانيا غلب شعاعها
شعاع الشمس وكان موسى عليه السلم آدم شديد الادمة ه ان هذا
لساحر عليم اى عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة
من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض ه فان قلت
قد عزى هذا الكلام الى فرعون فى سورة الشعرا وانه قاله للملا وعزى
ههنا اليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثم وقولهم
ههنا او قاله ابتدا فتلقنه منه الملا فقالوه لاعقابهم او قالوه

عمها

عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي
فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه
انهم اجابوه في قولهم ارجئه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك
بكل ساحر عليم وقرئ سحار اي ياتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة
او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تامرون من آمرته
فآمرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي وقيل فماذا تامرون
من كلام فرعون قاله للملا لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
كانه قيل فقال فماذا تامرون قالوا ارجئه واخاه ومعنى ارجئه واخاه
اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما
وقرئ ارجئه بالهمز وارجه من ارجاه وارجاه فان قلت هلا قيل
وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سال ما قالوا اذ
جاؤه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ
ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا
لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما
يقصدون الكثرة فان قلت وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت
هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم قال
ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم
على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو
التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنا بما يصل اليه ويغتبط به
اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من
يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤسا السحرة ومعلميهم

فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض
الا ان يكون امرا من السما فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين
الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلثين الفا واختلفت الروايات
اهلها فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من نينوى وقيل
قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر ه تخييرهم
اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا
كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل
ان يتآخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم
في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف
الخبر او اقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه
ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من
التاييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا سحروا اعين
الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة
بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا
حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملات
الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا
شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر
روي انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة
جعلوا قيل فيها الزيبق ه ما يافكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما
يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية
للمافوك بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال

ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته
تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة فقالت السحرة لو
كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا ❁ فوقع الحق فحصل وثبت
ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم فاس
وقبع ❁ وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين ❁ والقي
السحرة وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل
لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا
سحرة وفي اخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشا
بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهولاء كفار نشاوا في الكفر بذلوا
انفسهم لله ❁ آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع
توبيخا لهم وتقريعا وقرئ آآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار
والاستبعاد ❁ ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا
لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى
هذه الصحراء قد تواطاتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها
القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها
على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى قال للساحر
الاكبر اتومن بي ان غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني
لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال ❁ فسوف تعلمون
وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن ايديكم وقرئ لاقطعن بالتخفيف
وكذلك لاصلبنكم ❁ من خلاف من شق طرفا وقيل ان اول من قطع
من خلاف وصلب لفرعون ❁ انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا انا

قال فرعون العصا في ... قالوا رب موسى وهرون بعد قولهم برب العالمين لئلا ظن الناس انهم ارادوا فرعون ٥

لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك
او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او
انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا او
انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما
لا بد لنا منه ❁ وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا الايمان
بآيات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر
كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ❁ افرغ
علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا
ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ
على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل او صب
علينا ما يطهرنا من اوضار الاثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون
لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم ❁ وتوفنا
مسلمين ثابتين على الاسلام ❁ ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا
تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك
آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء
نحو قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك والهتك
وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره وايذرك
اي اتطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى اتذره وهو يذرك
والهتك وقرا الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن
من الصالحين كانه قيل اصدق وقرا انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب

اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اي عبادتك
مصدر مضاف الى المفعول
وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف
نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك
اي يوخذ الملك منهم فهو من قبيل ... لا تذهب به تغلب عليه
وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا
اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى
ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم
ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة
والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر
لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي
تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا
ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا
بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا
يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله
بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت
لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة
مستانفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من
قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان يكون اللام للعهد ويراد ارض مصر
خاصة كقوله واورثنا الارض وان يكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها
من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه
ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة
المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشية متناولة لهم وقرئ والعاقبة

للمتقين بالنصب عطفا على الارض اوذينا من قبل ان تاتينا
ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ
واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه
من انواع الخدم والمهن ويمسونه به من العذاب عسى ربكم ان يهلك
عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك
فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن
منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما
يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمة الله عليه ورضوانه انه دخل على المنصور
قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد
فقرأ عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد
بقي فينظر كيف تعملون بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة
كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى
اقحطوا وقال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما
نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل
النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر
وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين
اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في
ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى
الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي
هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام
مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا

اي قال عمرو بن عبيد للمنصور قد بقي الاستخلاف وبقي ان تعمل صالحا و... فينظر

ولان الناس عطف من حيث المعنى على فيتنبهوا الخ

بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم
ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه هذه
من عندك فان قلت كيف قيل واذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف
الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة
وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة
ولا تقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلا فهلا عددت
ايام الرخاء طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله
وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشا ما يصيبهم من الحسنة والسيئة
وليس شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان
يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده
الذي يجري عليهم ما يسوؤهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم
الله في قوله النار يعرضون عليها الاية ولا طائر اشأم من هذا
وقرا الحسن انما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره
التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير مهما هي ما المضمنة
معنى الجزا ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزا في قولك متى ما تخرج اخرج
اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء
استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس
من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزا كانه قيل
كف ما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين فان قلت
ما محل مهما قلت الرفع بمعنى ايما شي تاتنا به او النصب بمعنى ايما
شي تحضرنا تاتنا به ومن اية تبيين لمهما والضمير في به وبها راجعان

فيكون من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير

الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في
معنى الاية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات
التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها
ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا
من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر
مهما تاتنا به من اية بمعنى الوقت فيلحد في ايات الله وهو لا يشعر
به وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه
فان قلت كيف سموها اية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما
سموها اية لاعتقادهم انها اية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى
وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي الطوفان ما طاف بهم وغلبهم
من مطر او سيل وقيل طغا الما فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام
في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره
وقيل ارسل الله عليهم السما حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت
القبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ما حتى قاموا في الما الى تراقيهم
من جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الما على وجه ارضهم
وركد فمنعهم من الحرث والبنا والتصرف ودام عليهم سبعة ايام
وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض
وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف
عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما امنوا فنبت لهم تلك السنة
من الكلا والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد

يعني يحتمل ان مطروا ثمانية ايام ودام ركود الما على وجه الارض سبعة ايام

فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شي حتى الابواب وسقوف
البيوت ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شي ففزعوا الى موسى ووعدوه
التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلم الى الفضا
فاشار بعصاه نحو المشرق فرجع الجراد الى النواحي التي جا منها فقالوا
ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو
الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد
الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير
السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين
ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلي
قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها
الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى
بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم
وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا
الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة
فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت
بيوتهم وامتلات منها انيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيا
من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا
اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلي منها مضاجعهم
فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي
تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه
المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم

العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم
الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم
فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على انا واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي
ما وما يلي القبطي دما ويستقيان من ما واحد فيخرج للقبطي الدم
وللاسرائيلي الما حتى ان المرة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية
اجعلي الما في فيك ثم مجيه في فيي فيصير الما في فيها دما وعطش
فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا
مضغها صار ماوها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب
سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان
موسى عليه السلم مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم
هذه الايات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات
قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها
له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي اية فحينئذ بعث الله عليهم
الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرا الحسن والقمل بفتح
القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف ايات مفصلات نصب على
الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من
ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم
او فصل بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون
على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد
عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والبا
اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى

استسعفت الرجل بحاجتي قضيتها له واسعفته اشتد على امره

بما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة
او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا
بلئن معناه اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون
فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله
اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروا
لم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام
منهم فاغرقناهم واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة
البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه
بانهم كذبوا باياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وغفلتهم
عنها وقلة فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو
اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاءوا في اطرافها
ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق
كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا
يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت
عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب
صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء
بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله
له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله تعالى
وتلا الاية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة

هذا معنى اذا المفاجاة

اولي الصبر وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره
من ايات ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون
ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات
وهو الذي انشا جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية
المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم
وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس يغرسون
من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما
اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بايات الله وظلمهم
ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل وما احدثوه بعد
انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الايات العظام
ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك
من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم
كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور
وليسلي رسول الله مما راى من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر بهم
موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا
لله فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون
على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك
اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين
الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان
وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ
يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة
اصنام يعكفون عليها

كنود كنود الكفر النعمة فهو كنود وامراة كنود ايضا

وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه
ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم
اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على
اثر ما راوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى ووصفهم بالجهل المطلق
واكده لانه لا جهل اعظم مما راى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة
تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر
اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم
الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا
وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو
باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما
لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام
بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب
ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا اغير الله ابغيكم
الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم ما فعل
دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه
بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم
مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب
يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما
محل يسومونكم قلت هو استئناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا
من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب

فضاض الشيء ما تفرق منه عند كسره اياه

ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
سواء عليكم ادعوتموهم ام صمتم عن دعائهم في انه لا فلاح معهم فان قلت
هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت
لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس
الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل
ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة
صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم
آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي
قصارى ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا
تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل
يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرأ سعيد بن جبير
ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا
امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال
ان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي
ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم
ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم
فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون ان وليي الله اي ناصري عليكم الله الذي نزل
الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين
ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم

امرهم

ينظرون إليك تشبهون الناظرين إليك لأنهم صوّروا أصنامهم بصورة
من قلّب حدقته إلى الشيء ينظر إليه، وهم لا يبصرون وهم لا يدركون
المرئي. العفو ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس و
أخلاقهم وما أتى منهم وتسهّل من غير كلفة ولا تداقّهم ولا تطلب
منهم الجهد وما يشقّ عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسّروا ولا
تعسّروا قال: خذي العفو مني تستديمي مودّتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
وقيل خذ الفضل وما تسهّل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة
فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعا أو كرها. والعرف المعروف والجميل
من الأفعال. وأعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم
ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسوؤك منهم وقيل لما نزلت
الآية سأل جبريل فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك
أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن
جعفر الصادق أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق وليس في القرآن
آية أجمع لمكارم الأخلاق منها. وإما ينزغنك من الشيطان نزغ وإما
ينخسنك منه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به
فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كأنه ينخس
الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جدّ
جدّه وروي أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب
فنزل وإما ينزغنك ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول
أبي بكر رضي الله عنه إن لي شيطانا يعتريني. طيف من الشيطان لمة منه
مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وقال

المداقة المناقشة

وهو المراد بقوله عليه السلام أدبني ربي فأحسن تأديبي تلك كلمات اشتملت على شرائط الرسالة

٣٢

أي ألمّ بك الخيال يطيف أو هو تخفيف طيّف فيعل من طاف يطيف كليّن أو من
طاف يطوف كهيّن وقرئ طائف وهو يحتمل الأمرين أيضا وهذا تأكيد
وتقرير لما تقدّم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان
وأن المتقين هذه عادتهم إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام
بوسوسته تذكّروا ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد
ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتّبعوه أنفسهم وأما إخوان الشياطين
الذين ليسوا بمتّقين فإن الشياطين يمدّونهم في الغيّ أي يكونون مددا
لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يُمدّونهم من الإمداد ويمادّونهم بمعنى
يعاونونهم. ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصرّوا
ولا يرجعوا. وقوله وإخوانهم يمدونهم كقوله: قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها
في أن الخبر جار على غير ما هو له ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين
ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له
والأول أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا. فإن قلت
لم جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس
كقوله أولياؤهم الطاغوت. اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه
أي جمعه كقولك اجتمعه أو جُبي إليه فاجتباه أي أخذه كقولك جليت
إليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها
افتعالا من عند نفسك لأنهم كانوا يقولون إن هذا إلا إفك مفترى أو
هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة. قل إنما أتّبع ما يوحى إليّ
ولست بمفتعل للآيات أو لست بمقترح لها. هذا بصائر هذا
القرآن بصائر من ربكم أي حجج بيّنة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى

هذا السؤال يخص الوجه الأول

او هو بمنزلة بصائر القلوب ❁ واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا
ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القران في صلاة وغير
صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة
ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القران وقيل معناه واذا
تلا عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى
فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه ❁ واذكر ربك في نفسك هو
عام في الاذكار من قراءة القران والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك
تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما
دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر
بالغدو والاصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو
باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل
في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين
من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ❁ ان الذين عند ربك
هم الملئكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب
من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته ولَه
يسجدون ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن
سواهم من المكلفين ○ عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الاعراف
جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم
القيمة

سورة الانفال مدنية [illegible] وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم
النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد

ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا
على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب
من قتل قتيلا فله سلبه او قال للسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه
او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند
الشافعي في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في
غنائم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في
قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول
الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها
حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم
حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم
وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين
كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم
وقالوا لرسول الله المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت
لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم
بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به
الى رسول الله فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي
هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته
وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا
حتى جاءني رسول الله وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك
سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة
بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل

Copyright © King Saud University

وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله
فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة
رسوله وإصلاح ذات البين. وقرأ ابن محيصن يسلونك علنفال
بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام وقرأ
ابن مسعود يسألونك الأنفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال
فإن قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الأنفال
لله والرسول قلت معناه أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر
الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس
الأمر في قسمتها مفوضا إلى رأي أحد والمراد أن الذي اقتضته
حكمة الله وأمر به رسوله أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل
الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا
يستأثروا بما شرط لهم فإنهم إن فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما
بين المسلمين من التحاب والتصافي. فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم
وكونوا متحدين متآخين في الله. وأصلحوا ذات بينكم وتآسوا و
تساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الإصلاح
بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا
وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فإن قلت ما حقيقة قوله ذات
بينكم قلت أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال
ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما
كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني
ذا إنائك يريدون ما في الإناء من الشراب. وقد جعل التقوى وإصلاح

ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم
أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها. ومعنى قوله إن كنتم مؤمنين
إن كنتم كاملي الإيمان. واللام في قوله إنما المؤمنون إشارة إليهم
أي إنما الكاملو الإيمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه
قوله أولئك هم المؤمنون حقا. وجلت قلوبهم فزعت وعن أم الدرداء
الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قال
فادع الله فإن الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له
وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه
وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر
الله لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن
يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع. وقرئ وجلت بالفتح
وهي لغة نحو وبق وبق وفي قراءة عبد الله فرقت. زادتهم إيمانا
ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لأن تظاهر الأدلة أقوى
للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبي
هريرة الإيمان سبع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها
إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان وعن عمر بن عبد العزيز
إن للإيمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل
الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. وعلى ربهم يتوكلون
ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه.
جمع بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال
الجوارح من الصلاة والصدقة. حقا صفة للمصدر المحذوف

أي فينتهي عنه ويمتنع له

Copyright © King Saud University

اي حق كمال ايمانهم حقا

اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة التي
هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا
وعن الحسن ان رجلا ساله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت
تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسالني
عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري
من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف
الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين
حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان
وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي انه قال لقتادة لم تستثني في
ايمانك قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي فقال
له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى ﴿درجات﴾ شرف وكرامة
وعلو منزلة ﴿ومغفرة﴾ وتجاوز لسيئاتهم ﴿ورزق كريم﴾ نعيم الجنة
يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب
﴿كما اخرجك ربك﴾ فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على
انه خبر مبتدا محذوف وتقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان
حالهم في كراهة ما رأوا من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة
خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل
المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله
والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك
اياك من بيتك وهم كارهون ﴿من بيتك﴾ يريد بيته بالمدينة او المدينة

٣٥

نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص
البيت بساكنه ﴿بالحق﴾ اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي
لا محيد عنه ﴿وان فريقا من المؤمنين لكارهون﴾ في موضع الحال اي اخرجك
في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو
بن هشام فاخبر جبريل رسول الله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي
العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم
فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب
وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت
اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا
كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت
من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس
فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم
فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في
العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت
فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور
ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع
العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه
فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما
في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين
اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه اصحابه وقال

وهم النفير

Copyright King Saud University

ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير
احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير
وجه رسول الله ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل
البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع
العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله
لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال
المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيثما
احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا
معكما مقاتلون ما دامت منا عين تطرف فضحك رسول الله ثم قال
اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه
على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت
الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان
النبي صلى الله عليه يتخوف ان يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا
على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا
يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما
جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع
والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا
رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب

صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا
على بركة الله ففرح رسول الله وبسطه قول سعد ثم قال
سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين
والله لكأني انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله
حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس
وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قال لان الله
وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة
من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين والحق الذي جادلوا فيه
رسول الله تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين بعد
اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا
الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم
القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم
الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار
الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها
وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه
ما كان فيهم الا فارسان اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل
من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة
العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم
وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال
شوك القنا لشباها ومنها قولهم شاك السلاح اي تتمنون
ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون

كما مر ذكره في الصفحة المتقدمة

Copyright © King Saud University

الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته
المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة
وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر
الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر
عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف
الامور وان لا تلقوا ما يرزاكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا
يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة
والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة
ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم
واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمته
على التوحيد فان قلت بم تعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف
تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات
الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا
تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين
الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على
غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا
الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متاخرا
حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع
فان قلت بم يتعلق اذ تستغيثون قلت هو بدل من اذ
يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم
لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا

دابرة الطائر هي الظفر التي في خلف مخلب الطائر وهو بمنزلة الابهام للانسان

على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله
نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة
ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذ ابو بكر
فالقاه على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف
الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم
بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان
الاستجابة من القول فان قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر
قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة
وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب
في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها
بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب
ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت
الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا
لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين
اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا
وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله فقال صدقت ذاك من مدد
السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر
فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما
كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك

اي استجاب وقال اني ممدكم

اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم
لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين
بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف
لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته
ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده ولا يخلو المكسور الدال
من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من
ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين
اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم
يشيعونهم ويتقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على
اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم
من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة الف
من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو
بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد
الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت
تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او
على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة
على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فان قلت فيم يعتذر لمن قرأ
على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين
بارتدافهم غيرهم قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه
منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير في وما
جعله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم

فان قلت ففي من قرأ بالكسر قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول
المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه
ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني
انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة
لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند
الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة
او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من
نصره الله اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما
في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر
وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل
وامنة مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل
والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون
انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا
اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت
فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم
ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت
هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم
اي يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد
مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت
كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم
وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة

التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله
فيه نظائر وقد ألمّ به من قال يهاب النوم أن يغشى عيونا تهابك فهو نفّار شرود
وقرئ أمْنةً بسكون الميم ونظير أمن أمنةً حيي حياةً ونحو أمن أمنةً
رحم رحمةً والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلمّا
طامن الله قلوبهم وأمّنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال
أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان ﴿وينزّل﴾ قرئ بالتخفيف
والتثقيل ﴿وقرأ الشعبي ما ليطهّركم به قال ابن جني ما موصولة
وصلتها حرف الجرّ بما جرّه فكأنه قال ما للطهور ﴿ورجز الشيطان﴾
وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش وقيل الجنابة لأنها من تخييله
وقرئ رجس الشيطان وذلك أن إبليس تمثّل لهم وكان المشركون قد
سبقوهم إلى الماء ونزل المؤمنون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على
غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم
على الحق وأنكم تصلّون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو
كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش
فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبّوا وساقوا بقيتكم
إلى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا
حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وأصحابه الحياض
على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضّؤوا وتلبّد الرمل
الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة
الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز أن يكون للربط لأن
القلب إذا تمكّن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال ﴿

ابيض فيه حمرة

إذ يوحي يجوز أن يكون بدلا ثانيا من إذ يعدكم وأن ينتصب بيثبّت
﴿أني معكم﴾ مفعول يوحي وقرئ إني بالكسر على إرادة القول أو على
إجراء يوحي مجرى يقول كقوله إني ممدّكم والمعنى أني معينكم على
التثبيت ﴿فثبّتوهم﴾ وقوله سألقي فاضربوا يجوز أن يكون تفسيرا
لقوله أني معكم فثبّتوا ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب
الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة
ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما
تقوى به قلوبهم وتصحّ عزائمهم ونياتهم في القتال وأن يظهروا
ما يتيقّنون به أنهم ممدودون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبّه
بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول إني سمعت المشركين
يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفنّ ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا
فإن الله ناصركم لأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه ﴿ وقرئ الرعب
بالتثقيل ﴿فوق الأعناق﴾ أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح لأنها
مفاصل فكان إيقاع الضرب فيها حزّا وتطييرا للرؤوس وقيل
أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب الهام قال
وأضرب هامة البطل المشيح ۞ غشيته وهو في جأواء باسلة عضبا أصاب سواء الرأس فانفلقا
﴿والبنان﴾ الأصابع يريد الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى
لأن الضرب إما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم بأن يجمعوا
عليهم النوعين معا ويجوز أن يكون قوله سألقي إلى قوله كل بنان
عقيب قوله فثبّتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبّتونهم به كأنه قال
قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب أو كأنهم قالوا كيف نثبّتهم

الجأواء سواد الحديد

Copyright King Saud University

فقتل وقولوا لهم فولى سالقي والضاربون على هذا ام المومنون ذلكم
اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله
الرفع على الابتدا وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم
والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف
شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت
لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا
في خصم اي جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق
والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد منهم وفي ذلكم
للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب
او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه
كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم او نصب
على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل
الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع المضمر وقرا الحسن وان
للكافرين بالكسر زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذي
يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا
دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا
لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم
في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين
وانتم او حال من المومنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين
تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن
الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه الا متحرفا لقتال وهو

الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع
الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين
سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم
ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول
الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من
القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المومنين هلكت فررت
من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر
الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا
لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا
وقرا الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز
يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا
اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت
قريش قال رسول الله صلى الله عليه هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة
من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة
من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك
الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل
لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم
فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب
في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع
وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها

لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه
اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم
فاثبت الرمية لرسول الله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه
لان اثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو
فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ
ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي
المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل
ما فعل وما فعل الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم
ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان
الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين
كيد الكافرين وقرئ موهّن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل
الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب
لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم
وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا
وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم
الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم ايّنا كان اهجر واقطع
للرحم فاحنه اليوم اي اهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين
وان تنتهوا الكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم
واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح

علي

والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف روي ان موسى عليه السلام
وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله
فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب
فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف
فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك
وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح
المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك
وقيل امر الله ان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم
انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في
سورة البقرة وفصلها ها هنا وميقات ربه ما وقته له من الوقت
وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد
وهارون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في
قومي كن خليفتي فيهم واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان
يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد ولا تتبعه ولا
تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه وحددناه ومعنى اللام الاختصاص
فكانه قيل واختص مجيئه لميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر
وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام
منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان
موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما
واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين
ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك

لسواك

Copyright King Saud University

فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت
معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك
واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله
انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي
هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه
فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك
وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز
وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما
كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة
احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم
وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا
الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء
فتبرا من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه
الرؤية الا ليبكت هولاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرا من فعلهم
وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم
الخطا ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم فقالوا لا بد
ولن نومن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة
ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة
فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم
ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام وهم
يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته

ومثاله لو قال قائل ارني فلانا في كمه جوهر وثم يعلم ان في كمه ليس ما يتوهمه فيقول لذلك الانسان ارني الجوهر الذي في كمك فانه يقصد بذلك الجواب انه ليس في كمه جوهر قاله ذكي الدين [illegible]

فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس
فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر
عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك
كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب به
او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة
التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم
وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا
بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء
وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت
ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي
المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا
والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد
وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل الاستدراك
في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان
النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل
الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله
دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم
اثره كانه عز وجل حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد
اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه
كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود

راك

قال ركن الدين والظاهر ان [illegible] الاهوال بعد هذا السؤال [illegible] الجبل دكا حتى خر موسى [illegible] وانزل الصاعقة واخذ [illegible] الرؤية تنبيها على انها من [illegible] تعالى [illegible] الله على تلك الاهوال

الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالأرض وهذا الكلام مدمج بعضه في بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعني قوله فإن استقر مكانه فسوف تراني. فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وإرادته. جعله دكا أي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة أو أرضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء أي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا أي قطعا دكا جمع دكاء. وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه إذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة. فلما أفاق من صعقته قال سبحانك أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها. تبت إليك من طلب الرؤية. وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس. فإن قلت فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله فانظر إلى إعظام الله أمر الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله

أدمج الشيء لفه في ثوب والشيء المدمج المدرج مع ملاسة

اللكز الضرب على الصدر

النقيان وشاش المطر

دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر وكيف سبح ربه ملتجئا إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال وأنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة ... وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وتفسير آخر وهو أن يريد بقوله أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كأنها إراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك أنظر إليك أعرفك معرفة اضطرار كأني أنظر إليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى. قال لن تراني أي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل فإني أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت عليك وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك وأن شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك. اصطفيتك على الناس اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي أسفار التوراة. وبكلامي وبتكليمي إياك. فخذ ما آتيتك ما

تراني خ

السفر بالكسر الكتاب والجمع أسفار

اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك
فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوراة يوم
النحر فان قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هارون مصطفى
مثله ونبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل
في حمل الرسالة ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها
كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد
جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى
موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه
وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها
كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة
وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه
في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي
سبعون وقر بعير يقرا الجزء منه في سنة لم يقراها الا اربعة نفر
موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا
الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيا ولا تقطعوا السبيل ولا
تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تزنوا
ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا
ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما اتيتك والضمير في فخذها للالواح
او لكل شيء لانه في معنى الاشيا او للرسالات او للتوراة
ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل
ياخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو

ولا تقتلوا

والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو
ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم
وقيل ياخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز
ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر
من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر
كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا بها ترون لكم عليها في اسفاركم
وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرا الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية
بالحجاز يقال اورني كذا واورثنيه ووجهه ان يكون من اوريت الزند
كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرئ ساورثكم وهي قراءة حسنة
يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف
عن اياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها
ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم
وعن الفضيل بن عياض ذكر عن رسول الله صلى الله عليه اذا عظمت امتي الدنيا
نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا
كما اجتهد فرعون ان يبطل اية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله
الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن
الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه
انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الايات لتكبرهم
وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير
الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر

لتعتبروا وافلا تتفكرون
مثل فيقهم بين
بكم شل نكالهم
منازل عاد وثمود
والقرون الذين
اهلكهم الله بفسقهم

انهمك في الشيء اي لج فيه

لنا

وا

بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق
وما هم عليه من دينهم وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا
بها وقرأ مالك بن دينار وان يُروا بضم اليا وقرئ سبيل الرُشْد والرَشَد
والرَشاد كقولهم السُقم والسَقَم والسَقام وما اسفه من ركب المفازة
فان رأى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا
أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ذلك في محل الرفع او
النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك
الصرف بسببه ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول
به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى
الظرف بمعنى ولقائهم ما وعد الله في الآخرة من بعده من بعد فراقه اياهم
الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري
قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم
باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا
والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به
فكأنهم اجتمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه
وقرئ من حُليّهم بضم الحا والتشديد جمع حَلْي كثدي وثُديّ ومن
حِليهم بالكسر للاتباع كدِليّ ومن حَلْيهم على التوحيد والحلي
اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم
ولم تكن الحلي لهم انما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة
تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم
قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى

الى قوله عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك
واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد
والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب
من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له
خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم من جأر اذا صاح وانتصاب
جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه الها انه لا على كلام
ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا
لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى
سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه
ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر
وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل
بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد
ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شأن من اشتد ندمه وحسرته
ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها
وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرأ ابو السميفع سَقَط
في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه
سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده
مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي
النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا
ضلالهم تبينا كأنهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا وتغفر
لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم

وحزنًا عليهما اللهم وان لم تغفر لنا وترحمنا ﴿ الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين ﴿ خلفتموني ﴾ قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه من بني اسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه اخلفني في قومي والمعنى بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوا امره ونحوه اخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى

ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا ﴿ والقى الالواح ﴾ وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبًا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدًا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة ﴿ واخذ برأس اخيه ﴾ اي بشعر راسه ﴿ يجره اليه ﴾ بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنًا باخيه انه فرط في الكف ﴿ ابن ام ﴾ قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح يا الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ﴿ ان القوم استضعفوني ﴾ يعني انه لم يال جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه ﴿ فلا تشمت بي الاعداء ﴾ فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ﴿ ولا تجعلني مع

Copyright King Saud University

القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا
لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم
ومن ظلمهم ﴿لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال رب
اغفر لي ولاخي﴾ ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا
تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه
ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال
منتظمة لهما في الدنيا والاخرة ﴿غضب من ربهم وذلة﴾ الغضب
ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان
ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة
والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية ﴿
المفترين﴾ المكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا
الهكم واله موسى ويحتمل ان يعلق في الدنيا بالذلة وحدها ويراد الجبابرة ص
سينالهم غضب في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا كقوله وضربت عليهم
الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله ﴿والذين عملوا السيئات﴾ من
الكفر والمعاصي كلها ﴿ثم تابوا﴾ ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا
اليه ﴿وامنوا﴾ واخلصوا الايمان ﴿ان ربك من بعدها﴾ من بعد تلك العظائم
﴿لغفور﴾ لستور عليهم محاء لما كان منهم ﴿رحيم﴾ منعم عليهم بالجنة
وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل وغيرهم عظم جنايتهم
اولا ثم اردفها بعظم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت
فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة
وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة

اشعب اسم رجل كان طماعا وفي المثل اطمع من اشعب ه

لا يلتفت اليها جازم ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ هذا مثل
كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا
والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع
الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع
سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا
فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس
عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما
سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى
ولما طفئ غضبه ﴿اخذ الالواح﴾ التي القاها ﴿وفي نسختها﴾ وفيما نسخ
منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة ﴿لربهم
يرهبون﴾ دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله
يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون ونقول لك ضربت ﴿واختار
موسى قومه﴾ اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله
منا الذي اختير الرجال سماحة ﴿ قيل اختار من اثني عشر سبطا
من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم
رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد
كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه
ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل
كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم
الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم
ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه

راعني الشيء اي اعجبني ه
التنصل من الذنب التبري منه ه
اي فيما نسخ منها بعد ان كسرت ه

ما نظا ولم الغمام

في سبعين من بني اسرايل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام
حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا
فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم
موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه
فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى
لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا
الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا
ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما راى من تبعة طلب الرؤية
كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة لو شا الله لاهلكني
قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني
نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها
وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاوك حين كلمتني وسمعوا
كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا
وضلوا تضل بها من تشا وتهدي من تشا تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين
في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل
ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان
ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام
انت ولينا مولانا القائم بامورنا ۞ واكتب لنا واثبت لنا واقسم
في هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة او توفيقا في الطاعة
وفي الاخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا

رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد
واسجد كانك هدهد وقرا ابو حيوة السعدي هدنا اليك بكسر الها
من هاده يهيده اذا حركه وامال ويحتمل امرين ان يكون مبنيا
للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامِلنا ها او حركنا
اليك وامِلنا على تقدير فعِلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين
فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة
فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون
هُدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي من حاله وصفته اني
اصيب به من اشا اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو
عنه مساغ لكونه مفسدة وامّا رحمتي فمن حالها وصفتها انها
واسعة تبلغ كل شي ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا
وهو متقلب في نعمتي وقرا الحسن من اساء من الاساءة فساكتبها
هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرايل للذين يكونون في اخر
الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع اياتنا وكتبنا يومنون
لا يكفرون بشي منها ۞ الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا
به وهو القران النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجدون نعته اوليك
الذين يتبعونه من بني اسرايل مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشيا الطيبة كالشحوم وغيرها
او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح وما
خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبايث ما يستخبث من نحو
الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم

قوله وجب علي وقوله ولم يكن مساغ بنا على مذهبه واما عند اهل السنة فلا يجب على الله شي ه

واعلم ان جميع المذكور هاهنا مما اجاب الله به موسى بعد مناجاته ودعائه وتنصله من ذنوب قومه ه

Copyright © King Saud University

كالربا والرشوه وغيرهما من المكاسب الخبيثة والاصر الثقل الذى
يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم
وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس فى صحة توبتهم وكذلك الاغلال
مثل لما كان فى شرائعهم من الاشيا الشاقة نحو بت القضا بالقصاص
عمدا كان او خطا من غير شرع الدية وقطع الاعضا الخاطئة وقرض
موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق
فى اللحم وتحريم السبت وعن عطا كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلى
لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل
ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس
نفسه على العباده وقرى آصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه
حتى لا يقوى عليه عدو وقرى بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه
التعزير دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسمية
الحد والحد هو المنع والنور القران فان قلت ما معنى قوله انزل
معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباه
كان مصحوبا بالقران مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا اى واتبعوا القران
المنزل مع اتباع النبى والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او
واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له فى اتباعه فان قلت
كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما
دعا لنفسه ولبنى اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بنى اسرائيل على
استجازتهم الرويه على الله وعلى كفرهم بايات الله العظام التى اجراها
على يد موسى وعرض بذلك فى قوله والذين هم باياتنا يومنون واريد

ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله وما
جا به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا
فى اخلاص الايمان والعمل الصالح وفى ان يحشروا معهم ولا يفرق
بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله الخ وسعت كل شى انى
رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد
صلى الله عليه الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم
فان قلت الذى له ملك السموات والارض ما محله قلت الاحسن ان يكون
منتصبا باضمار اعنى وهو الذى يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون
جرا على الوصف وان حيل بين الصفه والموصوف بقوله اليكم جميعا
وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التى هى له ملك السموات والارض وكذلك
يحيى ويميت وفى لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان
هو الاله على الحقيقة وفى يحيى ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه
لا يقدر على الاحيا والاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى
من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرى وكلمته على الافراد وهو
القران او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هى
الكلمة التى تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهى قوله كن وانما قيل ان عيسى
كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن
من نطفة يمنى لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت
هلا قيل فامنوا بالله وبى بعد قوله انى رسول الله اليكم قلت عدل
عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التى اجريت عليه ولما فى
طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذى وجب الايمان به واتباعه

هو هذا الشخص المنتقل بانه النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته كائنا
من كان انا او غيري اظهارا للنصفه وتفاديا من العصبية لنفسه
﴿ومن قوم موسى امة﴾ هم المومنون الثابتون من بني اسرائيل لما ذكر
الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة
العجل واستجازة رؤيه الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين ﴿يهدون﴾
الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامه ويرشدونهم ﴿وبالحق يعدلون﴾
بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله
عليه وآمن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا
وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا
الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا
فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء
مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه ان جبريل ذهب به
ليلة الاسرا نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا
لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا
من ادرك منكم احمد فليقرا عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام
ثم اقراهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة
والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا
السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال
عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المومنين وهل يزيد صليا او كم عليهم شيئا
من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين
بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير

الشق سرب في الارض له مخلص لا مكان له

معناه الاستفهام ... حاشيه

والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه الى كل افق وتغلغل في
كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر
في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاها اليهم وملا به مسامعهم
والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمه ﴿وقطعناهم﴾ وصيرناهم
قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ
وقطعناهم بالتخفيف ﴿اثنتي عشرة اسباطا﴾ كقولك اثنتي عشرة قبيلة
والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر
ولدا من ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد
فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل
ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيله وكل قبيلة
اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل
وانما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة
عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه
الاخرى لا تكاد تاتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين ﴿فانبجست﴾ فانفجرت
والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج
وكيف غربي دالج تبجسا فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت
لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايجاز بضرب الحجر للدلالة
على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه
بحيث لا حاجة الى الافصاح به ﴿وقوله كل اناس﴾ نظير قوله اثنتي عشرة
اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير
تكسير نحو رخال وثناء وتوام واخوات لها ويجوز ان يقال ان

ثم دخل دمو الجمع

مم

له

Copyright King Saud University

الأصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى
وغبارى من الفتحة ۝ وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظللا عليهم
التيه ۝ وكلوا على ارادة القول ۝ وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر
ظلمهم بكفرانهم النعم ۝ ولكن كانوا انفسهم يظلمون ورجع وبال
ظلمهم اليهم ۝ واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم ۝ والقرية بيت المقدس
فان قلت كيف اختلفت العبارة هاهنا وفي سورة البقرة قلت
لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين
قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا وبين قوله وكلوا لانهم اذا سكنوا القرية
فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها
والاكل منها وسوا قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم
جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله
نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة
وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على قول القائل وما
ذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة
بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ نغفر
لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البنا
للمفعول ۝ وسلهم وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السوال معناه
التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام
بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من
لم يقرا كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي
يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت ۝ والقرية ايلة وقيل

من الغدران

مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلا
ما رايت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن
حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه ۝ اذ يعدون في
السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت
وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال
ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون الات
الصيد يوم السبت وهم مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة
۝ والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد
والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك
قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله
ويوم لا يسبتون وقراة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون
بضم الياء وقرا علي رضي الله عنه لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن
الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يومرون
بان يسبتوا ۝ فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب
قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها
كانه قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من
بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني
فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل ۝ والحيتان السمك واكثر
ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة ۝ شرعا ظاهرة على وجه الماء
وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا
فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا ۝

كانها تركب شاطئ البحر

يقال اسبتت اليهود دخلت في السبت

Copyright King Saud University

كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم ۞ واذ قالت
معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب ، امة منهم جماعة من
اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم
حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم ، لم تعظون
قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم ، او معذبهم
عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ
لا ينفع فيهم ، قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله
ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط ، ولعلهم يتقون
ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم
معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة ۞ فلما نسوا يعني اهل القرية
فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه ، انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت
الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين
قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما
قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه
غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي
وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله
في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على
المآصر او الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه
كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الآخرون
فانما لم يعرضوا عنهم اما لان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس

يقال ابليت فلانا عذرا اذا بينته له بيانا لا لوم عليك بعده

المآصر جمع ماصر ... اذا حبسه

الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم
كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون
لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله
مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل
بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله
فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون
قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن
نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي
ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا
السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه
فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها
المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا
كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها
يوم السبت فاتخذوا حياضا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت
فلا تقدر على الخروج منها وياخذونها يوم الاحد واخذ رجل
منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم
شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال
له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل
حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا
وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث
نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث
هم اصحاب الخطيئة

من امة داود بعد موسى كان في زمان داود بقية منهم

فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار
للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلم فاصبح
الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا
ان للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب
ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباءها من الانس والانس لا
يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه
ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة
والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها
اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما
حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن
الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر ٥ بئيس شديد يقال بؤس
يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على
تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على
قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس
بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف
بيّس كهين في هيّن وبائس على فاعل ٥ فلما عتوا عن ما نهوا عنه فلما
تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا
بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب
البئيس هو المسخ ٥ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو
الاعلام لان العازم على الامر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله واجرى

مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب
به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه
ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا
يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه فضربها
عليهم فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم
عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد ٥ وقطعناهم
في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم ٥ منهم
الصلحون الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم
دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة
فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف
محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام
معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام ٥ وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم ٥ لعلهم يرجعون ينتبهون فينيبون ٥ فخلف من بعد المذكورين خلف
وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ٥ ورثوا الكتاب التوراة بقيت في ايديهم
بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل
والتحريم ولا يعملون بها ٥ يأخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا
الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس
وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من
دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى
في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ٥ ويقولون سيغفر
لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور

عليهم

فرقا

اناب الى الله اي اقبل وتاب

وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر يأخذون وان يأتهم
عرض مثله يأخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون
الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر
لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة
من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبة ودرسوا ما فيه
في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة
هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على
الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لم نشرك بالله
شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة
اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الاية والدار الاخرة خير من ذلك
العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله وقرئ وورّثوا
بالتشديد وان لا تقولوا بالتاء وادّارسوا بمعنى تدارسوا وافلا
يعقلون بالياء والتاء فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله
الا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب
الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة
خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقوّل عليه ما ليس بحق
وان فسّر ميثاق الكتاب بما تقدّم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له
ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان تكون ان مفسّرة ولا تقولوا نهيا
كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق فان قلت
علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على الم يؤخذ عليهم لانه
تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين

يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره
انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين
يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع
اجر من احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون
ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسّكون بالتشديد وتنصره
قراءة ابي والذين مسّكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب
يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلاة فكيف افردت قلت
اظهارا لمرتبة الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان
وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب واذ نتقنا الجبل
فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق
السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما اظلك من
سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطلّ عليه اذا اشرف وظنوا
انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا
احكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار
عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها
والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خرّ كل رجل منهم ساجدا
على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه
فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة
التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها
كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى
يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم

ابن السكيت السقاء للبن والماء والوطب للبن خاصة والنحي للسمن والقربة للماء

اي جوك

على ارادة القول، وقلنا خذوا ما اتيناكم او قائلين خذوا ما اتيناكم
من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما
فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعرض
للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من
الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة
على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرا
ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذّكروا بمعنى وتذكروا ۞ من ظهورهم
بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم اخراجهم
من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا
بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على
ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها
فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم
وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا
على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله
وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا انما قولنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون وقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وقوله اذ قالت الانساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار
ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ۞ ان تقولوا
مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول
كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه ۞

او كراهة ان تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم
لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر
لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر
لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو آدم
وذرياتهم من هم قلت عنى ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا
بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله
من اخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم
قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الآيات
التي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله وسئلهم عن القرية
واذ قالت امة منهم واذ تاذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبا
الذي آتيناه آياتنا ۞ افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا
لتاسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا ۞ وكذلك ومثل ذلك
التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ۞ ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا
عن شركهم نفصلها وقرئ ذرياتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء ۞
واتل عليهم على اليهود نبا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم
من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب
الله ۞ فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره ۞ فاتبعه الشيطان
فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتّبعه
بمعنى فتبعه ۞ فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه
طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه
الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ۞ ولو شئنا لرفعناه بها
لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات ۞ ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا
ورغب فيها وقيل مال الى السفالة ۞ فان قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق

هو الذي كان يعرف الاسم الاعظم

فيه اشارة الى خسة الدنيا

Copyright © King Saud University

بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها
وذلك لأن مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد
ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى
قوله ولكنه أخلد الى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله
فوجب ان يكون ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ ، فمثله كمثل الكلب
فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها
وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج
وطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه
اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في
الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد
الى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب
موضع فحططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في
معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه أو لم يحمل عليه
وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته
فسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية
قلت النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة
لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره
وجعل يلهث كما يلهث الكلب ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من
اليهود بعد ما قرأوا نعت رسول الله في التوراة وذكر القرآن المعجز
وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به ، فاقصص
القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم ، لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته
اذا ساروا نحو سيرته فزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي

وزادوا

فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ، ساء مثلا القوم اي مثل
القوم او ساء أصحاب مثل القوم ، وأنفسهم كانوا يظلمون اما ان
يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين
التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا
عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به
للاختصاص كأنه قيل وخصوا بالظلم لم يتعدها الى غيرها ، فهو المهتدي
حمل على اللفظ وأولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ، كثيرا من الجن
والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم
في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما
خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع
تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان
وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم
الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات
وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد
بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم
آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان
الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب
رسول الله مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد
الايمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار ، أولئك كالأنعام في عدم
الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر ، بل هم أضل من الأنعام
عن الفقه والاعتبار والتدبر ، أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة

انفسهم

وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهولاء اكثرهم
يعلم انه معاند فيقدم على النار ﴿ولله الاسما الحسنى﴾ التي هي احسن الاسما
لانها تدل على معان حسنة من تمجيد ﴿فادعوه بها﴾ فسموه بتلك الاسما ﴿
وذروا الذين يلحدون في اسمائه﴾ واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق
والصواب فيها فيسمونه بغير الاسما الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز
عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
يا نخي او ان يابوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله
ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى ﴿قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى﴾ ومن الوصف بالعدل والخير والاحسان
وانتفا شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه
فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشا والمنكر وبما يدخل في التشبيه
كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام الهة
واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله
﴿وممن خلقنا امة يهدون بالحق﴾ وعن النبي صلى الله عليه انه كان يقول اذا قراها
هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ﴿ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق﴾ وعنه عليه السلم ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن
الكلبي هم الذين امنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلما والدعاة الى الدين
﴿الاستدراج﴾ استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال
درجة بعد درجة قال الاعشى ولو كنت في جب ثمانين قامة
ورقيت اسباب السما بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره

ونتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه
وادرج الكتاب طواه شيا بعد شي ودرج القوم مات بعضهم في
اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم
ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر
الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة
ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف
النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان
منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه ﴿واملي لهم﴾ عطف
على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ﴿ان كيدي متين﴾ سماه كيدا
لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ﴿
ما بصاحبهم من جنة﴾ من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة
ان النبي صلى الله عليه علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس
الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يهوت الى الصباح
﴿اولم ينظروا﴾ نظر استدلال ﴿في ملكوت السموات والارض﴾ فيما
تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم ﴿وما خلق الله
من شي﴾ وفي ما خلق الله مما يقع عليه اسم الشي من اجناس لا يحصرها العدد
ولا يحيط بها الوصف ﴿وان عسى﴾ ان مخففة من الثقيلة والاصل
وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان
والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا
الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب
ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها

ضمير الشان فان قلت بم يتعلق قوله فباي حديث بعده يومنون قلت
بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب
فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد
وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يومنوا قرئ ويذرهم
بالياء والنون والرفع على الاستيناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على
محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم
يسالونك قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا
فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استاثر
بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسما الغالبة كالنجم للثريا
وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على
العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق
ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي
وقت واي فعل من اويت اليه لان البعض اوٍ الى الكل متساند اليه | اي لازم الاضافة ومضافه بعض من المضاف اليه
قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرا السلمي
ايان بكسر الهمزة مرساها ارساوها او وقت ارسائها اي اثباتها
واقرارها وكل شي ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل
وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة
بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله انما علمها | لقوله تعالى ويذرون وراءهم يوما ثقيلا
اي علم وقت ارسائها عنده قد استاثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب
ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة
وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك

لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفا
علمها الا هو وحده اذا جا بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها
قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفا بها على غيره الى وقت وقوعها
ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملئكة والثقلين اهمه
شان الساعة ويود ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاوها وثقل
عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها
او لان كل شي لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها الا بغتة
الا فجاة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج
بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل
يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كانك
حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السوال عنها لان
من بالغ في المسالة عن الشي والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن
وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفا الشارب واحتفا
البقل استيصاله واحفى في المسالة اذا الحف وحفي بفلان
وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السوال حتى
علمت وقرا ابن مسعود كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها
وقيل عنها متعلق بيسالونك اي يسالونك عنها كانك حفي اي عالم
بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى
الساعة فقيل يسالونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم
وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها
لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد

من غير تخصيص كسائر ما أوحي إليك وقيل كأنك حفي بالسؤال عنها
تحبه وتؤثره يعني أنك تكره السؤال عنها لأنه من علم الغيب الذي
استأثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه قل إنما لم كرر يسألونك
وإنما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك
حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من
فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ولكن أكثر الناس لا يعلمون
أنه العالم بها وأنه المختص بالعلم بها قل لا أملك هو إظهار للعبودية
والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك
لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد إلا ما شاء ربي
ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت أعلم الغيب لكانت حالي على خلاف
ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار
حتى لا يمسني شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب
ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير
إن أنا إلا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني أن أعلم الغيب
لقوم يؤمنون يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعا لأن النذارة والبشارة
إنما تنفعان فيهم أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا
أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس آدم
وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه
أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ليسكن إليها ليطمئن
إليها ويميل ولا ينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس وإذا كانت
بعضا كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة

نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما أنث في قوله
واحدة منها زوجها ذهابا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها
آدم ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها فكان التذكير
أحسن طباقا للمعنى فلما تغشاها التغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان
والإتيان حملت حملا خفيفا عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى
من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع
بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفه علي كبدي حين حملته فمرت به فمضت
به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل حملت حملا خفيفا
يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت
يعني كانت قادرة على القيام والقعود من غير مشقة وكلفة
به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله
أفتمارونه وأفتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به
فلما أثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك أقربت وقرئ أثقلت
على البناء للمفعول أي أثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم
وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ إليه
فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه
وبرئ وقيل ولدا ذكرا لأن الذكورة من الصلاح والجودة والضمير
في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما ما
طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء أي جعل أولادهما
له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك
فيما آتاهما أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما
يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم

خفيفا صا

من غير أن تلده ناقصا ولا إزلاق أي من غير أن تسقطه

أقربت دنا وقت ولادتها

همّا

فيما آتاهما الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس
وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر
وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل
قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد
ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها
عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي
جعلا له شركا فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف
وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما
ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال
فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركا او احدثا لله
اشراكا في الولد ۞ اجريت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله
وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى
ايشركون ما لا يقدر على خلق شي كما يخلق الله وهم يخلقون لان
الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شي لانه جماد وهم يخلقون لان
عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ۞ ولا يستطيعون لهم
لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من
الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ۞
وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى
ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون
من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما
يجيبكم الله

اضاف قصي ولده الى صنمين مناف والعزى وواحد الى نفسه وآخر الى داره التي هي دار الندوة

علي ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه
ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء
للفصل ۞ ولا تولوا قرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير في
عنه لرسول الله لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شي واحد من يطع الرسول
فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك
الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة
اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا
عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون
لستم كالصم المكذبين من الكفرة ۞ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير
سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن
طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم
كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ۞ ثم قال ان شر الدواب
اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم
عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ۞
ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم
للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا
يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه
او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل
هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير
وسويد بن حرملة

كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا
جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن
اهل الكتاب ﴿اذا دعاكم﴾ وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان
استجابة رسول الله كاستجابته وانما تذكر احدهما مع الاخر للتوكيد
والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض
وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو
في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت
اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم
لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله
والثاني ان دعاه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله
ان يقطع صلاته ﴿لما يحييكم﴾ من علوم الديانات والشرائع لان العلم
حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها
لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله
تعالى بل احياء عند ربهم ﴿واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه﴾ يعني انه
يميته فيفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب
ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه
الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه
تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل
معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته
ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان

ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فاما ما يثاب عليه
العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء
والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا
كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى
عليه شيء من ضمائره فكانه بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء
ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى
الوقف على لغة من يقول مررت بعمر ﴿فتنة﴾ ذنبا قيل هو اقرار
المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا ﴿وقوله
لا تصيبن الذين ظلموا﴾ لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة للفتنة
فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة
ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا
فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا
ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر
الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على
ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله
حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط
اي بمذق مقول فيه هذا القول لان فيه لون الورقة التي هي لون
الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب
القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم
الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من
اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا

اي بعد اليوم

هو زبير بن العوام

Copyright © King Saud University

يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه يوما اذ
اقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله كيف حبك لعلي
فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا
قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان
يدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا
قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز في قوله الذين ظلموا منكم (وزان التي طرحه)
قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى
لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس
ﻫ اذ انتم نصب على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت
كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم
قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء
منافين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة
الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من
الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا
الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم
ضلالا يوكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق
والغنائم وجعلهم ملوكا ﻫ معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام
ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا
خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل
خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه
لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا

فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به واما اماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها
وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني
ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح
القبيح وحسن الحسن وروي ان النبي صلى الله عليه حاصر يهود بني
قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير
على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه
اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه
الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله
ورسوله فنزلت وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله
لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام
حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل
نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني
فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت
فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق
به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما (بدل من قوله الثلث)
ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم هو
ام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون
نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا امانتكم على
التوحيد ﻫ جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة

Copyright © King Saud University

وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده
وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه
هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد
حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون الاية وقيل هي من
جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا
نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام
باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم
ويبث صيتكم واثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا
حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا
للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية
في الدنيا والاخرة لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين
كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما
اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكر بك وذلك ان قريشا
لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار
الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال
انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم
فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري
رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة
تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون
فقال ابليس بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم

فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم
ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما
وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه
في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم واذا طلبوا
العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم
رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول
الله وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه
فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه
وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا
فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم
ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم
ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ
ليثبتوك بالتشديد وقرا النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس
ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق ويمكرون ويخفون المكايد
له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير
الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا
ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب لو نشاء لقلنا مثل
هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم
لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان
يشاءوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح
المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة

قال توشح الرجل بثوبه وسيفه

اي اتبعوا اثره

المائة ان يقول احدا لشاعرين لصاحبه ما تتحى من المكانة ان ينال الجواب الاسد

وان ثمامنهم واحد يبتغلوا بالمتاع المشيه ومع ما علم وظهر ظهور الشمس
من حرصهم على ان يقهروا رسول الله ونهايا لكيهم على ان يقهروه وقيل
قائله النضر بن الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون
لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جآء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم
واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذاك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل
ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القران هو
الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر
ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا
فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال
في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم
بمن يقول على سبيل التخصص والتعيين هذا هو الحق وقرا الاعمش هو الحق
بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وهي في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت
السما كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد
كثر الامطار في معنى العذاب **فان قلت** ما فائدة قوله من السماء
والامطار لا يكون الا منها قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا
السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السما موضع
السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم
اي بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض
العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه
قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل
من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو
الحق فامطر علينا حجارة من السما ولم يقولوا ان كان هذا هو

الحق فاهدنا له اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم
غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما
عذاب استيصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون
بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم الا
يعذبهم وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان ليعذبهم
وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم
يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي لو كانوا ممن
يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك
منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم
المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين
وما لهم الا يعذبهم الله واي شي لهم في انتفا العذاب عنهم يعني لا
حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم
يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية واخراجهم
رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم
فنصد من نشا وندخل من نشا وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع
اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره واربابه ان اولياؤه
الا المتقون من المسلمين ليس ممن كان برا تقيا
فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من
كان يعلم وهو معاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة
العدم المكا فعال بوزن الثغا والرغا من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكا

يبس كل مسلم ابو ... ممن يصلح

Copyright © King Saud University

كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفة نحو الوضا والقرا وقرى مكا
بالقصر ونظيرها البكى والبكا والتصدية التصفيق تفعلة من
الصدا او من صد يصد اذا ضج ومنه يصدون وقرا الاعمش وما
كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فان قلت ما وجه
هذا الكلام قلت هو من قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاوه
اداهم سودا او محدرجة سمرا والمعنى انه وضع القيود والسياط
موضع العطا ووضعوا المكا والتصدية موضع الصلاة وذلك انهم
كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنسا وهم مشبكون بين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول الله في
صلاته يخلطون عليه فذوقوا العذاب بالقتل والاسر يوم بدر بسبب
كفركم وافعالكم التي لا تقدم عليها الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين
يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من
كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك
منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر
ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم
اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله
اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن
عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان
ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم
وبين المومنين سجالا قبل ذلك ويرجعون طلقا كتب الله لاغلبن انا ورسلي
والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه

ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المومنين
ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع
والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم
اولئك اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي
انفقه المشركون في عداوة رسول الله من المال الطيب الذي انفقه المسلمون
كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله
فتكوى بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم
تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا
وقرى ليميز على التخفيف قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه اي قل
لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم لقيل ان تنتهوا
يغفر لكم وهي قراة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه ان ينتهوا
عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم
ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم
تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا
وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف
لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه
قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق
عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضا حقوق الله وتبقى عليه
حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه
قضا العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا
بالارتداد

الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الاولين

Copyright King Saud University

ويرى يعضدهم على ان الضمير لله عز وجل ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾
الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ﴿ويكون الدين كله لله﴾ ويضمحل عنهم كل
دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده ﴿فان انتهوا﴾ عن الكفر واسلموا
﴿فان الله بما يعملون بصير﴾ يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون
بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه
والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء
﴿وان تولوا﴾ ولم ينتهوا ﴿فان الله مولاكم﴾ اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته
﴿انما غنمتم﴾ ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط
﴿فان لله﴾ مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه
وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه
والمشهورة آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس
فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف
الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم
وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه
بالسكون **فان قلت** كيف قسمة الخمس قلت عند ابي حنيفة انها
كانت في عهد رسول الله على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه
من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ
بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول
الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم
ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة
فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو

الجعفي صاحب الصحيح في الاحاديث

المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين
وابن السبيل واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم
ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى
اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي
فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه
من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم
لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين
والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض الى اجتهاد
الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضهم دون بعض وان
راى غيرهم اولى واهم فغيرهم **فان قلت** ما معنى ذكر الله وعطف
الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول
لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره
ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه التقرب وان يراد بقوله
فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من
وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال
فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين (الشافعي ابو حنيفة) وعلى الثاني ما قال ابو العالية
انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه
كان رسول الله صلى الله عليه يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه
قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل
ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس
رضي الله عنه انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض

Copyright © King Saud University

فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وكذلك روى عن عمر ومن بعده من الخلفا
وروى ان ابا بكر رضى الله عنه منع بنى هاشم الخمس وقال انما لكم ان
يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما
الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لا يعطى من الصدقة شيا ولا يتيم
موسر وعن زيد بن على رضى الله عنه كذلك قال ليس لنا ان نبنى منه قصورا
ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن على رضى الله عنه
انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا
وعن الحسن فى سهم رسول الله انه لولى الامر من بعده وعن الكلبى ان
الاية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر
بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت
بم تعلق قوله ان كنتم امنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى
ان كنتم امنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا
عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد
ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوى
فيه المومن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اى ان كنتم امنتم بالله
وبالمنزل على عبدنا وقرى عُبُدنا كقوله وعُبُد الطاغوت بضمتين
يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد
ما انزل عليه من الايات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شى قدير
يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك
اليوم اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادى بالكسر والضم والفتح
وقرى بهن وبالعدية على قلب الواو يا لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير
حصين

خدمة منه جعلت له خادما

اسم جمع يريد به الرسول والمؤمنين

كما فى الصبية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى فان قلت
كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احديهما بالياء والثانية بالواو
قلت القياس هو قلب الواو يا كالعليا واما القصوى فكالقود
فى مجيئه على الاصل وقد جا القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما
كثر استعمال استصوب مع مجى استصاب واغيلت مع اغالت
والعدوة الدنيا مما يلى المدينة والقصوى مما يلى مكة والركب اسفل
منكم يعنى الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل
واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع
المحل لانه خبر للمبتدا فان قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز
الفريقين وان العير كانت اسفل منهم قلت الفائدة فيه الاخبار عن
الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب
الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم فى مثل
هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر
الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التى اناخ بها
المشركون كان فيها الما وكانت ارضا لا باس بها ولا ما بالعدوة الدنيا
وهى خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت
العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف
حميتهم وتشحذ فى المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج
الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على
الحرم على بذل جهيداهم فى القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم
بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان

Copyright © King Saud University

يبرحوا مواطنهم ولا يخلّوا مراكزهم وبذلوا منتهى نجدتهم
وقصارى شدّتهم وفيه تصوير ما دبّر سبحانه من أمر وقعة بدر
ليقضي أمرا كان مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين
إحدى الطائفتين مبهمة غير مبيّنة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين
في الخروج وشخّص بقريش من عندهم مما بلغهم من تعرّض رسول الله
لأموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبّب الأسباب حتى أناخ هؤلاء
بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها
حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة
وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا
فثبّطكم قلّتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبّطهم ما في قلوبهم من تهيّب
رسول الله والمسلمين فلم يتّفق لكم من التلاقي ما وفّقه الله وسبّب له
ليقضي متعلق بمحذوف أي ليقضي أمرا كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه
وقهر أعدائه دبّر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحياة
للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بيّنة لا عن مخالجة
شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين
وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان
من وقعة بدر من الآيات الغرّ المحجّلة التي من كفر بعدها كان مكابرا
لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بإظهار التضعيف
لسميع عليم يعلم كيف يدبّر أموركم ويسوّي مصالحكم أو لسميع عليم
بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه إذ يريكهم الله نصبه
بإضمار اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم

المصالح إذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك أن الله عز وجل
أراهم إياه في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم
وتشجيعا على عدوّهم وعن الحسن في منامك في عينك لأنها مكان النوم كما
قيل للقطيفة المنامة لأنها ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسّف وما
أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب
وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الإقدام ولتنازعتم في الرأي
وتفرّقت فيما تصنعون كلمتكم وترجّحتم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلّم أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف
إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر
والجزع وإذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني وإذ يبصّركم إياهم
قليلا نصب على الحال وإنما قلّلهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول
الله وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدّوا ويثبتوا
قال ابن مسعود لقد قلّلوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم
سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا
ويقللكم في أعينهم حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور
فإن قلت الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض
في تقليل المؤمنين في أعينهم قلت قد قلّلهم في أعينهم قبل اللقاء
ثم كثّرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلّة مبالاة بهم ثم تفجأهم
الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفلّ شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم
وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدّوا
لهم وليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح الآية البيّنة من قلّتهم

ترجّحتم أي تردّدتم وتمايلتم

هذا أيضا إشارة إلى ما بعد اللقاء

اولا وكثرهم آخرا فان قلت باى طريق يبصرون الكثير قليلا وقلت
ما زين الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون
له الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم
ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي
لا ارى هذين الديكين اربعة ﴿اذا لقيتم فئة﴾ اذا حاربتم جماعة
من الكفار وترك ان يصفها لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقا
اسم للقتال غالب ﴿فاثبتوا﴾ لقتالهم ولا تفروا ﴿واذكروا الله
كثيرا﴾ في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم
اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ﴿لعلكم تفلحون﴾ لعلكم تظفرون
بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر
عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة
لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المومنين
في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان
ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا
لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم ﴿ولا تنازعوا﴾ وقرى بتشديد
التاء ﴿فتفشلوا﴾ منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي
ويدل على التقديرين قراءة من قرا وتذهب ريحكم بالتاء والنصب ويذهب
ريحكم بالياء والجزم ﴿وتذهب ريحكم﴾ الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه
بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ
امره ومنه قوله اتنظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادي
وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا

واهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي
نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلهم وذهاب ريحهم
﴿كالذين خرجوا من ديارهم﴾ يعني اهل مكة حين نفروا لحماية العير
فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم
فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا
القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورياؤهم
الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت
عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين
مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية
الله مخلصين اعمالهم لله ﴿واذ زين لهم الشيطان اعمالهم﴾ التي
عملوها في معاداة رسول الله ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون
واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم ﴿فلما تلاءت
الفئتان نكص﴾ الشيطان وتبرا منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود
الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم
وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب
فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر
الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب
لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل
كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين اتخذلنا
في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلقوا
وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة

المعازف الملاهي والعازف اللاعب بها وقد عزف يعزف عزفا وعزيف الرياح اصواتها

فقد

فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا
انه الشيطان وفي الحديث ما رؤي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا
اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤي يوم بدر فان قلت
هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان
لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر
تقديره لا غالب كائن لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في
قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف
ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم
يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله
فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل
على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي
ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما
ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف وقرئ
يتوفى بالياء والتاء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان
يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد
ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي
والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني
عندهم ان يضربوه يعطي الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة
الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيهمد
مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون
على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق مقدمة عذاب النار

او ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد
كلما ضربوا بها التهبت النار او ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب
لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم
يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء
وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب
كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب
الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد
او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله
ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل الرفع اي دأب
هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا
فيه اي داوموا عليه وواظبوا او كفروا تفسير لدأب آل فرعون وذلك
اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله
لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا
ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة
حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى
حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة
تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة
الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات
فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم
الى اسوأ مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم
بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبو الرسل عليم بما يفعلون

يمكن ان يقال انهم تمكنوا من الايمان واعرض الايمان والهداية لهم ثم تركوا ذلك ولم يؤمنوا ولم يهتدوا بل بقوا على كفر فكان ذلك كان حاصلا لهم فغيروه

Copyright © King Saud University

كدأب آل فرعون للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران
النعم وجحود الحق وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب وكل
كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم
بالكفر والمعاصي ﴿الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ أي أصروا على الكفر
ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله
أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا
وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب
بن الأشرف إلى مكة فحالفهم ﴿الذين عاهدت منهم﴾ بدل من الذين كفروا أي
الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار
وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود ﴿وهم لا يتقون﴾
لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار ﴿فإما تثقفنهم﴾
فإما تصادفنهم وتظفرن بهم ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ ففرق عن محاربتك
ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا
يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود
فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا
شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة
من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لأنه إذا شرد الذين
وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء وأوقعه فيه لأن الوراء جهة
المشردين فإذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من
فيه فلم يبق فرق بين القراءتين ﴿لعلهم يذكرون﴾ لعل المشردين
من وراءهم يتعظون ﴿وإما تخافن من قوم﴾ معاهدين ﴿خيانة﴾ ونكثا

فإنه لما قال دأبهم كدأبهم قال كل من الغرقى والقتلى كانوا ظالمين

شذر مذر وروي بكسر الشين والباء والميم وبذر اتباع وكذا مذر

٧١

بأمارات تلوح لك ﴿فانبذ إليهم﴾ فاطرح إليهم العهد ﴿على سواء﴾
على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخبارا
مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب
وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ﴿إن الله لا يحب
الخائنين﴾ فلا يكن منك إخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء
في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور
في موضع الحال كأنه قيل فانبذ إليهم ثابتا على طريق قصد سوي
أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ
والمنبوذ إليهم معا ﴿سبقوا﴾ فاتوا وأفلتوا من أن نظفر بهم
﴿إنهم لا يعجزون﴾ إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم
وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لأنهم كل واحد من المكسورة والمفتوحة تعليل
إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح
وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ
الأعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وفتحها على حذف النون
الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل
فيه أصله أن سبقوا فحذف أن كقوله ومن آياته يريكم البرق
واستدل عليه بقراءة ابن مسعود أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على
إنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين
مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا
فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين
كفروا سبقوا وهذه الأقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة

فيكون حالا من النابذ

أعجزه الشيء فاته وأعجزت الرجل وجدته عاجزا

حفص وحمزة ويزيد

بالياء شامي ويزيد

وفتح السين شامي وحمزة وعاصم وكذا الباقون

أي أنفسهم

التي تفرد بها حمزة بن حبيب وعن الزهري انها نزلت في من افلت من فل المشركين
من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله
صلى الله عليه يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ومات عقبة
عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم
للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى
المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرا الحسن ومن ربط
بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا
للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه سئل عمن
اوصى بثلث ماله في الحصون فقال تشترى به الخيل فترابط في سبيل الله
ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر
ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرئ بالتخفيف والتشديد
وقرا ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم
عدو الله وعدوكم هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل
المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث
ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي
ان صهيل الخيل يرهب الجن جنحوا له واليه اذا مال والسلم تؤنث
تانيث نقيضها وهي الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به
والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن
ابن عباس ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد
بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف
على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم

ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرا الاشهب العقيلي
فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في
جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخدعهم
قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله فان محسبك الله قال
اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا
والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه
من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء
على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد
يأتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله واتحدوا
وانشأوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع
من كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتوادد واماط عنهم من التباغض
والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك
الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد
وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما
اهلك ساداتهم ورؤساهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم
امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد
والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه
ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى
اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا
وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى
مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان

Copyright © King Saud University

اذا كانت الهيجا وانشقت العصا
فحسبك ... في المفصل

عطفا للظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال فحسبك والضحاك سيف مهند
والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المومنين الله ناصرا او يكون في محل
الرفع اى كفاك الله وكفاك المومنون وهذه الاية نزلت بالبيدا
في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد البادية
بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم
اسلم عمر فنزلت ه التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض
وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان تسميه
حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر ومحرضا فيه ليهيجه
فيتحرك منه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص
ويقال حركه وحرضه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله التحريك التحريش
وبشارة بان الجماعة من المومنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من
الكفار بعون الله وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اى بسبب ان
الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم
فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه
خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار
من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة
وكان رسول الله بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة
راكب فقيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة
فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم
قلة في الابتدا ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف ه وقرئ ضعفا
بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفا جمع ضعيف

وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف
الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا
متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة
الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة
على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت بين مقاومة لان الحال قد تتفاوت
العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف
الالفين ه قرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى
الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته
حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة وهي الغلظ
والكثافة يعني يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز
الاسلام ويقويه بالاستيلا والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان
ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزلت فاما
منا بعد واما فدا وروى ان رسول الله صلى الله عليه اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس
عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم
لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر
كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هولا ايمة الكفر وان الله
اغناك عن الفدا مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له
فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون
الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان
مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه

Copyright King Saud University

انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق
وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد
منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء
الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان
فداوهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا
الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال
يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت
فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى
من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء
لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي
﴿تريدون عرض الدنيا﴾ حطامها سمي به لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء
﴿والله يريد الاخرة﴾ يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان
في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرا بعضهم والله يريد الاخرة بجر الاخرة
على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا
ومعناه والله يريد عرض الاخرة على التقابل يعني ثوابها ﴿والله عزيز﴾
يغلب اولياءه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء
ولكنه ﴿حكيم﴾ يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون ﴿لولا كتاب من
الله سبق﴾ لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطاء
وكان هذا خطا في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في
اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله
وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم وافل لشوكتهم

٧٤

وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور
لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم
نهي عن ذلك ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم
اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم ﴿واتقوا
الله﴾ فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى الفاء
قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا
مما غنمتم ﴿حلالا﴾ نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي
اكلا حلالا وقوله ﴿ان الله غفور رحيم﴾ معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما
فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب
عليكم ﴿في ايديكم﴾ في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى
﴿في قلوبكم خيرا﴾ خلوص ايمان وصحة نية ﴿يؤتكم خيرا مما اخذ منكم﴾ من الفداء
اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الاخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم
خيرا عن العباس كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله ان يكن ما
تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد
الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان
رسول الله قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث
فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في
وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل
فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد
انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد الا الله

ولا اوقية

اي لكن المشركين اكرهوني على محاربة المسلمين

Copyright King Saud University

ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما
اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي
الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم
ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي
وروي انه قدم على رسول الله مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلوة
الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله
وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة
مما اخذ منكم على البناء للفاعل وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه
من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل
في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما
رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة
منع ما ضمنوا من الفداء الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم
حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم
على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء بعض يتولى بعضهم بعضا
في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة
دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر من توليتهم في الميراث
ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه
صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا وعليكم النصر فواجب عليكم
ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز
لكم نصركم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك

ألست بربكم قالوا بلى

مضاف الى الفاعل

والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في
المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين
كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب
وان يتركوا يتولون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي ان لا
تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى التوارث
تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم
وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض
ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان
الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء اولئك هم المؤمنون
حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة
الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس
بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد
الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين
بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه
وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث
بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن
وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة
وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق
ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته في الدنيا

Copyright © King Saud University

اي عدد الآي

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة اسماء براءة. التوبة. المقشقشة. المبعثرة. المشردة.
المخزية. الفاضحة. المثيرة. الحافرة. المنكلة. المدمدمة.
سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق
اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتحفر عنها
وتفضحهم وتنكل بهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن
حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله
ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت بآية
التسمية كما في سائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما
فقال ان رسول الله صلى الله عليه كان اذا نزلت عليه السورة او الآية قال اجعلوها
في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله ولم يبين لنا اين نضعها
وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانت تدعيان
القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة
نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب
في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام
لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه قد كتب الى اهل الحرب
بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم
الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ومن دعي
الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب
لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا
امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في

القتال تعدان السابعة من الطوال وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول
ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطوال وقيل
اختلف اصحاب رسول الله فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة
وقال بعضهم هما سورتان فتركت بسم الله لقول من قال هما سورة
واحدة ۞ براءة خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية
متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الذين والمعنى هذه براءة
واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان
الى فلان ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر
الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب
على اسمعوا براءة وقرأ اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح
مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد
الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت لم علقت
البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله
في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما
نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من
ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين
روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا
الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين
وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر اين شاؤوا ولا يتعرض لهم
وهي الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع
من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر

فتركت بينهما فرجة لقول من قال انهما سورتان ح

في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذكر لصيانة الاشهر الحرم ص

رسول الله ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه راكب
العضبا ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا
يودي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغا فوقف وقال هذا
رغا ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان
ابا بكر قال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر
الى رسول الله فقال يا رسول الله اشي نزل من السما قال نعم فسر وانت على الموسم
وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله
اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلث عشرة
ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل مومن وان يتم الى كل ذي عهد
عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد ورا ظهورنا
وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما
امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان
يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا
خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا
رضي الله عنه فان قلت الاشهر الاربعة ما هي قلت عن الزهري
ان براة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر
ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم
او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل العشرون من ذي القعدة

لما كان بعض الطريق هبط جبريل

الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت
للنسي الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت
ما وجه اطباق اكثر العلما على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم
وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح
قتال المشركين فيها • غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو
مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب • واذان ارتفاعه
كارتفاع براة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول
من قال انه معطوف على براة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك
زيد قائم وعمرو قاعد • والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان
والعطا بمعنى الايمان والاعطا فان قلت اي فرق بين الجملة الاولى والثانية
قلت تلك اخبار بثبوت البراة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت
فان قلت لم علقت البراة بالذين عاهدوا من المشركين وعلق الاذان
بالناس قلت لان البراة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما
الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين
ومن لم ينكث • يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج
ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه
ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي
وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات
في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة
تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم
واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل

اراد بيوم النحر

Copyright to King Saud University

اي الحج الذي في تلك السنة

فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر
لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم
يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء
التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان بمعنى
القول ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل ان المكسورة
واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء
معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا
سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله بريء من رسوله فانا منه بريء فلببه
الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية
فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي
والاعراض عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير سابقي الله ولا فائتين اخذه
وعقابه [illegible] ثم استثنى فقوله الا الذين عاهدتم قلت
وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين
ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا
الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء
بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين لكن الذين لم
ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر
ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين
فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم
قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة
عيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي

على رسول الله فانشده لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم
ينقضوكم بالضاد المعجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم
فادوه اليهم تاما كملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة
اشهر فاتم اليهم عهدهم فاذا انسلخ الاشهر انقضى كقولهم انجرد الشهر وسنة
جرداء والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا
المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم
من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم
وقيدوهم وامنعوهم من التقلب في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان
يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم
به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا
سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا
تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس رضي
دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف
لهم من الكفر والغدر وان احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر
تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان
من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين
بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع
ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فأجره حتى
يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك

للاعلام التي تنصب في المفاوز

داره النبي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شيت من غير غدر ولا
خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة
وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل
منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة
قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الآية وعن السدي
والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني
الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام
وما حقيقته ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا
الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين
عهد عند رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت
لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم
ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم
يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم
فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين
يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين
على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال
وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب
اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم
من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم
لا يرقبوا الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان
لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الال الاها وقرئ

اي غير منسوخة ولكن مراده انه نقيض المتشابه

اي ولكن الذين عاهدتم ص

ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق
الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق
الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم
وشهروه من الال وهو الجوار وله اليل اي انين يرفع به صوته
ودعت الكليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت
به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم
كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد
الثبات منهم على العهد وتابى قلوبهم لما فيها من الاضغان
لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون
خلعاء لا مروة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض
الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر
احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن والاسلام
ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا
عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم
هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن
الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان
لم تعلموا آباءهم فاخوانكم ونفصل الآيات ونبينها وهذا اعتراض
كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما
فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في
دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر
موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا

وطرحا العادات الكرام الاوفيا من العرب ثم آمنوا واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا
عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفا بالعهود وقعدوا
يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشي فهم ايمة الكفر وذوو الرياسة
والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام
طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا
طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ
لا ايمان لهم اى لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث
ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم
ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان
لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان
يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشفعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا
يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله
فقاتلوا ايمة الكفر اى ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد
من العظايم ان تكون المقاتلة سببا في انتهايهم عما هم عليه وهذا من غاية
كرمه وفضله وعوده على المسي بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ
ايمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اى بين مخرج الهمزة والياء
وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما
التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن
محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء
المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي

حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا
في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم
بدءوكم اول مرة اى وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول
الله جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم
عنها الى القتال فهم البادءون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من
ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك
مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان
من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال
من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها
اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه
فتقاتلوا اعداءه ان كنتم مومنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا
يخشى المومن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله
لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم
ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديكم قتلا ويخزيهم
اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشفي صدور طائفة من المومنين وهم
خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله يشكون اليه فقال
ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه
وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صدق
رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان
بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن
اسلامهم

الصواب قلوبهم بما لقوا

Copyright © King Saud University

وقرئ وتتوب بالنصب باضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر
من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل
إلا ما اقتضته الحكمة أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود
الحسبان والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخلص منكم
وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من
الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت
على أن تبين ذلك وإيضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله
يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل
في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير
المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل
والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في
يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح منهم وما استقام
أن يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما
القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل
مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد
ولأن كل بقعة منه مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا
لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو
صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقته طريقة الكناية
كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك
بذلك شاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم
أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله

لأنها لم تحرم كما حرمت أخواتها كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن

وبعبادته ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا
أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها
بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها
وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل
قد أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق
علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله وقطيعة الرحم
لوا وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال
٤ أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت أعمالهم التي هي العمارة
والحجابة والسقاية وفك العناة وإذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال
الثابتة الصحيحة إذا تعقبها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار
في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنون بين
العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم
إنما يعمر مساجد الله ومن بالتوحيد أي إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون
معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها
وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن
الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له
المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه
يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا
ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة
وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش

هدم الكبيرة مذهب المعتزلة دون أهل السنة والجماعة

وروي فيقعدون

Copyright © King Saud University

وقال عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على
المزور أن يكرم زائره وعنه من ألف المسجد ألفه الله وقال صلى الله عليه
إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس رض
من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما
دام في ذلك المسجد ضوؤه فإن قلت هلا ذكر الإيمان برسول الله قلت
لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة
والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد
غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول
وقيل دل عليه بذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فإن قلت كيف قيل
ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها قلت
هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره
لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه
أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام
ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك أن يكونوا من
المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع
بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا
وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى
اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون
ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح
الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران

من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره
أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه
قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج
وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم
المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم
بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد
الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل
إن عليا قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله فقال
ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما
نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على
سقايتكم فإن لكم فيها خيرا هم أعظم درجة عند الله من أهل السقاية
والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون لا أنتم والمختصون بالفوز
دونكم قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه
وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة
كان قبل فتح مكة من لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة
ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في
الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت
أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل
الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله
ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه لا يطعم أحدكم

طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس
ويبغض في الله اقرب الناس اليه ، وقرئ عشيرتكم وعشيراتكم وقرا
الحسن وعشائركم ، تربصوا حتى ياتي الله بامره وعيد عن ابن عباس هو
فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة او آجلة وهذه آية شديدة لا ترى
اشد منها كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب
حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده
من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على
الآباء والابناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا
ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته
فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ
الدين ولا يبالي كانما وقع على انفه ذباب فطيره ، مواطن الحرب مقاماتها
ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي
وامتناعه من الصرف لانه جمع على صيغة لم يات عليها واحد والمواطن
الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة
فان قلت كيف عطف الزمان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه
وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد
بالموطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا
بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم
حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع
تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا
به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر ، وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه

الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة
منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف
فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا
قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله وقيل
قائلها رسول الله وقيل ابو بكر وذلك قوله اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا
قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله
هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول
الله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس
آخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة
شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من آيات
النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح
بالناس فنادى يا للانصار فخذا فخذا يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة
فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم
البياض على خيول بلق فنظر رسول الله الى قتال المسلمين فقال هذا
حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا
ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكاني انظر الى رسول الله
يركض خلفهم على بغلته ، بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي
مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع
الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها يعني
مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم
اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ، ثم وليتم مدبرين انهزمتم

Copyright © King Saud University

سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا ﴿على المؤمنين﴾ الذين انهزموا
وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب ﴿وانزل جنودا﴾
يعني الملئكة وكانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الاف وستة عشر الفا ﴿وعذب الذين
كفروا﴾ بالقتل والاسر وسبي النسا والذراري ﴿ثم يتوب الله﴾ اي يسلم
بعد ذلك ناس منهم وروي ان ناسا منهم جاوا فبايعوا رسول الله على
الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي
اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فقيل سبي يومئذ ستة الاف نفس
واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير
القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساكم واما اموالكم
قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقام رسول الله فقال ان هولا
جاوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب
شيا فمن كان بيده شي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا
وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا
فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاكم فليرفعوا ذلك الينا
فرفعت اليه العرفا ان قد رضوا ﴿...﴾ النجس مصدر يقال نجس نجسا
وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس
ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم
او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم
نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضا واهل المذاهب
على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف
الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جا

تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ فلا
يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية ﴿بعد عامهم هذا﴾
بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه
على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه
حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول
الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من
المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد
وعن عطا ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم
من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه
وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا
عن ذلك ﴿وان خفتم عيلة﴾ اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما
كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب ﴿فسوف يغنيكم
الله من فضله﴾ من عطائه او من تفضله بوجه اخر فارسل السما عليهم
مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش
فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا
العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من
اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح
البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة
﴿ان شا﴾ ومعنى قوله ان شا ان اوجبت الحكمة اغناكم وكان مصلحة لكم في دينكم
﴿ان الله عليم﴾ باحوالكم ﴿حكيم﴾ لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب ﴿...﴾ من الذين
اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود

مثنية والنصارى مثلثة وإيمانهم باليوم الآخر لأنهم فيه على خلاف
ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لأنهم لا يحرمون ما حرم في
الكتاب والسنة وعن أبي روق لا يعملون بما في التوراة والإنجيل وأن
يدينوا دين الحق وأن يعتقدوا دين الإسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل
وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذه دينه ومعتقده
سميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه أو
لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالإعفاء عن القتل عن يد إما أن يراد يد
المعطي أو الآخذ فمعناه على إرادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد
مواتية غير ممتنعة لأن من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد
ولذلك قالوا أعطى بيده إذا انقاد وأصحب ألا ترى إلى قولهم نزع يده
عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه أو حتى يعطوها عن يد
إلى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطي إلى يد الآخذ
وأما على إرادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية
أو عن إنعام عليهم لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة
عليهم وهم صاغرون أي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن
يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس
وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أدّ الجزية وإن كان يؤديها
ويزخ في قفاه وتسقط بالإسلام عند أبي حنيفة ولا يسقط به خراج
الأرض واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبي حنيفة تضرب على كل كافر
من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي إلا على مشركي العرب وحدهم روى
الزهري أن رسول الله صلى الله عليه صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان

تلتله زعزعه واقلقه

زخه دفعه في وهده ودعه

من العرب وقال لأهل مكة هل لكم في كلمة إذا قلتموها دانت لكم
بها العرب وأدت إليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي
العجم والمأخوذ عند أبي حنيفة في أول كل سنة من الفقير الذي
له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر
ضعف الضعف ثمانية وأربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند
الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان أو غنيا كان
له كسب أو لم يكن عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله
وعزير اسم أعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع
صرفه ومن نوّن فقد جعله عربيا وأما قول من قال سقوط التنوين
لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ أحد الله أو لأن الابن وقع وصفا والخبر
محذوف وهو معبودنا فتمحّل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود
ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه
سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك
وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى
عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام
يسيح في الأرض فأتاه جبريل فقال له إلى أين تذهب قال أطلب العلم
فحفّظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما
جمع الله التوراة في صدره وهو غلام إلا أنه ابنه والدليل على أن
هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم
على التكذيب فإن قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك
قولهم بأفواههم قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد أنه قول لا يعضده

خرمه أي خرقه

برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ
المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان وذلك أن القول الدال
على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول
بالفم لا غير والثاني أن يراد بالقول المذهب كقولهم قول أبي حنيفة يريدون
مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم
لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه
لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهون لا بد فيه من حذف
مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف
إليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى أن الذين كانوا في عهد رسول الله
من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني أنه كفر قديم فيهم
غير مستحدث أو يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير
للنصارى أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم
أقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي
التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ
قاتلهم الله أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم
كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله ما أعجب فعلهم أنى يؤفكون
كيف يصرفون عن الحق اتخاذهم أربابا أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي
وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الأرباب في أوامرهم ونحوه
تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا أبت لا تعبد
الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت إلى رسول الله وفي عنقي صليب من ذهب
فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى

قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما أبالي أطعت مخلوقا في معصية الخالق
أو صليت لغير القبلة وأما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد أهلوه
للعبادة ألا ترى إلى قوله قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين
وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص
في الإنجيل والمسيح عليه السلام إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
سبحانه تنزيه له عن الإشراك به واستبعاد له ويجوز أن يكون الضمير في
وما أمروا للمتخذين أربابا أي وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب إلا
ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون
مثلهم مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه بالتكذيب بحال
من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية
القصوى من الإشراق والإضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول
على الدين كله على أهل الأديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين فإن قلت
كيف جاز أبى الله إلا كذا ولا يقال كرهت أو أبغضت إلا زيدا قلت
قد أجرى أبى مجرى لم يرد ألا ترى كيف قوبل يريدون أن يطفئوا بقوله
ويأبى الله وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا أن يتم نوره معنى أكل الأموال
على وجهين إما أن يستعار الأكل للأخذ ألا ترى إلى قولهم أخذ الطعام
وتناوله وإما على أن الأموال يؤكل بها فهي سبب للأكل ومنه قوله
يأكلن كل ليلة إكافا أي يأكلن علفا يشترى بثمن إكاف ومعنى أكلهم بالباطل
أنهم كانوا يأخذون الرشى في الأحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع
والذين يكنزون يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة
على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم أخذ البراطيل وكنز الأموال والضن بها

استشهاد بما حكى الله تعالى عن قول عيسى عليه السلام

عن الإنفاق في سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير
المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظاً
ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء
في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم وقيل نسختها الزكاة آية الكنز
وقيل هي ثابتة وإنما عنى بترك الإنفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي
صلى الله عليه ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان باطناً وما بلغ أن يزكى
فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهراً وعن عمر رضي الله عنه أن رجلاً سأله عن أرض
له باعها فقال أحرز مالك الذي أخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال
أليس بكنز قال ما أدي زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما أديت زكاته
فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكر الله وإن
كان على ظهر الأرض فإن قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد أنها لما
نزلت قال رسول الله تباً للذهب تباً للفضة قالها ثلاثاً فقالوا له أي مال
نتخذ قال لساناً ذاكراً وقلباً خاشعاً وزوجة تعين أحدكم على دينه
وبقوله عليه السلام من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره
دينار فقال رسول الله كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان
قلت كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله
أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالاً من حيث أذن له فيه ويؤدي عنه ما
أوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن
عبيد الله يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن
القنية لأن الإعراض اختيار للأفضل والأدخل في الورع والزهد في الدنيا
والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي

أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الأفضل فإن قلت
لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهاباً بالضمير إلى المعنى
دون اللفظ لأن كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم
فهو كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به إلى الكنوز
وقيل إلى الأموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله
فإني وقيار بها لغريب وقيار كذلك فإن قلت لم خصا بالذكر من بين
سائر الأموال قلت لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء ولا يكنزهما إلا من
فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال
فكان كنزهما دليلاً على ما سواهما فإن قلت ما معنى قوله يحمى
عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم وأحميته ولا تقول أحميت على الحديد
قلت معناه أن النار تحمى عليها أي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله
نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فإن قلت فإذا كان
الإحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله
يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الإسناد
عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة
قلت رفع إلى الأمير وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالتاء وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء
فإن قلت لم خصت هذه الأعضاء قلت لأنهم لم يطلبوا بأموالهم
حيث لم ينفقوها في سبيل الله إلا الأغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس
وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصوناً عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالإكرام
ويحتشمون ومن أكل الطيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة
الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم

قانون

تضلع أكل حتى تضلع أي انتفخ وملأ أضلاعه وشرب حتى تضلع

Copyright King Saud University

من امواله لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه ذهب اهل الدثور
بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه
مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوا ظهورهم وقيل معناه
يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم وظهورهم هذا
ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم
وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه
لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرى
تكنزون بضم النون اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين
في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح
اربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب
ومنه قوله عليه السلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت
الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسي الذي كان في الجاهلية
وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة
ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم
واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما فكانوا يعظمون الاشهر
الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه
وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت العرب النسي فغيروا فلا
تظلموا فيهن انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطا بالله ما يحل
للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت

السمر والشمال

وعن عطا الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله
وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج
بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الايه وان كان ذلك محرما في سائر
الشهور كافة حال من الفاعل او المفعول مع المتقين ناصر لهم حثهم
على التقوى بضمان النصر لاهلها النسي تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك
انهم كانوا اصحاب حروب وغارات واذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون
شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا
تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام
اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي
الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما
زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم
الوقت ولذلك قال عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني
من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسي اي اذا احلوا
شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى انه
حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف
الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته
ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسي زيادة في الكفر لان الكافر كلما
احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا
احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرى يضل على البناء
للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على البناء للفاعل الله عز وجل وقرا الزهري

انما النسي زيادة في الكفر

اي من بينها وعرضها

Copyright © King Saud University

ليواطئوا بالتشديد. والنسيء مصدر نسأه اذا أخّره يقال نسأه
نسأ ونسأ ونسيئا كقولك مسّه مسّا ومساسا ومسيسا وقرئ
بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بحذف الهمزة وهما تخفيف
النسيء والنسء. فان قلت ما معنى قوله فيحلّوا ما حرّم الله قلت
معناه فيحلّوا بمواطاة العدّة وحدها من غير تخصيص ما حرّم الله
من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها. زيّن لهم سوء اعمالهم
خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة. والله لا يهدي اي
لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زَيَّن لهم سوء اعمالهم على البنا للفاعل
وهو الله عز وجل. اثّاقلتم تثاقلتم وبه قرا الاعمش اي تباطأتم
وتقاعستم وضمّن معنى الميل والاخلاد فعدّي بالى والمعنى ملتم
الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاقّ السفر ومتاعبه ونحوه
اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم
وقرئ أاثّاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ. فان قلت
فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانعه ان يعمل فيه قلت ما دلّ
عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله
في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد
رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد
الشقّة وكثرة العدد فشقّ عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلعم في غزوة
الا ورّى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعدّ الناس تمام العدّة.
من الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة. في الآخرة في جنب الآخرة
الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم

٨٦

مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم
قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غنيّ عنهم في نصرة دينه لا يقدح
تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اي ولا تضرّوه لان الله وعده
ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله
قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص
فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه
وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا
رجل واحد ولا اقلّ من الواحد فدلّ بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في
المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة
وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج
الى الكفّار كما اسنده اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين
همّوا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه. ثاني اثنين احد
اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وابو بكر الصديق رضي الله عنه
يروى ان جبرئيل صلوات الله عليه لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال
ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون. واذ هما بدل
من اذ اخرجه والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على
مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا. اذ يقول بدل ثان وقيل طلع المشركون
فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله وقال ان تصب اليوم ذهب دين
الله فقال عليه السلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار
بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال
رسول الله اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يتردّدون حول الغار ولا يفطنون

هذا اشارة الى تفسير قوله ولا تضروه شيئا

قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد
كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة
سكينته ما القى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون
اليه والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين
كفروا دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ وكلمة
الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتدأ وفيها تاكيد فضل
كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم
خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته
عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا
من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل
وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله اعلي
ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله
ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص
فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد
الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي
استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن
الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى
عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف
والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع
وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما
على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال

الدنيا

الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه
غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا الشقة
المسافة الشاطة الشاقة وقرا عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين
والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفا
بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين
اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين
يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو
استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار
بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة
المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان
كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع
في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون
او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب
وما يحلفون عليه من التخلف ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا
معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها
من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه
لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال
حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية
عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه
اخطات وبئس ما فعلت لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو
ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم

وهلا استأنيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه
وقيل شيئان فعلهما رسول الله ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من
الاسارى فعاتبه الله «لا يستأذنك» ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك
في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي
صلى الله عليه ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى «ان يجاهدوا» في
ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا «والله عليم بالمتقين» شهادة لهم بالانتظام
في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب «انما يستأذنك» يعني المنافقين وكانوا
تسعة وثلثين رجلا «يترددون» عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير
كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر «عدة» قرئ عده بمعنى عدته
فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عِدّه بكسر العين بغير
اضافة وعِدّة باضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت
لما كان قوله «ولو ارادوا الخروج» معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم
للغزو قيل «ولكن كره الله انبعاثهم» كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج
لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي «فثبطهم»
فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث «وقيل اقعدوا» جعل القاء
الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة
وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله لهم في القعود فان قلت
كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى
الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله «لو خرجوا فيكم ما
زادوكم الا خبالا» فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة

اي خذلهم اي جعلهم قاعدين متخلفين

91

فان قلت فلم خطأ رسول الله في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان
اذن رسول الله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول
باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا فكان عليه ان يتفحص عن
كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون
في ترك رسول الله الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه
لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم
بغير اذن من رسول الله قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد
تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم
بالنفاق وانهم لا يومنون بالله واليوم الاخر فان قلت ما معنى قوله
«مع القاعدين» قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان
والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والقواعد
والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى «رضوا بان يكونوا مع الخوالف» «الا
خبالا» ليس من الاستثناء المنقطع في شي كما يقولون لان الاستثناء المنقطع
هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوهم خيرا الا
خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء
من اعم العام الذي هو الشي فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم
العام كانه قيل ما زادوكم شيا الا خبالا والخبال الفساد والشر
«ولاوضعوا خلالكم» ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات
البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا
ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي
وقرا ابن الزبير ولارفضوا من رفضت الناقة رفضا اذا اسرعت وارفضتها

ولكن

بالتمايم وافساد
صح

دعا اعرابي على اخر فقال
جعل الله رزقك نقصا
وطعامك غصصا ومشيك
رقصا وجعل بين عينيك
رمصا وقطعك
حصصا

قال والراقصات الى منى فالغبغب • وقرئ ولاوفضوا فان قلت
كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الف قلت كانت الفتحة
تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القران
وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها
الفا اخرى ونحوه او لا اذبحنه • يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم
بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم • وفيكم
سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون
للمنافقين ويطيعونهم • لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل
والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد
حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة
وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به • من قبل من قبل غزوة تبوك • وقلبوا
لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآرا في ابطال امرك
وقرئ وقلبوا بالتخفيف • حتى جا الحق وهو تاييدك ونصرك • وظهر
امر الله وغلب دينه وعلا شرعه • ايذن لي في القعود • ولا تفتني ولا
توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك
اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل
قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنسا فلا تفتني ببنات
الاصفر يعني نسا الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه
• الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف
وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى • لمحيطة
بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيمة او هي محيطة بهم الآن لان اسباب

وفي سورة الاحزاب لآتوها وقرئ بغير مد وفي الفرائد يكتب الالف

الاحاطة معهم فكانهم في وسطها • ان تصبك في بعض الغزوات حسنة
ظفر وغنيمة • تسؤهم • وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم
احد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا
الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم • من قبل ما
وقع • ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم • وهم
فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله • قرا ابن مسعود
قل هل يصيبنا وقرا طلحة هل يصيّبنا بتشديد اليا ووجهه ان يكون
يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب
ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوّب
رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومن قوله
اسهمي الصائبات والصيب • واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة
معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته
وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولينا اي الذي
يتولانا ونتولاه • حكم بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم • وعلى
الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو
حقهم • الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي
حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة • ونحن نتربص بكم احدى السوأيين
من العواقب • اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السما كما
نزلت على عاد وثمود • او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر • فتربصوا
بنا ما ذكرنا من عواقبنا • انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى
كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه • انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر •

يصيّبنا بالتشديد بمعنى يصيبنا بالتخفيف ه

Copyright © King Saud University

طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم
بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله
قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا
او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله
أسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم
او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسأت الينا او احسنت فان قلت متى
يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك
رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه
ومعناه كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة
محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي
معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل
اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى
انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر وانظر هل
ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي
التقبل اهو ترك رسول الله تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه
ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل
الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله
ورسوله او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزام
الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم
لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه
او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة

٩٣

تبوك وقال لرسول الله هذا مالي اعينك به فاتركني انكم تعليل لرد
انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو ه انهم فاعل منع وهم وان
تقبل مفعولاه وقرئ ان تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم
ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرا السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على
ان الفعل لله عز وجل كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى
في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها
عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرات في بعض
الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه
ذهب الى هذه الآية وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده
المؤمن الى نفسه فان قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم
الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون
قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله او
من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة
واختيار ه الاعجاب بالشيء ان يسر به سرور راض به متعجب من حسنه
والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا
تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه
للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في
ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف
والمجاشم في جمعه واكتسابه وتربيته او لادهم فان قلت
ان صح تعلق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون
قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما

قال عليه السلام لا يقولن احدكم كسلت ولكن ثقلت
التعريض للغنم والنهب
اي كيف يصح ان يكون هذا بارادته

كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون
بالتمتع عن النظر للعاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون
القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية ملجأ مكانا
يلجأون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات
او غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل
هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم
ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع يعني مهارب ومغار
او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ
مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون انفسهم وقرأ ابي
بن كعب متدخلا وقرئ لوالوا اليه لالتجاوا اليه يجمحون يسرعون
اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام
وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد
يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم
وقيل هو ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه يقسم غنائم
حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل
هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في
رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله لا ابا لك اما كان موسى
راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلم احذروا هذا واصحابه
فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التشديد والبناء على
المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا
للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله استعطف قلوب اهل مكة يومئذ

القلعة الحصانة المرتفعة ... راس الجبل

بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا هم لمفاجاة اي وان لم
يعطوا منها فاجاؤا السخط جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا
لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة
وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا
ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما اتانا اليوم
انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات للفقراء
قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا يتجاوزها
الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش
تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان
تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من
الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير
لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي
وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف
الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم
اشراف من العرب كان رسول الله يستالفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا
منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الا
وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون
بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا
وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى
المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات

وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية صح

لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى
في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق
عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم
الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من
الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ
ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل
جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن
السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت
فكيف وقعت هذه الاية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل
بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا
منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها
وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها
ه الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي
بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة
عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن واذن خير كقولك رجل صدق
تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان
يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في
غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير
ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه
يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من
المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون

حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم
ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء
عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم
فيه الا انه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة
والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة
وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك واشتغلت قلوبهم فقال
بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذا جئنا
ناتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم
وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو
اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم
ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرا نافع بتخفيف الذال فان قلت
لم عدى فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام قلت لانه
قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدى بالباء وقصد السماع
من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده
فعدى باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه
عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له
قبل ان آذن لكم فان قلت ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب
قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم ياذن لكم
فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه ه لم يرضوكم الخطاب للمسلمين وكان
المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون
اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم

رجل شهم اي ذكي الفؤاد

ق

إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق
وإنما وحّد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا
في حكم مرضيّ واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني
أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك المحادّة مفاعلة من الحدّ
كالمشاقة من الشق فأنّ له على حذف الخبر أي فحقّ أن له نار جهنم وقيل
معناه فله وأنّ تكرير لأنّ في قوله أنه توكيدا ويجوز أن يكون فأن له
معطوفا على أنه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد
الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم وقرئ ألم تعلموا بالتاء كانوا
يستهزئون بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم
حتى قال بعضهم والله لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت أني قدمت
فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم
وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لأن المعنى يقود
إليه ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معناهم
فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم
كيت وكيت يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة
فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الأمر بالحذر أي ليحذر المنافقون
فإن قلت الحذر واقع على إنزال السورة في قوله يحذر المنافقون أن
تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه
محصّل مبرز إنزال السورة أو أن الله مظهر ما كنتم تحذرونه أي
تحذرون إظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا إلى هذا الرجل

يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله
نبيه على ذلك فقال احبسوا عليّ الركب فأتاهم فقال قلتم كذا
وكذا فقالوا يا نبي الله والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك
ولكنا كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر
أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبأ باعتذارهم لأنهم
كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم
حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به
يلي حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته
لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم
بعد ظهور سركم قد كفرتم قد أظهرتم كفركم باستهزائكم بعد (لأن المنافق لا يعد كافرا)
إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن يعف عن طائفة منكم بإحداثهم التوبة
وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين
على النفاق غير تائبين منه أو إن يعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله
ولم يستهزئوا فلم نعاقبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بأنهم كانوا
مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقرأ مجاهد إن تعف عن طائفة على البناء للمفعول
مع التأنيث والوجه التذكير لأن المسند إليه الظرف كما تقول سير بالدابة
ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة
فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة إن يعف عن طائفة تعذب طائفة (بالتذكير)
بالتأنيث وقرئ إن يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو
الله عز وجل بعضهم من بعض أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم
في قولهم ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم

بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين • يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الإيمان والطاعات • ويقبضون أيديهم شحاً بالمبار
والصدقات والإنفاق في سبيل الله • نسوا الله أغفلوا ذكره •
فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله • هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق
الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجراً
أن يلمّ بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين الإمام الزيادة الخفيفة والمراد أن يأتي ما يكسبه
حين بالغ في ذمهم وإذا كره رسول الله للمسلم أن يقول كسلت لأن
المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق • خالدين فيها
مقدرين الخلود • هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وأنه لا شيء أبلغ
منه وأنه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه • ولعنهم
الله وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين
الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين • ولهم
عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب لا ينفكون عنه صح
النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو
ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفاً من المسلمين
وما يحذرونه أبداً من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم •
الكاف محلها رفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل
فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا
ونحوه قول النمر كاليوم مطلوباً ولا طلباً بإضمار لم أر • وقوله كانوا
أشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم • والخلاق النصيب
وهو ما خلق للإنسان أي قدر من خير كما قيل له قسم ونصيب لأنه نصب أي
لأنه قسم صح

أثبت • والخوض الدخول في الباطل واللهو • كالذي خاضوا
كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه • فإن قلت
أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا كما خضتم مغن عنه صح
كالذي خاضوا قلت فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا
من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر
في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن
أمر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن
تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان
يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم
كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن باستناده إليه
عن تلك التقدمة • حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه إبراهيم عليه
أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين • وأصحاب مدين وأهل مدين وهم
قوم شعيب • والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود
وصالح وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر • فما كان الله
ليظلمهم فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم
بغير جرم • ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه •
بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض • سيرحمهم
الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد
في قولك سأنتقم منك يوماً تعني أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم
الرحمن وداً ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم أجورهم • عزيز غالب على كل شيء
يعني يحييهم الله ويحبهم لا عباده

Copyright © King Saud University

قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلاً موضعه
على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصوراً من اللؤلؤ والياقوت
الأحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد
الرحمن ويدل عليه ما روى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه عدن دار
الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون
والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة
في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله أكبر وشيء
من رضوان الله أكبر من ذلك كله لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة
ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف
الثواب ولأن العبد إذا علم أن مولاه راضٍ عنه فهو أكبر في نفسه مما
وراءه من النعم وإنما تتهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطته تنغصت عليه
ولم يجد لها لذة وإن عظمت وسمعت بعض أولي الهمة البعيدة والنفس
المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي إلى شيء مما وعد
الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع إلى رضاه عني وأن أحشر في زمرة
المهديين المرضيين عنده ذلك إشارة إلى ما وعد أو إلى الرضوان
أي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزاً وروي أن الله عز وجل
يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما
لم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل
من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعاً ولا تحابهم وكل
من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة

النفس المرة التي لا تقبل كل شيء

قوله ولا تحابهم من المحاباة

ويستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن ابن مسعود إن لم يستطع بيده
فبلسانه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه فإن لم يستطع فبقلبه
يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين
على إقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها أقام رسول الله في
غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين
فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن
كان ما يقول محمد حقاً لإخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا
فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله إن محمداً
صادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله
ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب
وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول
الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب
الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد إسلامهم وأظهروا كفرهم بعد
إظهارهم الإسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك
عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى
الوادي إذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف
الإبل وبقعقعة السلاح فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال إليكم إليكم
يا أعداء الله فهربوا وقيل همّ المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس
وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله وما نقموا
وما أنكروا وما عابوا إلا أن أغناهم الله وذلك أنهم كانوا حين قدم

اكفهر عبس قال الشاعر
تلقاه بوجه مكفهر
كأن عليه أرزاق العباد

يتنحوا عن رسول الله يتحولوا

رسول الله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون
الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل الجلاس مولى فامر رسول الله بديته
اثني عشر الفا فاستغنى • وان يتوبوا هي الاية التي تاب عندها
الجلاس • في الدنيا والاخرة بالقتل والنار ﻫ روي ان ثعلبة بن حاطب
قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلم يا ثعلبة قليل تؤدي
شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني
مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال
عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة
فبعث رسول الله مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله الذي فيه الفرائض
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى
رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين
فنزلت فجا ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على
راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجا بها الى
ابي بكر فلم يقبلها وجا بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن
عثمان • وقري لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين وقال ابن
عباس يريد الحج ﻫ فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم
البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر
ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا
ينفك عنها الى ان يموتوا • بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح

صاروا منذرين اي اغنياء

كان زيادة من الفقير تكثرا وتسمون ذلك شنقا

قال رضي الله عنه سخط عليه ربه وتنشر من عليه الشريعة ولم يكن اخذ ذلك مصلحة ونظرة لعل ان يرجوا منه ابدا

وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق • وقري يكذبون بالتشديد •
الم يعلموا بالتا عن علي رضي الله عنه • سرهم ونجويهم ما اسروه من
النفاق والعزم على الاخلاف وما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم
من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها ﻫ الذين
يلمزون محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر
بدلا من الضمير في سرهم ونجويهم وقري يلمزون بالضم • المطوعين المتطوعين
المتبرعين روي ان رسول الله حث على الصدقة فجا عبد الرحمن بن عوف
باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية
الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله
بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت
تماضر امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة
وسق من تمر وجا ابو عقيل الانصاري بصاع فقال بت ليلتي اجر
بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم
الا ريا وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر
بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم وقري بالفتح
والضم • سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعا الا ترى
الى قوله ولهم عذاب اليم ﻫ سال عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه
وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلم ان الله
قد رخص لي فساز يد على السبعين فنزلت سوا عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم

اسم امراة عبد الرحمن لكلانة كان له اربع نسوة

وقيل كانت دنانير

من تمر

اي استقى للناس على اجر صاع

استغفر لهم ام لم تستغفر وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجي به
على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه اصبح ابن العاص وابن العاص سبعين الفا قد ر النواصي
فان قلت كيف خفي على رسول الله وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام
وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف
وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الاية فبين الصارف عن المغفرة لهم
حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين قلت لم يخف عليه
ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورافته على من بعث اليه
كقول ابرهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي الرحمة والرافة
لطف لامته ودعا لهم الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين
استاذنوا رسول الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة
تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطن بمقعدهم بقعودهم
عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم
ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراة ابي حيوة خلف رسول الله
وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه
على انه مفعول له او حال اي قعدوا للمخالفة او مخالفين له ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمومنين وبتحملهم المشاق العظام
لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم
ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما
فيهم ما في المومنين من باعث الايمان وداعي الايقان قل نار جهنم اشد حرا
استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون

في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم
مسرة احقاب تلقيت بعدها مساة يوم انها شبه الصاب
فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساة احقاب
معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر
للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون
في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وانما قال
الى طائفة منهم لان منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف او اعتذر
بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنا
منهم فاستاذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك واول
مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة
عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق
بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرا مالك بن دينار
رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين فان قلت مرة نكرة وضعت
موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال
على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء وهي اكبرهن
ثم ان قولك هي كبرى امراة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امراة واول
مرة واخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما
قيل روي ان رسول الله كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما
مرض راس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال
اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا
لتؤنبني وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما

مات دعاه ابنه حُباب الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله
بن عبد الله الحُباب اسم شيطان فلما همّ بالصلاة عليه قال له عمر أتصلي
على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل فان قلت
كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة
له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا
له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم
الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة
حسنة فشكر رسول الله ذلك واجابته له الى مسألته اياه فقد كان عليه السلام
لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام
واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسألك ان تكفنه
في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعدا وعلما بأن
تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان
وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت
اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيا واني اؤمل
من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من
الخزرج لما راوه طلب الاستشفا بثوب رسول الله وكذلك ترحمه
واستغفاره كان للدعا الى التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم
على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم ان يتعطف على من
واطا قلبه لسانه وراه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلاة عليه
قلت لم يتقدم نهي عنهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم
لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلاة الا اني اعلم

هذا هو الخبر المروي

نهي عن الصلاة

ان رسول الله لا يخادع ومات صفة لاحد وانما قيل ومات بلفظ
الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن
موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وقيل اعيد قوله ولا تعجبك
لان تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة ان يكون
على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم
يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه
الشي الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثنا حديثه ويتخلص اليه وانما
اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه يجوز ان يراد
السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع
القران والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براة لان فيها الامر بالايمان
والجهاد ان آمنوا هي ان المفسرة اولوا الطول ذووا الفضل والسعة
من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف هم
لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقا
والهلاك لكن الرسول اي ان تخلف هولا فقد نهد الى الغزو من هو
خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هولا فقد وكلنا بها
قوما فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين
لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات المعذرون من عذر
في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا
فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التا في الذال ونقل حركتها
الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقا الساكنين وضمها لاتباع
الميم ولكن لم تثبت بهما قراة ومنهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون

اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد
في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان
بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان
غزونا معك اغارت اعراب طيء على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلم
سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله
وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعّذّرون بتشديد العين والذال من
تعذّر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التا لا تدغم في العين ادغامها
في الطا والزاي والصاد في المطّوعين وازّكّى واصّدّق وقيل اريد المعتذرون
بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراة ابن عباس الذين لم
يفرّطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الاعراب
الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في
ادعائهم الايمان وقرأ ابي كذّبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا
منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار الضعفا
الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقرا قيل هم مزينة وجهينة وبنو
عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما
والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على
المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق
للعاتب عليهم قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل
في قوله او جاوكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد
صدق الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة
والذين عدموا آلة الخروج والذين سالوا المعونة فلم يجدوها وقيل

المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر
من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض
دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك
أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا
لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو
حزنا فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استئناف كأنه قيل
ما بالهم استاذنوا وهم اغنيا فقيل رضوا بالدناة والضعة
والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب
في استيذانهم رضاهم بالدناة وخذلان الله اياهم فان قلت
فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استئنافا مثله كأنه قيل اذا ما اتوك
لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا
انه وسط بين الشرط والجزا كالاعتراض قلت نعم ويحسن
لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر
به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال وقوله قد نبانا الله من
اخباركم علة لانتفا تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله
الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم
يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتنيبون
ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر
وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا
تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك
معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة

والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة
والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ﴿ومأواهم جهنم﴾
يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم ﴿لترضوا
عنهم﴾ اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم
﴿فان ترضوا عنهم﴾ فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا
عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم
متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب
بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين
قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف
ان لا يتخلف عنه ابدا ﴿الاعراب﴾ اهل البدو ﴿اشد كفرا ونفاقا﴾ من اهل
الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلما
ومعرفة الكتاب والسنة ﴿واجدر الا يعلموا﴾ واحق بجهل حدود الدين وما
انزل الله من الاحكام والشرائع ومنه قوله عليه السلم ان الجفا والقسوة
في الفدادين ﴿والله عليم﴾ يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر ﴿حكيم﴾
فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه ﴿مغرما﴾ غرامة
وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية
من المسلمين ورياء لا لوجه الله والمثوبة عنده ﴿ويتربص بكم﴾ دوائر الزمان
دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطا الصدقة ﴿عليهم دائرة
السوء﴾ دعا معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وعلا وقالت
اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له
سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك

رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها ﴿والله سميع﴾ لما يقولون اذا
توجهت عليهم الصدقة ﴿عليم﴾ بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد
وغطفان وتميم ﴿قربات﴾ مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه
سبب لحصول القربات عند الله ﴿وصلوات الرسول﴾ لان الرسول
كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على
آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل
يتخذ ما ينفق قربات وصلوات ﴿الا انها﴾ شهادة من الله وتصديق لرجائه
على طريق الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة المؤذنين بثبات الامر
وتمكنه ﴿و﴾ كذلك ﴿سيدخلهم﴾ وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل
هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان
اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الرا وقيل هم عبد الله
ذو البجادين ورهطه ﴿والسابقون الاولون من المهاجرين﴾ هم الذين
صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع
بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ﴿ومن الانصار﴾ اهل
بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم
القران ﴿و﴾ قرا عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون
وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو وصفة
للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ايتوني بابي فقال
تصديق ذلك اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤ من بعدهم
وآخر الانفال والذين امنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو

فقال من اقرأك قال ابي بن كعب فقال اقرأنيه رسول الله وانك لتبيع
القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا
وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا
رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع الانصار بالابتدا وخبره رضي
الله عنهم ومعناه رضي عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم
من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي
قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم يعني حول
بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار
كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي هو
ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت
ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق وعلى ان مردوا صفة موصوف محذوف
كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدا او صفة
لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا
فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه
ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون
عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما
يشككك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم
غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك
ظاهرا كظاهر المخلصين من المومنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك
انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم
مرتين فهما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر

بقيع الغرقد

انا ابن جلا اي وضح امره

ضري من الضراوة وهي الاعتياد

وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله خطيبا
يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق
فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر
وعن الحسن اخذ الزكاة من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون الى عذاب عظيم الى
عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير
الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين
نادمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة
بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بلغهم ما نزل في
المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم
رسول الله صلى الله عليه فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر
فرآهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم
حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم
حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله
هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت
ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم عملا صالحا خروجا
الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم
فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت
كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر
كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه
وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا
واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت

ابتدا الكلام لبيان الكلام الاول

واللبن مخلوطا به صح

Copyright King Saud University

خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاة
شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت كيف قيل عسى ان يتوب عليهم وما
ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة
فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره
بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات
الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في
التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم
واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق
لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي رحمه الله احب ان يقول الوالي
عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك
فيما ابقيت وقرئ ان صلواتك على الجمع سكن لهم يسكنون اليه
وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم
بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط
منهم وقرئ الم تعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد
المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم
ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت
عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وان الله من شانه قبول توبة
التائبين وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما
الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها
اليه وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا
على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد

غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال
الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا
يجالسون فما لهم فنزلت فان قلت ما معنى قوله ويأخذ الصدقات
قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله
قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها
وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة
وقرئ مرجون ومرجأون من ارجيته وارجأته اذا اخرته ومنه المرجئة
يعني وآخرون من المتخلفين موقوفون امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار
ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم
ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار
الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله
واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم
وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب
وارجوا لهم الرحمة وفي مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا
بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة
مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي
ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله ان يأتيهم
فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا
ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من
الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه

رسول الله الفاسق وقال لرسول الله يوم احد لا اجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت
هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا
بما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت بجنود فمخرج
محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي
صلى الله عليه بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة
والليلة الشاتية ونحن نحب ان تصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال انى على
جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شا الله صلينا فيه فلما قفل من
غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن
بن عدى وعامر بن السكن ووحشى قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا
المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه
كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين
ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا ومعازة وكفرا وتقوية
للنفاق وتفريقا بين المومنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا
فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا
لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلى فيه
ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بنى مباهاة او ريا وسمعة او لغرض
سوى ابتغا وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن
شقيق انه لم يدرك الصلاة في مسجد بنى عامر فقيل له مسجد بنى فلان
لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلى فيه فانه بنى على ضرار وكل مسجد
بنى على ضرار او ريا او سمعة فان اصله ينتهى الى المسجد الذى بنى ضرارا

ثم سمى بها المكان

وعن عطا لما فتح الله الامصار على عمر رضى الله عنه امر المسلمين ان يبنوا
المساجد وان لا يتخذوا فى مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت
والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص
كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن
وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل
قوله من قبل قلت باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هولا
بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببنا هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او
الارادة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين
لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه
وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهى يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس
وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدى قبا اوقع وقيل
هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن ابى سعيد الخدرى سالت رسول الله
عن المسجد الذى اسس على التقوى فاخذ حصبا فضرب بها الارض وقال
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده
فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه ومعه
المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امومنون
انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمومنون وانا
معهم فقال عليه السلم اترضون بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا
نعم قال اتشكرون فى الرخا قالوا نعم قال عليه السلم مومنون ورب الكعبة
فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار
الثلثة

خدره بوزن غرفة بطن من الانصار اليه منسوب ابو سعيد الخدرى

اى من تاسيس اول يوم لان من لابتداء الغاية فى المكان عند اصحابنا البصريين وعند الكوفيين فى الزمان وهو المعقول هكذا ذكره نظرا لان تاسيس ليس بظرف مكان

ثم نتبع الاحجار الما فتلا النبي صلى الله عليه رجال يحبون ان يتطهروا
وقرئ ان يطّهّروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات
كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الما اثر البول
وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا
بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين
قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب
للشي المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن
اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه ❁ فمن أسس بنيانه واُسس بنيانه
على البنا للفاعل والمفعول واُسُس بنيانه جمع اساس بنيانه على افعال
جمع اس ايضا واس بنيانه والمعنى فمن اسس بنيان دينه على قاعدة
قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس
على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقا وهو الباطل
والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك
وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى
فان قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل
الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح
به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجي بلفظ الانهيار الذي هو
للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم
فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها ❁ والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي
جانبه الذي يتحفر اصله بالما وتجرفه السيول فيبقى واهيا ❁ والهار
الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر
عن فاعل

اساس على الاضافه
واساس بنيانه
بالفتح والكسر جمع
اس

الجرف ثقيل بمعنى مفعول
وهو ما جرفه السيل

كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه
ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا
ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه
امره وقرئ جرف بسكون الرا فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن
عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق
لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهار به
قواعده وقيل حفرت بقعة في مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه
وروي ان مجمع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف
اصحاب مسجد قبا عمر بن الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في
مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير
المومنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما
اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قاريا للقران
وكانوا شيوخا لا يقرون من القران شيا فعذره وصدقه وامره بالصلاة
بقومه ❁ ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما
حملهم على بنا ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا
وكفرا فلما هدمه رسول الله ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم
تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا
ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم
ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره ❁ الا ان تقطع
قلوبهم قطعا وتفرق اجزا فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة
مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع

اي لا انعم عينك انعاما
ولا اقرها اقرارا اي لا
اجيبك والنعمة بمعنى
مصدر عن قياس

تصويرًا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ يُقطَّع بالياء وتُقطع بالتخفيف وتَقطّع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتُقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول أي إلا أن تُقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن إلى أن وفي قراءة عبد الله ولو قُطّعت قلوبهم وعن طلحة ولو قُطِعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه إلا أن يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندمًا وأسفًا على تفريطهم ❁ مثّل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشرى وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعًا وعن الحسن أنفسًا هو خلقها وأموالًا هو رزقها وروي أن الأنصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله أعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الأمر كقوله تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وقرئ فيَقتُلون ويُقتَلون على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدًا مصدر مؤكد أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يُقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح

قط ولا ترى ترغيبًا في الجهاد أحسن منه وأبلغ ❁ التائبون رفع على المدح أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأُبي رضي الله عنهما التائبين بالياء إلى والحافظين نصبًا على المدح ويجوز أن يكون جرًّا صفة للمؤمنين وجوّز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي التائبون العابدون من أهل الجنة أيضًا وإن لم يجاهدوا كقوله وكلًّا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرأوا من النفاق والعابدون الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شُبّهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه ❁ قيل قال لعمه أبي طالب أنت أعظم الناس علي حقًّا وأحسنهم عندي يدًا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أُنْهَ عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أي أبويه أحدث به عهدًا فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالأبواء ثم قام مستعبرًا فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي ونزلت وهذا أصح لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لأبيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه

Copyright © King Saud University

ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته ﴿ من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم ﴾ انهم ماتوا على الشرك ﴿ قرا طلحة وما استغفر
ابرهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية ﴿ الا
عن موعدة وعدها اياه ﴾ اى وعدها ابرهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك
وتدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها اباه ﴿ فان قلت كيف خفي
على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز
ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز
الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر
الا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول
الله ان فلانا يستغفر لابائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت
وعن علي رضي الله عنه رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له
فقال اليس قد استغفر ابرهيم ﴿ فان قلت ما معنى قوله فلما تبين له
انه عدو لله تبرا منه قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه
لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو
كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ﴿ اواه فعال من اوه كلال
من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه
كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك
﴿ يعني ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره
مما نهى عنه وبين انه محظور لا يواخذ به عباده الذين هداهم للاسلام
ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم

وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا
سبيل عليهم كما لا يواخذون بشرب الخمر ولا بيع الصاع بالصاعين قبل
التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المواخذة بالاستغفار للمشركين قبل
ورود النهي عنه وفي هذه الاية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي
ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم
الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل
كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف ﴿ تاب الله
على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو
بعث للمومنين على التوبة وانه ما من مومن الا وهو محتاج الى التوبة
والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة
ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبيا كما
وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه
من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك ﴿ في ساعة
العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت
الغداة والعشية واليوم   غداة طفت علماء بكر بن وائل   عشية
اذا جا يوما وارثي يبتغي الغنى ﴿ والعسرة حالهم في غزوة تبوك
كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من
الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة
وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا
عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة
زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ﴿

Copyright © King Saud University

كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في
تلك الغزوة والخروج معه ❞ وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه
بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد
ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المومنين كابي لبابه وامثاله
❞ ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم
لكيدودتهم ❞ الثلثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية
ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابه واصحابه حيث تيب عليهم
بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينه او فسدوا من الخالفه
وخلوف الفم وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرا الاعمش
وعلى الثلثة المخلفين ❞ بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة
في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم
فيه ❞ وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها
حرجت من فرط الوحشة والغم ❞ وظنوا وعلموا ان لا ملجا من سخط الله الا
الى استغفاره ❞ ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة
كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما
يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو
عاد في اليوم مائة مره روي ان ناسا من المومنين تخلفوا عن رسول الله منهم
من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا
من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار
ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه
ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى

الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس
ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول
الله فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المومن يتوب من ذنوبه
ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره
واتبع اثر رسول الله ماشيا فقال رسول الله لما راى سواده كن ابا ذر
فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده
ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء
فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البا
فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله
في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه
السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر
له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلثه قال كعب لما قفل رسول الله
سلمت عليه كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا
فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله
ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر
لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة
امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء
من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني
ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت
البشاره فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد

Copyright © King Saud University

وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني
وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله
وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك
امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح
فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب
بن مالك وصاحبيه مع الصادقين وفي من الصادقين وهم الذين
صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم
الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
وقيل هم الثلثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس
الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم
وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء
عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل
ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز له اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين
فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه
على الباساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط
وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس
عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في
شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له
ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم
واهونه فضلا ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا
بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم

وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة
الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته كانه
قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا
مجاعة في طريق الجهاد ولا يطؤن مكانا من امكنة الكفار بحوافر
خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا
يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤنهم
شيئا بقتل واسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح
واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المتابعة
ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام
والحوافر كقوله عليه السلام اخر وطأة وطئها الله بوج
والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ
الكفار يغيظ وطئه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا موكدا
وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل
ما يسوؤهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا
كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك
وكذلك الشر وبهذه الاية استشهد ابو حنيفة رحمه الله ان المدد
القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء
ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني
عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه
المهاجر بن ابي امية وزياد بن ابي لبيد عكرمة بن ابي جهل مع خمس ماية
نفس فلحقوا بعدما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد
الغانمين

وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء ﴿ولا ينفقون نفقة
صغيرة﴾ ولو تمرة ولو علاقة سوط ﴿ولا كبيرة﴾ مثل ما انفق عثمان رضي الله
عنه في جيش العسرة ﴿ولا يقطعون واديا﴾ اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم
والوادي كل منعرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في
الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال
العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك ﴿الا كتب لهم﴾ الا كتب
لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى
عمل صالح ﴿ وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء
﴿ اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم
غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب
لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة
فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر ﴿من كل فرقة﴾
طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير
﴿ليتفقهوا في الدين﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق
في اخذها وتحصيلها ﴿ولينذروا قومهم﴾ وليجعلوا غرضهم ومرمى
همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما
ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر
والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم
ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب
حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين
يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما

ابعد هؤلاء من قوله ﴿لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا﴾ ﴿لعلهم يحذرون﴾
ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو ان
رسول الله صلى الله عليه كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما
انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى
النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان
ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا
من الجلاد بالسيف ﴿ وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد
الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية
قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من
العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه ﴿
﴿يلونكم﴾ يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم
ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾
وقد حارب رسول الله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام
وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا
يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا
المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم
اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم فقال عليك
بالروم ﴿ وقرئ غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة
كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا
وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل
والاسر ومنه ﴿ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله﴾

Copyright © King Saud University

مع المتقين بنصر من اتقاه ولم يتزايد على عدوه ❁ فمنهم من يقول
فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا
إنكارا أو استهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم
الحاصل بالوحي والعمل به وأيكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير أيكم بالفتح
على إضمار فعل يفسره زادته تقديره أيكم زادت زادته هذه إيمانا
❁ فزادتهم إيمانا لأنها أزيد لليقين والثبات وأثلج للصدر أو
فزادتهم عملا فإن زيادة العمل زيادة في الإيمان لأن الإيمان يقع على
الاعتقاد والعمل ❁ فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفرا مضموما إلى كفرهم
لأنهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم
واستحكم وتضاعف عقابهم ❁ قرئ أولا يرون بالياء والتاء يفتنون
يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ❁ ثم لا يتنبهون ولا يتوبون
من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في أمرهم أو يبتلون بالجهاد
مع رسول الله ويعاينون أمره وما ينزل عليه من نصرته وتأييده أو
يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم
وينكل بهم ثم لا ينزجرون ❁ نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون
إنكارا للوحي وسخرية به ❁ قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين
لننصرف فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح
بينهم أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا
يقولون هل يراكم من أحد وقيل معناه وإذا ما أنزلت سورة في عيب
المنافقين ❁ صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم
عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح ❁ بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون

لا يتدبرون حتى يفقهوا ❁ من أنفسكم من جنسكم عربي قرشي
مثلكم ❁ ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز
عليه ما عنتم أي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم
المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب ❁ حريص
عليكم حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق
الذي جاء به ❁ بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم ❁ وقرئ من أنفَسكم
أي من أشرفكم وأفضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة
وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير
رسول الله في قوله رؤوف رحيم ❁ فإن تولوا فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك
فاستعن بالله وفوض إليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك
عليهم ❁ وقرئ العظيم بالرفع ❁ وعن ابن عباس العرش لا يقدر أحد قدره
وعن أبي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم ❁ عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن إلا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة
براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تعديد للحروف على طريق التحدي ❁ تلك آيات الكتاب إشارة إلى ما
تضمنته السورة من الآيات ❁ والكتاب السورة ❁ الحكيم ذو الحكمة
لاشتماله عليها ونطقه بها أو وصف بصفة محدثه قال الأعشى
وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها ❁ الهمزة
لإنكار التعجب والتعجيب منه ❁ أن أوحينا اسم كان وعجبا خبره

وقرأ ابن مسعود عجب اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله
يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان تكون كان تامة وان اوحينا
بدلا من عجب **فان قلت** فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق
بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم
اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم
وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان
يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم
فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا
يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة
وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا
الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس
بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب
الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس
من تلك الاسباب في شي وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا
انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء • ان انذر الناس
ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة
من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس
• ان لهم الباء معه محذوفة • قدم صدق عند ربهم اي سابقة
وفضلا ومنزلة رفيعة **فان قلت** لم سميت السابقة قدما قلت

عطف على قوله ان انذر الناس

لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما
كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها
فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل
وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق • ان هذا ان هذا الكتاب
وما جاء به محمد • لسحر ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله
وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي
قراءة ابي ما هذا الا سحر • يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة
ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها
لئلا يلقاه ما يكره آخرا • والامر امر الخلق كله وامر ملكوت
السموات والارض والعرش **فان قلت** ما موقع هذه الجملة قلت
قد دلت بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض
مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش
واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور
من قضائه وتقديره • وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على
العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملئكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن • ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلكم
العظيم الموصوف بما وصف به • هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة
منكم • فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك وانسان
فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع • افلا تذكرون فان ادنى التفكر والنظر
ينبهكم على الخطأ فيما انتم عليه • اليه مرجعكم جميعا اي لا
ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه • وعد الله مصدر

عطف على قوله اي سابقة

الخلق

موكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر موكد لقوله وعد الله انه يبدؤا
ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض
ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ
انه يبدأ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد
الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ
وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب
حقا اي حق حقا بدء الخلق لقوله احقا عباد الله ان لست جائيا
ولا ذاهبا الا على رقيب وقرئ حق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق
بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم
اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين امنوا وعملوا
صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة
ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في
ضيا منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما
الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضيا
اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او
قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والحساب وحساب الاوقات
من الاشهر والايام والليالي ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا
ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل
بالياء خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر
والتدبر لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطر ببالهم لغفلتهم
المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن

اي احق هذا احقا

ثم قلب الواو همزة لوقوعها طرفا بعد الف زائدة

للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء
لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة واثروا
القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة
واطمانوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا
واملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم
للاستقامة على سلوك السبيل المودي الى الثواب ولذلك جعل
تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة
كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الاخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة
كقوله يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه
الحديث ان المومن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول
له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور
له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت
فلقد دلت هذه الاية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق
والنور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان
الذي لم يقرن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر
كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين
جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم
اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعويهم دعاؤهم لان اللهم
نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم
اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما
تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه

عطف على قوله يهديهم

وذلك ليس بعباده انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفه كقوله
وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا وتصديه واخر دعواهم وخاتمة
دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العلمين ومعنى وتحيتهم
فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحيه الملائكة
اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله اياهم وان هي المخففه
من الثقيله واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله
ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد
اصله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وضع استعجالهم بالخير
موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم
حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر
علينا حجارة من السما يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما
نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا
وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البنا للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراة عبد الله
لقضينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين
لا يرجون لقانا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي
التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم
في طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما
للحجه عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه دعانا
مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال
قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعا حتى يزول
عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل

النهوض او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطر الى
ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان
يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو
اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون
عن الدعا واستدفاع البلا لان الانسان للجنس مر اي مضى على
طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال
والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين
زين للمسرفين تزيين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته
ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما ظرف
لاهلكنا والواو في وجاتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاتهم رسلهم
بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليومنوا
يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا للتاكيد واللام لتاكيد
النفي يعني وما كانوا يومنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله
قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم
والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائده
في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزا
يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم
بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي باليا ثم جعلناكم خلائف الخطاب للذين
بعث اليهم محمد صلى الله عليه اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي
اهلكناها لننظر اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف

في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه
عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة
قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا
شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه ﴿غاظهم ما في القرآن
من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر
ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك ﴿او بدله﴾ بان تجعل مكان آية
عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فامر بان يجيب
عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية
عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الآلهة واما الاتيان بقرآن
آخر فغير مقدور عليه للانسان ﴿ما يكون لي﴾ ما ينبغي لي وما يحل
كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ﴿ان ابدله من تلقاء نفسي﴾ وقرئ بفتح
التاء من غير ان يامرني بذلك ربي ﴿ان اتبع الا ما يوحى الي﴾ لا آتي ولا
اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت
النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل
ولا نسخ ﴿اني اخاف ان عصيت ربي﴾ بالتبديل والنسخ من عند نفسي
﴿عذاب يوم عظيم﴾ فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل
القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا
يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على
الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم
بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم
اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي

من بيان ما ذكر اشارة الى الذم والوعيد

من قبل نفسي

١٧

كما اتيت بالقرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني
ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي فان قلت
فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت
الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك
وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير
فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه
الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة
عليه وتصحيحا لافترائه على الله ﴿لو شاء الله ما تلوته عليكم﴾
يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا خارجا
عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد
العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا
يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من
علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب
التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على
احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا
عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ﴿ولا ادراكم به﴾ ولا
اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته
وارضاته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم
به ورواه الفراء ولا ادرأتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف
همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك لان الالف والهمزة من واد
واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من

الانذار الاعلام مع التخويف

درأته إذا دفعته وأدرأته إذا جعلته دارياً والمعنى ولا جعلتكم
بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني. وعن ابن كثير ولأدراكم
به بلام الابتداء لإثبات الإدراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولأعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني
بهذه الكرامة ورآني لها أهلاً دون سائر الناس. فقد لبثت فيكم
عمراً وقرئ عمْراً بالسكون يعني فقد أقمت فيما بينكم يافعاً وكهلاً فلم تعرفوني
متعاطياً شيئاً من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفاً بعلم وبيان
فتتهموني باختراعه. أفلا تعقلون فتعلموا أنه ليس إلا من الله
لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا
من إضافة الافتراء إليه. فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً يحتمل أن يريد افتراء
المشركين على الله في قولهم إنه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفادياً
مما أضافوه إليه من الافتراء. ما لا يضرهم ولا ينفعهم الأوثان التي هي جماد
لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم
تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيباً على الطاعة معاقباً على
المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة
وهبل وإسافاً ونائلة. ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن
النضر بن الحارث إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى. قل أتنبئون
الله بما لا يعلم أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم
لله وإذا لم يكن معلوماً له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات
لم يكن شيئاً لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبراً ليس له مخبر عنه
فإن قلت كيف أنبأوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من

تقول تواصفوا الشيء من الوصف أي تشاركوا في وصفه

دسست الشيء في التراب أخفيته فيه والتدسيس إخفاء المكر

نصب الأوثان لأنه بيان لما لا يضرهم وهو مفعول يعبدون

على نفع

أي إلا من الله

أي لا أحد أظلم

المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبأوا به
باطل غير منطوٍ تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه
كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه. وقرئ أتنبئون بالتخفيف
وقوله في السموات ولا في الأرض تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو
منتفٍ معدوم. تشركون قرئ بالتاء والياء وما مصدرية أي عن
الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم. وما كان الناس إلا أمة
واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم
وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان
حين لم يذر الله من الكافرين دياراً. فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو
تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة. لقضي بينهم عاجلاً فيما اختلفوا
فيه ولميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت
أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب. ويقولون
لولا أنزل عليه آية من ربه أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها
وكانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم
ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية
على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات
وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا
أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم
في الغي. فقل إنما الغيب لله أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به
لا علم لي ولا لأحد به يعني أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة
أمر مغيب لا يعلمه إلا هو. فانتظروا نزول ما اقترحتموه.

ح من أنبأ

موصولة أو ح

الح وقالوا

Copyright © King Saud University

إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات ه
سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم
رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون
رسول الله ويكيدونه ۔ وإذا الأولى للشرط والآخرة جوابها وهي
للمفاجأة ۔ والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية
الخلق ۔ ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم فإن قلت
ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله أسرع مكرا قلت بلى
دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء
فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم
من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله دبر
عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور
الإسلام ۔ إن رسلنا يكتبون إعلام بأن ما تظنونه خافيا مطويا لا
يخفى على الله وهو منتقم منكم ۔ وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم
قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة أن الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم
بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا ه وقرأ زيد
بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الأرض ثم إذا أنتم بشر تنتشرون
فإن قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير
في البحر إنما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية
للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها
كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من
مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء

فإن قلت ما جواب إذا قلت جاءتها فإن قلت فدعوا
قلت بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به
فإن قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت
المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار
والتقبيح فإن قلت ما وجه قراءة أم الدرداء في الفلكي بزيادة
ياء النسب قلت قيل هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري
ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه والضمير
في جرين للفلك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل وفي قراءة
أم الدرداء للفلك أيضا لأن الفلكي يدل عليه ۔ جاءتها جاءت الريح
الطيبة أي تلقتها وقيل الضمير للفلك ۔ من كل مكان من جميع أمكنة
الموج ۔ أحيط بهم جعل إحاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك
۔ مخلصين له الدين من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ غيره
معه ۔ لئن أنجيتنا على إرادة القول أو لأن دعوا من جملة القول ه يبغون
في الأرض يفسدون فيها ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه من قولك
بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد فإن قلت فما معنى قوله بغير الحق
والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة
وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله
ببني قريظة ۔ وقرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب فإن قلت
ما الفرق بين القراءتين قلت إذا رفعت كان المتاع خبر المبتدأ
الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما
بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض

Copyright © King Saud University

منفعة الحياة لا بقاء لها وإذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة
انما بغيكم على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد
كأنه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع
الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه انه قال لا تمكر ولا
تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها
وعنه عليه السلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي
واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل
بهذين البيتين في اخيه يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله
وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعلى
انما بغيكم على انفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا
في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في
جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه
فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض
زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على
التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها
وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم
وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل
كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها
متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا

اي يعجل الله عقابهما

رف لونه يرف بالكسر رفا ورفيفا اي برق وتلألأ

اغيلت المرأة اذا ارضعت وهي حامل

وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه
قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع
في قطعه واستيصاله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف
المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم
يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه
قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالامس من قول الاعشى طويل الثواء طويل التغني
والامس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا دار السلام
الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها
سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملئكة عليهم
الا قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف
يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى
دار السلام ولا يدخلها الا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى
وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم
من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس
الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبع
مائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة
الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم
فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة
النظر الى وجه الله وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة
نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم
الله شيئا هو احب اليهم منه لا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة
فيها سواد

تغني واغنى بمعنى اي اقام

كسف باله اذا ذل

ولا ذلة ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار
إذكارا بما ينقذهم منه برحمته ألا ترى إلى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة
فإن قلت ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف
يتلاءم قلت لا يخلو إما أن يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين
أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وإما أن يقدر
وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن تجازى
سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول لأن في
الأول عطفا على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وفي هذا دليل على أن
المراد بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل
ثم بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء من الله
من عاصم أي لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة
الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل
ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له وتعضده
قراءة أبي بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فإن قلت
إذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو إما أن
يكون أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله قطعا فكان إفضاؤه
إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة وإما أن يكون معنى الفعل في من الليل
مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وأنتم أكد
به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف
عليه وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم
من معنى الفعل فزيلنا ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل

عند أهل السنة الكل بفضل الله ولا يجب على الله تعالى شيء

هذا على مذهب من يعلى لسم من اسما الفعل ... معنى اقيموا والزموا مكانكم

التي كانت بينهم في الدنيا أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف
وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته
وكلمته ما كنتم إيانا تعبدون إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم
أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم إن كنا هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون
الله من أولي العقل وقيل الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم
بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم هنالك
في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان
للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما أسلفت من العمل فتعرف
كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يتعرف الرجل
الشيء باختباره ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن
عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل أي نختبرها باختبار ما أسلفت من
العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسنا فهي سعيدة وإن كان
سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا
ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت
من الشر وقرئ تتلو أي تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى
طريق الجنة أو إلى طريق النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر
مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته
حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا
وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردوا إلى الله كقوله هذا عبد الله الحق

لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضلّ عنهم ما كا
نوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدّعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما
كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي من فكلم
منهما جميعا لئلا تقتصر برّه فكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع
رحمته أمّن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على
الحد الذي سوّيا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من
الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى
شيء بكلائه وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله
جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا تتقون انفسكم ولا تحذرون
عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال فذلكم اشارة الى من هذه
قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق
النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما
فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد
الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك
اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق
فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا
الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء
الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان
وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون
تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم
من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضع

هذا ايضا انهم بدل من كلمة لكن المراد على هذا الوجه بانهم لا يؤمنون خذلانهم

اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا
رادّا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في
انكارهم لها منكرون امرا مسلّما معترفا بصحته عند العقلاء
وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في
الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق
فكلّم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى
بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امّن لا يهدّي
وقرئ يهدّي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي
فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء
لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى من هداه وهدّاه للمبالغة ومنه
قولهم تهدّى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركّب في
المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها
لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع
فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة
والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى
الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه
او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه امّن لا يهتدي من الاوثان
الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح
منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا
فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله
وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم

هذا ابتداء شروع في معنى قوله قل هل من شركائكم

اهل السنة ان الله هو الهادي بمعنى الخالق للاهتداء

قوله احد اشارة الى ان من في من يهدي نكرة موصوفة

Copyright © King Saud University

ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع
اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا
الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من
اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن
ان يفترى من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه
من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها
كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان
يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو
امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض
من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت بم اتصل
قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك
كانه قال ولكن كان تصديقا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان
تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب
العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا
كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه
على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد
والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه
الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى
بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله
على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم

قال المطرزي في المغرب عايرت المكاييل والموازين اذا امتحنتها والعيار المعيار الذي يقاس به غيره ويسوى

وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا

من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو
القادر على ان ياتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا
وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه بل
كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجأوه في بديهة السماع
قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا
على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم
عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس
بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور
الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل
ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لم
يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت
ما معنى التوقع في قوله ولما ياتهم تاويله قلت معناه انهم
كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للآباء
وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب
قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو
شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة
واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اي مثل
ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات
الانبيا وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآبا
وعاندوا وقيل هم الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون
معنى ولما ياتهم تاويله ولما ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب

اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين
من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا
الى التكذيب به قبل ان يتدبروا نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل
ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به من
يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك
فيه ولا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر
وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان
تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت
كقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم من
يستمعون معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع
ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة
الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال ا تطمع انك تقدر
على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل
ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع
سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر واتحسب انك تقدر على هداية
العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة
قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في الياس
من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر
وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا
الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي
العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا

مفعول له

يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل
وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان
يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق
بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا
انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من النهار يستقربون
وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم
يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم
من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت
كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم
اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان
تتعلق بالظرف واما ان تكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة
لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على
ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله
تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان
بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى
التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك
او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الاخرة فان قلت الله شهيد
على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد
مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قيل ثم الله معاقب على ما
يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد

او البعد بين واما نتوفينك
فلذلك احتاج الى الجواب

شهادته على افعالهم يوم القيمة حين تنطق جلودهم والسنتهم
وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم
لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات
فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل
فانجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به
فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا
من العذاب استبعادا له لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا من صحة او غنى
الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن
فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان
عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء
ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرا ابن سيرين
جاء آجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت
هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه اريد ان ياتيكم عذابه وقت بيات
فيبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت
والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله
نهارا معناه وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه
بياتا وهم نائمون اوضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى
ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء
يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه

من مرض او فقر

التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب
ان يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فان قلت
بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بارايتم
لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو
تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطا فيه فان قلت فهلا قيل ما
ذا تستعجلون منه قلت اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال
وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك
فزعا من مجيئه وان ابطا فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل
منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق
الجملة بارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا
يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد
وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم
كدخوله على الواو والفا في قوله افامن اهل القرى اوامن اهل القرى
آلان على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب
آلان آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان
استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف
الهمزة التي بعد اللام والقا حركتها على اللام ثم قيل للذين
ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلان ويستنبئونك ويستخبرونك
فيقولون احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزا وقرا الاعمش
آلحق هو وهو ادخل في الاستهزا لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك
ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق

من الشرط والجزاء

فيكون اللام ها هنا للعهد

والضمير للعذاب الموعود، وإي بمعنى نعم كما أن هل بمعنى قد في
الاستفهام خاصة، وسمعتهم يقولون في التصديق إيو فيصلونه
بواو القسم ولا ينطقون به وحده، وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب
وهو لاحق بكم لا محالة. ظلمت صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة
ما في الأرض أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع
منافعها على كثرتها، لافتدت به لجعلته فدية لها، يقال فداه
فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه، وأسروا الندامة لما
رأوا العذاب لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم
وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم
يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار
الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه
من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا
وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم
وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها
إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم
وقت إخلاص الندامة. وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم
أسر الشيء وأشره إذا أظهره وليس هناك تجلد، وقضي بينهم أي بين
الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم. ثم أتبع ذلك الإعلام
بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب
فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه
وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون

فهذا دليل على أن الواو من الواو

سررت الشئ كتمته وأعلنته من الأضداد

قد جاءتكم موعظة أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة
وتنبيه على التوحيد. وهو شفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد
الفاسدة ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم. أصل الكلام
بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد
والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما
من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة
لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح
به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك
فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك
فبمجيئها فليفرحوا. وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الأصل والقياس وهي
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتأخذوا مصافكم قالها
في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا وهو راجع إلى ذلك وقرئ مما تجمعون
بالياء والتاء وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته
فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه.
أرأيتم أخبروني، وما أنزل الله ما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في معنى
أخبرونيه، فجعلتم منه حراما وحلالا أي أنزله الله رزقا حلالا كله
فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر
ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، آلله أذن لكم
متعلق بقل وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم
فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه ويجوز
أن تكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء

Copyright King Saud University

وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة
على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد اتقان
وايقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله. يوم
القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك
اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد
عظيم حيث ابهم امره. وقرا عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه
واي ظن ظنوا يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لانه كائن فكان قد كان
ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي
وتعليم الحلال والحرام. ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون
ما هدوا اليه. وما تكون في شان ما نافية والخطاب لرسول الله صلى
الله عليه. والشان الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه
اي قصدت قصده. والضمير في منه للشان لان تلاوة القران شان من شان
رسول الله بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل
من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل
وما تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين
رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه. وما يعزب
وقرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب. ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع
على الابتداء ليكون كلاما براسه وفي العطف على محل مثقال ذرة او على
لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك
لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل. فان قلت لم قدمت الارض على السماء

بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا
في الارض قلت حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته
على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه
لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية
اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر
ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه. لهم البشرى في
الحيوة الدنيا وفي الاخرة فهو توليه اياهم. وعن سعيد بن جبير ان رسول الله
سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت
والهيئة. وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة. وقيل هم
المتحابون في الله. وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه يقول ان من عباد
الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة
لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا
نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال
يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الآية. الذين آمنوا
نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى
والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه
وعن النبي صلى الله عليه هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات. وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن
ابي ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل
بشرى المؤمن. وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال

الاخبات الخشوع والتواضع

Copyright © King Saud University

بالبشرى
الله تعالى تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى
في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلّمين مبشرين بالفوز والكرامة وما
يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرؤون منها
وغير ذلك من البشارات. لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا
إخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي. ذلك إشارة إلى كونهم
مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض. ولا يحزنك وقرئ ولا يُحزنك
من أحزنه. قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك
وإبطال أمرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك. إن العزة استئناف
بمعنى التعليل كأنه قيل ما لي لا أحزن فقيل إن العزة لله جميعا أي
إن الغلبة والقهر في مملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منها لا هم ولا
غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إنا لننصر
رسلنا وقرأ أبو حيوة أن العزة بالفتح بمعنى لأن العزة على صريح التعليل
ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكر من القراءة به
هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو
مكافئهم بذلك. ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض يعني العقلاء المميزين وهم
الملائكة والثقلان وإنما خصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي مملكته فهم عبيد
كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون
شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا أو شريكا وليدل
على أن من اتخذ غيره ربا من ملك أو إنسي فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو
مبطل تابع لما أدى إليه التقليد وترك النظر. ومعنى وما يتبع الذين يدعون شركاء
أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله

في الربوبية محال. إن يتبعون إلا الظن ظنهم أنها شركاء. وإن هم إلا يخرصون
يحزرون ويقدرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز أن يكون وما
يتبع في معنى الاستفهام يعني وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب
بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة
على من كأنه قيل ولله من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم وقرأ علي بن أبي طالب
رضوان الله عليه تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام
أي وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني أنهم يتبعون
الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله أولئك الذين يدعون
يبتغون إلى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة
فقال إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون
من الحق. ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق
بها أن يوحدوه بالعبادة بأنه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما
يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه
مطالب أرزاقهم ومكاسبهم. لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر.
سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء. هو الغني
علة لنفي الولد لأن ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب
في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا. له ما
في السموات وما في الأرض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولدا
إن عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها
أن تتعلق بقوله إن عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك

ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطن
اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين
فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم
يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اى
افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم
في الكفر ومناصبة النبى صلى الله عليه بالتظاهر به ثم يلقون الشقا
المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعلى وانها
لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكانى يعنى نفسه
كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف
مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامى ومكثى بين اظهركم مددا طوالا
الف سنة الا خمسين عاما او مقامى وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا
الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم
مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما
وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه
اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامرى مجمع
والواو بمعنى مع يعنى فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرا الحسن وشركاؤكم
بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام
الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ
فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع
وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز اسناد
الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون

فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي
لا يكون عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعنى
فاجمعوا ما تريدون من اهلاكى واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم
في كيدى وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه
من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثانى ففيه وجهان
احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة
عليهم المكروهة عندهم يعنى ثم اهلكونى لئلا يكون عيشكم بسببى
غصة وحالكم عليكم غمة اى غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة
والثانى ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا
ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اى لا تستر ولكن يجاهر
بها يعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفا
مشهورا تجاهرون به ثم اقضوا الى ذلك الامر الذي تريدون بي
اى ادوا الى قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا
الى ما هو حق عليكم عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه ولا
تنظرون ولا تمهلونى وقرئ ثم افضوا الى بالفاء بمعنى ثم انتهوا
الى بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اى اصحروا
به الى وابرزوه لى فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيرى ونصيحتى
فما سالتكم من اجر فما كان عندى ما ينفركم عنى وتتهمونني لاجله من طمع
في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجرى الا على الله وهو الثواب الذي
يثيبنى به في الاخرة اى ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا
وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا

Copyright King Saud University

يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد
ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن
عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق
عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير «فكذبوه» فتموا على تكذيبه
وكان تكذيبهم له في اخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك
عند مشارفة الهلاك بالطوفان «وجعلناهم خلائف» يخلفون الهالكين
بالغرق «كيف كان عاقبة المنذرين» تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن
انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له «من بعده» من بعد نوح «رسلا
الى قومهم» يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا «فجاؤهم بالبينات»
بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم «فما كانوا ليؤمنوا» فما كان ايمانهم الا
ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه «بما
كذبوا به من قبل» يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين
بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم
احد «كذلك نطبع» مثل ذلك الطبع المحكم نطبع «على قلوب المعتدين» والطبع
جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف
اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به «من بعدهم» من بعد الرسل «باياتنا»
بالايات التسع «فاستكبروا» عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون
العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها «وكانوا قوما
مجرمين» كفارا ذوي اثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على
ردها «فلما جاءهم الحق من عندنا» فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله
لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون

فلان شديد الشكيمة اذا كان شديد النفس انفا ابيا وفلان ذو شكيمة اذا كان لا ينقاد

ان الحق بعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان قلت
هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون
اسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه
وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف
القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه ونحو القول
الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه
والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا
لسحر مبين قيل اسحر هذا وان تكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون
حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح
الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله «لتلفتنا»
لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال «عما
وجدنا عليه اباءنا» يعنون عبادة الاصنام «وتكون لكما الكبرياء» اي الملك
لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد
والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله
ملكه ملك رافة ليس فيه ... جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك
من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا
وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض «وما نحن
لكما بمؤمنين» مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يطبع ويكون لكما
الكبرياء بالياء «ما جئتم به» ما موصولة واقعة مبتدا والسحر خبر اي
الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من ايات الله
وقرئ السحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء

احدها

لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون ثم قيل اسحر هذا

يكون كناية لان الكبرياء اي الملك

شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبي ما أتيتم
به سحر والمعنى لا ما أتيتم به ﴿إن الله سيبطله﴾ سيمحقه أو يظهر
بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة ﴿لا يصلح عمل المفسدين﴾ لا يثبته
ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ﴿ويحق الله الحق﴾ ويثبته ﴿بكلماته﴾
بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته ﴿فما آمن لموسى﴾ في أول أمره
﴿إلا ذرية من قومه﴾ إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل كأنه قيل إلا أولاد
من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة
من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون
وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فإن قلت
إلام يرجع الضمير في قوله وملائهم قلت إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما
يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له ويجوز أن يرجع إلى الذرية
أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون
أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله أن يفتنهم
يريد أن يعذبهم فرعون ﴿لعال في الأرض﴾ لغالب فيها قاهر ﴿وإنه لمن
المسرفين﴾ في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية
﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾ صدقتم به وبآياته ﴿فعليه توكلوا﴾ فإليه أسندوا
أمركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الإسلام وهو أن يسلموا
نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها
لأن التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام إن ضربك زيد فاضربه
إن كانت بك قوة ﴿فقالوا على الله توكلنا﴾ إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا
مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم

من حق الشيء يحق أي ثبت

وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح
للتوكل على ربه والتفويض إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص
﴿لا تجعلنا فتنة﴾ موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن
ديننا أو فتنة لهم يفتتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا
﴿تبوآ﴾ المكان اتخذه مباءة كقوله توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى
اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليه للعبادة
والصلاة فيه ﴿واجعلوا بيوتكم﴾ تلك قبلة أي مساجد متوجهة نحو القبلة
وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول أمرهم
مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم
فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام
بمكة فإن قلت كيف نوع الخطاب فثني أولا ثم جمع ثم وحد قلت
خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما بيوتا ويختاراها
للعبادة وذلك مما يفوض إلى الأنبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما
باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص
موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها
﴿الزينة﴾ ما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك
وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال
فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فإن قلت ما معنى
قوله ﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ قلت هو دعاء بلفظ الأمر كقوله
﴿ربنا اطمس واشدد﴾ وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته
عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا

يصرفوننا

مباءة مفعول ثان لاجعلا

وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من
الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى
الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم
وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان
ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد
غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم
انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك
انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم
لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه
كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع
الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق
كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من
قبول نصيحته وحرجا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى
الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا
جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام
في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم
اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا
اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه وقرا الفضل الرقاشي آلآن ابنت على الاستفهام
واطمس بضم الميم قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون
يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب

فاستقيما
وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة
والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا
ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا
تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ولا تتبعان طريق الجهلة بعادة الله
في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة
وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ
ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية
وبتخفيف التاء من تبع قرا الحسن وجوزنا من اجاز المكان
وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى
واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا
بني اسرائيل البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق
فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرا الحسن وعدوا
وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على
الاستئناف وبدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث
مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطا
وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية
في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن اتؤمن الساعة في وقت
الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك
حين الجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق
في نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر
فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه

وأما ما يضم إليه من قولهم خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين
لله وملائكته وفيه جهالتان إحداهما أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان
الأخرس فحال البحر لا يمنعه والأخرى أن من كره إيمان الكافر وأحب
بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضا بالكفر كفر ﴿من المفسدين﴾ من
الضالين المضلين عن الإيمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي أن جبريل
أتاه بفتيا ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته
وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس
الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق
في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه ﴿ننجيك﴾ بالتشديد
والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من
الأرض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح
بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور
﴿ببدنك﴾ في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن
أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو عريانا لست
إلا بدنا من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معدي كرب
أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رحمة الله عليه بأبدانك
وهو على وجهين إما أن يكون مثل قولهم هوى بأجرامه يعني ببدنك كله وافيا
بأجزائه أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها ﴿لمن خلفك آية﴾ لمن
وراءك من الناس علامة وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون

١٢٢

أعظم شأنا من أن يغرق وروي أنهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت
أبدا وقيل أخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله
على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه على ممر من بني إسرائيل
حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون
ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ومهانته وأن ما كان
يدعيه من الربوبية باطل محال وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن
وكبرياء الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره أو لتكون
عبرة يعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه إذا
سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف ولتكون
لخالقك آية كسائر آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك على الساحل
وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك
ولئلا يقولوا لادعائك العظمة إن مثله لا يغرق ولا يموت آية
من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد منه
لإماطة الشبهة في أمرك ﴿مبوأ صدق﴾ منزلا صالحا مرضيا
وهو مصر والشام ﴿فما اختلفوا﴾ في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا
إلا من بعد ما قرأوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم
الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا أن لا اختلاف فيه فتفرقوا عنه
وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه واختلاف بني إسرائيل وهم أهل الكتاب
اختلافهم في صفته ونعته وأنه هو أم ليس به بعد ما جاءهم العلم
والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴿فإن كنت﴾ كيف قال لرسوله صلى الله عليه

فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب
قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك
لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض
والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا
منه تقديرا • فسئل الذين يقرؤن الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم
ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان
امر رسول الله مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه
ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من
خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع
الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق
فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك
وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن
غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى
رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه • ثم قال لقد جاءك الحق
من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك
هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية • فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من
الذين كذبوا بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء
المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج
والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن
آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام

عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس
لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب رسول
الله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم
كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه
الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت
في شك فسل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا
كما ازداد ابرهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرؤن
الكتب • حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه
في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك
كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك • فلولا
كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر
واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما
اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه • فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها
لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابي وعبد الله فهلا كانت • الا قوم
يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع
بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة
في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس
وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن
الجحدري والكسائي روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض
الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول
العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس

وقرئ فاسأل
وقرئ يقرؤن الكتب

حرف التحضيض

إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك
فلما مضت خمس وثلثون أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا
شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم
فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها
فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأظهروا الايمان والتوبة
وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة
وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان
يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ
من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم
قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها
فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت
وجلت وانت أعظم منها وأجل افعل بنا ما انت أهله ولا تفعل
بنا ما نحن أهله ۞ ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في
الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان
مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله أفأنت تكره الناس يعني
انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت
وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور
عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك
فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم عنده الى
الايمان وذلك غير مستطاع للبشر ۞ وما كان لنفس يعني من النفوس

لكن اردنا ان يؤمنوا بالاختيار ليحصل الثواب والعقاب

التي علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو
الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون
على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو
العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون ۞ ماذا
في السموات والارض من الايات والعبر وما تغني الايات والنذر
والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم
وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية
۞ ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها
نعها
۞ ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية
الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك ننجي المؤمنين
مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد ۞
يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده
فهذا ديني فاستمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه
بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا
اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد
الله الذي يتوفيكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى
فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وأمرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله
امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم

Copyright © King Saud University

في شك من ديني وما انا عليه اأثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا
تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم
واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة
على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت
ان اكون واصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من
الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون
من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر وان اقم
عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا يخلو من ان تكون
التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان تكون التي للعبارة
وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول
بكونها موصولة مثلك لا اولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة
حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ
سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل
على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر
والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك
استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا حنيفا حال من الدين او الوجه
فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكني
عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذن جزاء للشرط وجواب
لسؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين
لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي
عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل

امرتك بالخير فاصدع بما تؤمر

هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده
دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك
بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو
الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان
ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن
ممسكات رحمته وان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني
قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل
واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به
منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة
في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله
يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشية مشية المصلحة
قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار
الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال
فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل
اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار
الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ
موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير
واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك
بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه
الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني
اني امرت في هذه الاية بالصبر على ما ساماني الكفرة فصبرت فاصبروا

لان فيه قصرا ولا قصر ثمة

اشارة الى مذهبه

اراد الاستيثار بالفيء

انتم على ما يسوءكم من امراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة
رضي الله عنه تخلف عن تلقي معوية حين قدم المدينة وقد تلقته
الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا
دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك
يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه يا معشر الانصار انكم ستلقون
بعدي اثرة قال معوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر
قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

الا ابلغ معوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي
بانا صابرون ومنظروكم الى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

احكمت اياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل
كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم
الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم
وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها
الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير

ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا

وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد
بالفوائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت
فصولا سورة سورة واية اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة
واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص
وقرئ احكمت اياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن
عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت
ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال
كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان
كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا محذوف واحكمت
صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر
وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها
وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها
وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور ان لا تعبدوا مفعول له على معنى
لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول
كانه قيل لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان
استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما
مبتدا منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه اغراء منه على اختصاص
الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك
عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير
في منه لله عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من
الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم
بثوابه ان امنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت
معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا

Copyright King Saud University

استقاموا
والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم ا
يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة
واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه
حياة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعطي في الاخرة كل من كان له فضل
في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات
تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا
عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم
والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل
شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وان تولوا من
ولي يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على
الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه
كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع
رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى
اضماره الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك الحجر فانفلق معناه فضرب فانفلق
ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا
كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم
واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت
في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفا
والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم
غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول
الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله

١٣٦

الثن بالكسر يبس الحشيش

مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين
وقرئ تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى
من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس
لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش
وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش
من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن
من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ
تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ
الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن
ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر
مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل
الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب
ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب
فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق
السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش
والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن
الريح والله اعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته
وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم
متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن
لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب
المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه

Copyright © King Saud University

ذلك اختبار المختبر وان ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم
كيف تعملون وان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت
لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول
انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع
من طرق العلم وان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين
هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتتفاوت
الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين
استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر
واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون
ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه
ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
قرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم
ائت السوق انك تشتري لحما وانك تشتري بمعنى علك اي ولئن قلت
لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول
بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين باتين القول ببطلانه ويجوز
ان تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر
باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا
الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث واذا جعلوه سحرا فقد اندرج
تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون
الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب الاخرة وقيل
عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة

اطرح بمعنى طرح

من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه
التكذيب والاستهزاء ويوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل
به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم
معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ
المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط
بهم ما كانوا به يستهزئون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع
يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء
والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره الانسان
للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم
سلبناه تلك النعمة انه ليؤوس شديد الياس من ان يعود اليه مثل
تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا
تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف
له من التقلب في نعمة الله نساء له ذهب السيئات عني اي المصائب
التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من
نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين امنوا فان عادتهم
ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا
يقترحون عليه ايات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين
لكانت اية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا
انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به
وبغيره مما جاء به وكان يضيق صدر رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه
ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم

Copyright © King Saud University

واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك أي
لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم وتهاونهم
به وضائق به صدرك بأن تتلوه عليهم أن يقولوا مخافة أن يقولوا
لولا أنزل عليه كنز أي هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة
ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال إنما أنت نذير أي ليس
عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا
عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا والله على كل شيء وكيل
يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل
أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير
ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فإن قلت
لم عدل عن ضيق إلى ضائق قلت ليدل على أنه ضيق عارض غير
ثابت لأن رسول الله كان أفسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد
وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث
قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري
بمنزلة أما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها العكلي
أم منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى إليك تحداهم أولا بعشر
سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب
عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن مثل خطه
قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى أمثاله ذهابا
إلى مماثلة كل واحد منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا
افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم

وأرخى معهم العنان وقال هبوا أني اختلقته من عند نفسي ولم يوح إلي
وأن الأمر كما قلتم فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند
أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام
فإن قلت كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا
غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وإن كان
مفترى فإن قلت ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله لكم
فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين
لأن رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقال في موضع آخر فإن لم يستجيبوا
لك فاعلم ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله فإن شئت حرمت النساء سواكم
ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب للمشركين والضمير في فإن لم يستجيبوا
لمن استطعتم يعني فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة
على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه فاعلموا
أنما أنزل بعلم الله أي أنزل ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق
وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه واعلموا عند ذلك أن لا إله إلا الله
وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم فهل أنتم مسلمون
مبايعون بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد
ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي أنتم
عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وعلى
التوحيد ومعنى فهل أنتم مسلمون فهل أنتم مخلصون نوف
إليهم نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا
وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم أهل الرياء

يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن
وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت
حتى يقال فلان جرئ فقد قيل وعن انس هم اليهود والنصارى
ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق
وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله
فاسهم لهم في الغنائم • وقرئ يوف بالياء اي يوف الله عز وجل ونوف
اليهم اعمالهم بالنون على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات
الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي • وحبط ما صنعوا
فيها وحبط ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا
به الاخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا •
وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل على وجه
صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن
عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية وينتصب
بيعملون ومعناه وباطلا اي باطلا كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على
وبطل بطلانا ما كانوا يعملون • افمن كان على بينة معناه امن كان يريد
الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم
يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن
من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ممن كان على بينة من ربه اي على برهان
من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل • ويتلوه ويتبع
ذلك البرهان • شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن
منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا • ومن قبله ومن

اي زاهد متنسك

وان اتاه خليل يوم مسألة

قبل القرآن • كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا
من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على
بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد
منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على
مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب
موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة • اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة
فيه • ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم • اولئك يعني من كان
على بينة • يؤمنون به يؤمنون بالقرآن • ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل
مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله • فالنار موعده ولا
تك في مرية • وقرئ مرية بالضم وهما الشك • منه من القرآن او من الموعد
• يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد
عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ
ولدا وشريكا • ويقال الا لعنة الله على الظالمين فواخزياه وافضيحتاه
• والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب او اشراف • ويبغونها
عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا
بالارتداد • وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به
• اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا
ان يعاقبهم لو اراد عقابهم • وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم
منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم
الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد • يضاعف لهم العذاب وقرئ
يضعف • ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامهم

معنى الكلام على تقدير النصب

يريد عبد الله بن سلام واضرابه والمراد بالكتاب التوراة

جوا

عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم لا يستطيعون السمع ولعلّ
بعض المجبرة يتوثب إذا عثر عليه فيوعوع به على أهل العدل
كأنه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا أستطيع
أن أسمعه وهذا مما تمجّه سمعي ويحتمل أن يريد بقوله وما كان
لهم من أولياء أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله وولايتها ليست
بشيء فما كان لهم في الحقيقة من أولياء ثم بيّن نفي كونهم أولياء بقوله
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية
وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد ۞ خسروا أنفسهم اشتروا
عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران
أعظم منه وهو أنهم خسروا أنفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع
ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها ۞ لا جرم
فسّر في مكان آخر ۞ هم الأخسرون لا ترى أحدا أبين خسرانا منهم ۞
وأخبتوا إلى ربهم واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع
من الخبت وهي الأرض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال
ينفع الطيّب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت وقيل
التاء فيه بدل من الثاء ۞ شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق
المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان
أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير
بالحشف والعناب وأن يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم أو الذي
جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو في والأصم وفي والسميع لعطف
الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب ۞ هل يستويان

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

لأن الذات واحدة وعلى الأول لعطف الذات على الذات لأن الذاتين متغايران ه

هذا على القراءة بفتح أن ه

هذه فتحة اللفظ كسرة في المعنى

يعني الفريقين مثلا تشبيها ۞ أي أرسلنا نوحا بأني لكم نذير ومعناه
أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله إني لكم نذير مبين بالكسر
فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأنّ والمعنى على الكسر وهو قولك
إنّ زيدا كالأسد وقرئ بالكسر على إرادة القول ۞ أن لا تعبدوا
بدل من أني لكم نذير أي أرسلناه بأن لا تعبدوا إلا الله أو تكون
أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير ۞ وصف اليوم بأليم من الإسناد
المجازي لوقوع الألم فيه فإن قلت فإذا وصف به العذاب
قلت مجازي مثله لأن الأليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما
قولك نهارك صائم وجدّ جدّه ۞ الملأ الأشراف من قولهم فلان
مليّ بكذا إذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالأمر لأنهم مليئوا
بكفايات الأمور واضطلعوا بها وبتدبيرها أو لأنهم يتمالؤون
أي يتظاهرون ويتساندون أو لأنهم يملؤون القلوب هيبة
والمجالس أبهة أو لأنهم ملاء بالأحلام والآراء الصائبة ۞ ما
نراك إلا بشرا مثلنا تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو أراد
أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك من الملأ
ومواز لهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى إلى قولهم وما
نرى لكم علينا من فضل وأرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكا
لا بشرا ۞ والأراذل جمع الأرذل كقوله أكابر مجرميها أحاسنكم
أخلاقا ۞ فرئ بادي الرأي بالهمز وغير الهمز يعني اتبعوك أول الرأي
أو ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث
أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف

واحدة

Copyright © King Saud University

اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير
روية ونظر وانما استرذلوا المومنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب
الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة
الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين
بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد
زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا
يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل
لها على ان الانبيا بعثوا مرغبين في طلب الاخرة ورفض الدنيا مزهدين
فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف
بما يبعدهم من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله «من فضل» من
زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة «بل نظنكم كاذبين» فيما
تدعونه ۞ «ارايتم» اخبروني «ان كنت على بينة» على برهان من ربي وشاهد
منه يشهد لصحة دعواي «واتاني رحمة من عنده» باتيان البينة
على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة
النبوة فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه
على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدر فعميت
بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت
وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت
فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة
جعلت عميا لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم
البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا

بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على
الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه
والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم
على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها
ولا اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز
ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم
ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه
ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان
الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة
الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر ۞ والضمير في قوله
لا اسالكم عليه راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين الا تعبدوا الا
الله «وقرئ وما انا بطارد الذين امنوا بالتنوين على الاصل فان قلت
ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله
فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح
ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما
تقرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر
وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر
كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية او هم مصدقون
بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة «تجهلون» تتسفهون
على المومنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او
تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم ۞ «من ينصرني من الله» من

يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا يسألونه ان يطردهم ليؤمنوا
به انفة من ان يكونوا معهم على سواء ﴿ولا اعلم الغيب﴾ معطوف على
عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم
الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم في الغنى
حتى تجحدوا فضلي بقولكم ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ ولا ادعي
علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في
نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم ﴿ولا اقول اني ملك﴾ حتى تقولوا لي ما
انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم
ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون
مساعدة لكم ونزولا على هواكم ﴿اني اذا لمن الظالمين﴾ ان قلت شيئا
من ذلك ﴿والازدراء﴾ افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر
به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه ﴿جادلتنا فاكثرت﴾ معناه
اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب
﴿فاتنا بما تعدنا﴾ من العذاب المعجل ﴿انما يأتيكم به الله﴾ اي ليس الاتيان
بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ﴿ان شاء﴾ يعني
ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرأ ابن عباس فاكثرت جدلنا فان
قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله
يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في
حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان
احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان
الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه

وشانه

وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف
منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل
ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك
ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم
نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحي ﴿فعلي اجرامي﴾
والاجرام بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم
ونحو جرم واجرام قفل واقفال وينصر الجمع ان فسره الاولون
باثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي
اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتألبوا علي
﴿وانا بريء﴾ يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى ﴿مما تجرمون﴾ من
اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم
﴿لن يؤمن﴾ اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع
﴿الا من قد آمن﴾ الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد
اصابت محزها ﴿فلا تبتئس﴾ فلا تحزن حزن بائس مستكين قال
ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال
والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد
حان وقت الانتقام لك منهم ﴿باعيننا﴾ في موضع الحال بمعنى اصنعها
محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلؤه
ان تزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه
﴿ووحينا﴾ وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع وعن ابن عباس لم يعلم
كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر

الاستكانة الخضوع

Copyright © King Saud University

ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع
العذاب عنهم بشفاعتك إنهم مغرقون إنهم محكوم عليهم بالإغراق
قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه كقوله
يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه من عمله السفينة
وكان يعملها في برية بهماء أي أبعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء
فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت
نجارا بعد ما كنت نبيا فإنا نسخر منكم يعني في المستقبل كما
تسخرون منا الساعة أي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا
وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل إن تستجهلونا
فيما نصنع فإنا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط
الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا أو إن تستجهلونا فإنا
نستجهلكم في استجهالكم لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة
الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق
وروي أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها
ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا
وكانت من خشب الساج (آبنوس) وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الأسفل
الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام
وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد
وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال
والنساء وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة

انما التي لا أمان فيها حقيقته من سلكها يتيهم فيها أي يتحيرون

وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة
يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا
من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال
هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم بإذن الله فإذا
هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلكت
قال لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال
حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة
ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للإنس
وطبقة للطير ثم قال له عد بإذن الله كما كنت فعاد ترابا من يأتيه
في محل النصب بتعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني
به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول
الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب
الآخرة حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط
والجزاء فإن قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع
الفلك أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد فإن قلت
فإذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت
هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه
سخروا منه فإن قلت ما جواب كلما قلت أنت بين أمرين إما
أن تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل أو تجعل
سخروا بدلا من مر أو صفة لملأ وقال جوابا وأهلك عطف على
اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم

Copyright © King Saud University

واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه
القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وإرادته
به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك أراد ابنه وامرأته «إلا قليل»
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه
الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن إسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة
وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد نوح سام وحام
ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء
«بسم الله مجريها» يجوز أن يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل
بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله
أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها إما لأن
المجرى والمرسى للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء
حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج
ويجوز أن يراد مكان الإجراء والإرساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى
الفعل أو بما فيه من إرادة القول والكلامان أن يكون بسم الله مجريها
ومرسيها جملة مقتضبة من مبتدأ وخبر أي بسم الله إجراؤها وإرساؤها
يروى أنه كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن
ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يقحم الاسم كقوله
ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله إجراؤها وإرساؤها أي بقدرته وأمره
وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا إما مصدرين
أو وقتين أو مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل
مجروري المحل صفتين لله فإن قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة

قلت معناه

برهان. بوقع على البدل من الواو ويجوز النصب ايضا

سام ابو العرب والانبياء والملوك واشراف الناس وحام ابو السودان والزنج ولوبة ونوبة ويافث ابو الترك والخزر والخلج وياجوج وماجوج

اي يكونان اسمي المكان لا الاجراء لا بد ان يقع في مكان وكذلك الارساء

اي من جملة مقتطعة يعني غير متعلقة بما قبلها

قلت معناه أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن
مجراها ومرساها بذكر اسم الله أو بأمره وقدرته ويحتمل أن تكون
غير مقتضبة بأن تكون في موضع الحال كقوله وجاؤنا بهم سكر علينا
فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الأول وانتصاب
هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله
بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين «إن ربي لغفور رحيم» لولا مغفرته
لذنوبكم ورحمته إياكم لما نجاكم فإن قلت بم اتصل قوله وهي
تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل
فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم أو تجري وهم فيها
«في موج كالجبال» يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في
تراكمها وارتفاعها فإن قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه
وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والأرض وكانت
الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج
قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل أن يغمر الطوفان الجبال
ألا ترى إلى قول ابنه سآوي إلى جبل يعصمني من الماء «قيل» كان اسم
ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته
وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها
فاكتفيا بالفتحة عن الألف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة
سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت إن الله حكى عنه إن ابني من أهلي
وأنت تقول لم يكن ابنه وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه
فقال ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب واستدل بقوله من أهلي ولم

Copyright © King Saud University

يقال منى لنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي
سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت
منها الانبيا عليهم السلم وقرا السدي ونادى نوح ابناه على الندبة
والترثي اي قال يا ابناه ، والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه
وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب
المومنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه ، يا بني قرئ بكسر اليا اقتصارا
عليه من يا الاضافه وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من يا الاضافه
في قولك يا بنيا او سقطت اليا والالف لالتقا الساكنين لان الرا بعدهما
ساكنة ، الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان
الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المومنين وكان لهم عفوا رحيما
في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الما قال
له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو
مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا
ذا عصمة الا من رحمه الله كقولك ما دافق وعيشة راضية وقيل الا
من رحم استثنا منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم
كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء
للمفعول ، ندا الارض والسما بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ
التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو
قوله يا ارض ويا سما ثم امرهما بما يومر به اهل التمييز والعقل من قوله
ابلعي ماك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض
وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشا غير ممتنعة عليه

واما عكس هذا الوجه بان يكون الاول بمعنى المفعول والثاني بمعنى الفاعل اي لا معصوم لكن الله يرحم من يشا فليس ببعيد لكن لم يذكر المفسرون هذا الوجه كذا قاله ابن الحاجب هـ في شرح المفصل ك

كانها عقلا مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه
وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم
له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول
على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به
مفعولا لا حبس ولا ابطا ، والبلع عبارة عن النشف والاقلاع
الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الما من غاضه
اذا نقصه ، وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه ،
واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل ، وقيل
بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك
والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعا السو ومجي اخباره على الفعل
المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبريا وان تلك الامور العظام
لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل
واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره
يا ارض ابلعي ماك ويا سما اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا
ان تستوي السفينة على الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما
ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علما البيان هذه الاية ورقصوا
لها رووسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي
الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازا تلك المحاسن التي هي اللب
وما عداها قشور ، وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب
وكانت في الما خمسين وماية يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا
وهبط بهم يوم عاشورا وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد

اعتقه الله من الغرق وروى ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط
وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ﴿ونادى نوح ربه﴾ دعاه وله
وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت
فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء
قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء
قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ﴿ان ابني من اهلي﴾ اي بعض
اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله ﴿وان وعدك
الحق﴾ وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه
والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي ﴿وانت احكم الحاكمين﴾
اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل
ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى
القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة
على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض
وطالق على مذهب الخليل ﴿انه عمل غير صالح﴾ تعليل لانتفاء كونه من اهله
وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك
ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك
وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد
بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها
فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك
هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت
لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي

وآذن

١٤٦

وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك
واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله
كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح ﴿فلا تسئلن﴾
بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس
مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف
على كنهه وذكر المسئلة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين
خاف عليه فان قلت لم سمي نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت
قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد
بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل
سؤاله لما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه
والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله
وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه
الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل
القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة
واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم
له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه
ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح
وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق
في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب
ان لا يشتبه ﴿اني اعوذ بك ان اسئلك﴾ من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته

اراد بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان الوعظ هو الزجر

تأدّبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك
وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا وقرئ يا نوح اهبط
بضم البا بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلّما عليك مكرّما
وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ
وبركةٍ عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان
فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل
لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتدا الغاية اي على امم
ناشئة ممن معك وهي الامم الى اخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم
رفع بالابتدا وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك
امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان
السلام منا والبركات عليك وعلى امم ينشئون ممن معك وممن معك مومنين
امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلم ابا
الانبيا والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد
بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مومن ومومنة الى يوم القيمة
وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله
عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل
المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة
الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتدا والجمل بعدها اخبار اي
تلك القصة بعض انبا الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك
من قبل هذا من قبل ايحاي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم
الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة

واذى

واذى قومك كما صبر نوح وتوقّع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما
قيّض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة
للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على
كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه
فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده
اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا
عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ
غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله
الكذب باتخاذكم الاوثان له شركا لا اسالكم عليه اجرا ما من رسول الا واجه قومه بهذا
القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها
الا حسم المطامع وما دام يتوهم شي منها لم تنجع ولم تنفع
افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو
ثواب الاخرة ولا شي انفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا
به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان
والمدرار الكثيرة الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى
الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا
اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص
فكانوا احوج شي الى الما وكانوا مدلّين بما اوتوا من شدة القوة
والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية
وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم
القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي انه وفد

على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال انى رجل ذو مال
ولا يولد لى فعلمنى شيا لعل الله يرزقنى ولدا فقال عليك
بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر فى يوم
واحد سبع مائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سالته
مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فساله الرجل فقال الم تسمع قول
هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين
ولا تتولوا ولا تعرضوا عنى وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه
مجرمين مصرين على اجرامكم واثامكم ما جئتنا ببينة كذب
منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه لولا انزل عليه
اية من ربه مع فوت اياته الحصر عن قولك حال من الضمير فى تاركى الهتنا
كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمومنين
وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا
له من الاجابة اعتريك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا
قولنا اعتراك بعض الهتنا بسوء اى خبلك ومسك بجنون لسبك
اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء
فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذى بهذيان
المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار
خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب
من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه
مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر ما كانوا
عليه فى ايام جاهليته من المودة وما ذاك الا لعرق من الالحاد انى

الا ان يتنفس

الا ان يتنفس وصبابة من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم
المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت
ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير
دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا فى حجارة انها
تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب
من اعظم الايات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا
الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه
منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلم لقومه
ثم اقضوا الى ولا تنظرون اكد براته من الهتهم وشركهم ووثقها
بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة
العباد فيقول الرجل الله شهيد على انى لا افعل كذا ويقول لقومه
كونوا شهدا على انى لا افعله فان قلت هلا قيل انى اشهد
الله واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراة من الشرك
اشهاد صحيح ثابت فى معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده
واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة
بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجى به على
لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه
اشهد على انى لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون
من دونه من اشراككم الهة من دونه او مما تشركونه من دونه اى انتم
تجعلونها شركا له ولم يجعلها هو شركا ولم ينزل بذلك سلطانا
فكيدونى جميعا انتم والهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فانى

المعرة الفساد

لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم
الاقويا الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع
وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني
وتذهب بعقلي ۞ ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته
من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم
ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ
بنواصيها تمثيل لذلك ۞ ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق
والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به ۞ فان تولوا
فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزا للشرط
قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم
محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة
وعداوة الرسول ۞ ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله
ويجي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ۞ ولا تضرونه بتوليكم
شيا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم
وفي قراة عبد الله ويستخلفْ بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل
فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا
تضروا الا انفسكم ۞ على كل شي حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه
اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على الاشيا كلها
حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم
۞ والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف فان قلت ما معنى
تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم

ثم قال

ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من
عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت تدخل
في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد
بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد ۞ وقوله
برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له ۞ وتلك عاد
اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها
واعتبروا ۞ ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم
وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله
لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده ۞
كل جبار عنيد يريد رؤساهم وكبراهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل
ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ۞ ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل
جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله
۞ الا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع
له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت
بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه
الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا
وبلى والله قد بعدوا ۞ قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت
ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه
ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه
بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود
والقصة فيهم والاخرى ارم ۞ هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها

الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاوهم منها خلق آدم من التراب

واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب

وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من

حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما

كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبيا زمانهم ربه

عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي

وعن معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احيا الارض في اخر امره فقيل له

فقال ما حملني عليه الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضا به

ولا يكون له في الارض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من

البقا وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر

في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها

دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضا اعماركم والثاني ان

يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره

من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره

قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وساله فينا

فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا

نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير

فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاونا عنك وعلمنا ان لا خير فيك

وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل

في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد اباونا حكاية حال ماضية

مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفا الطمانينة

باليقين

وجه توالي الشرطين في القرآن في هذا المحل كما مر في قوله ولا ينفعكم نصحي وقوله فما تزيدونني ليس جوابا لواحد من الشرطين

باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي

قيل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان

خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي

على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني

من عذاب الله فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي

وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم

اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون آية نصب على الحال

قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت

فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت

لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب

عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم

يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى

البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم

وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد

وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعا وهلكوا يوم السبت

غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه

مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز

كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد

غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة

بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف

الى غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت

Copyright © King Saud University

علام عطف ولنت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ
كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي
من ذلته ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه
بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر
العذاب الغليظ بعذاب الاخرة ⁘ وقرئ الا ان ثمود ولثمود كلاهما
بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه
للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة ⁘ رسلنا يريد الملئكة عن ابن عباس
جاء جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا
تسعة وعن السدي احد عشر ⁘ بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك
قوم لوط والظاهر الولد ⁘ سلاما سلمنا عليك سلاما ⁘ سلام
امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل
سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت
كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح ⁘ فما لبث ان جاء فما ابطأ في المجيء به
بل عجل فيه او فما لبث مجيئه ⁘ بعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل
والخنش بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر ⁘ حنيذ مشوي
بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا
القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين ⁘ نكرهم
وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن
منكر ومستنكر وانكرك قال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الارض
فخاف ان يريد به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا امس من يطرقهم
طعامهم

امنوه

١٠٣

امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملئكة ونكرهم لانه
تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا
ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن
عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا ⁘ فاوجس فاضمر ⁘ وانما قالوا لا تخف
لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله
او علموا ان علمه بانهم ملئكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون
الا بعذاب ⁘ وامراته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم
وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامراته
قائمة وهو قاعد ⁘ فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل
الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب
وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه
ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت
وقيل فضحكت فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحا
⁘ يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود
او موجود اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له
اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب
كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله
ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ⁘ الالف في يا ويلتا مبدلة من يا
الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن بالياء على الاصل
⁘ شيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر
مبتدا محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدا او شيخ

ص واوجس فاضمر

قالوا

خبراً او يكونان معاً خبراً وقيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولابرهيم
مائة وعشرون. ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث
العادة التي اجراها الله. وانما انكرت الملائكة تعجبها وقالوا اتعجبين من
امر الله لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور
الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي
سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتمجده
مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم
رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها
مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة
فليست بمكان عجب. وامر الله قدرته وحكمته. وقوله رحمت الله وبركاته
عليكم كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب
فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة
النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من
ولد ابرهيم. حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده. مجيد كريم
كثير الاحسان اليهم. واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص
لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن. الروع
ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلبه
بعد الخوف وملئ سروراً بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة
فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما
ذهبوا به واجمعوا. وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب
وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم

ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما جيء
به مضارعاً لحكاية الحال وقيل ان لما يرد المضارع الى معنى الماضي
كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل
يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكو
اهل هذه القرية فقال ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلاً من المؤمنين اتهلكونها
قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا
لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند
ذلك قال ان فيها لوطاً قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله. في قوم
لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيهم خمسة يصلون رفع
عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير
وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان. ان ابرهيم لحليم غير عجول على
كل من اساء اليه. اواه كثير التأوه من الذنوب. منيب راجع
الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب
والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان
يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة
كما حمله على الاستغفار لابيه. يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت
له الملائكة. اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا
فائدة فيه. انه قد جاء امر ربك قدره وقضاؤه وحكمه الذي لا يصدر
الا عن صواب وحكمة. والعذاب نازل بالقوم لا محالة. لا مرد له
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك. كانت مساءة لوط وضيق ذرعه
لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم
ومدافعتهم

تأوّه قال آوه وهو كلمة توجع

وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط
اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم
اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله
انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه
منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها
يقال يوم عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا
شده يهرعون يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون
السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها
فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا
يهرعون مجاهرين لا يكفهم حيا وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم
في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته
وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج
المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه ابنتيه
من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل
كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرا ابن
مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان
في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرا اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه
وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى
الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل
خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا
لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال

الصواب العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس

وذي الحال

105

وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون
هؤلاء مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو
ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزوني ولا تهينوني
ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي
في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل
وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد
رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء
وقرئ ولا تخزون بطرح اليا ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم
مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه
طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه
مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم
ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك
لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان
الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان
نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح
الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على
وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد يعنون اتيان
الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا
سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي
به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لكم بها وما لي به يدان لانه في معنى
لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت

الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم شبّه القويّ العزيز بالركن من الجبل في شدّته ومنعته ولذلك قالت الملئكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقرّ عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادّهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملئكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك فافتح الباب ودعنا وايّاهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من درّ منظوم وهو برّاق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم وطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة ﴿لن يصلوا اليك﴾ جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره ﴿فاسر﴾ قرئ فاسر بالقطع والوصل ولا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين **فان قلت** ما وجه قراءة من قرا الا امراتك بالنصب **قلت** استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثنا وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن احد

وقد اعترض على قراءة من قرا بالنصب الا امراتك فقيل ان هذه القراءة مؤدية الى التناقض في الاخبار وان تكون امراة لوط عليه السلم مسراة غير مسراة وذلك غير جايز فقلت ليس هذا باعتراض على القراءة التي هي قراءة فان المستثنى محلا اخر وهو ان ينتصب من حيث ارتفع اي من احد على اصل الاستثنا كما ارتفع منه على البدل انما هو اعتراض على قول المفسر والذي يصحح قول المفسر ويدفع هذا السوال عنه ان الامر بالاسرا امر مربوط بالنهي عن الالتفات مقيد به بجمع العاطف ايّاهما في قول

الا اذ الركن الشديد المنعة

والمعنى ان يكون عطف على الاسم المنصوب

البيت لميسون ... للبس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف القطيفة

لن يصلوا اليك

واحد فالاستثنا اذن واقع عن اسرا مقيد بترك الالتفات فهو نظير قولك ابقوا لي اكبس الا زيدا فستثنى زيدا عن الانبات المقيد بالركوب لاعن الانبات مطلقا حتى لو انك راجلا لم يخرج عن امتثال امرك كذلك المراة استثنيت عن الاسرا المقيد بترك الالتفات كان المعنى فاسر باهلك اسرا مقيدا بترك الالتفات الا امراتك فانها عن ماموره بهذا الاسرا المقيد

وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدّة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراتين لاختلاف الروايتين ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السما حتى سمع اهل السما نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم ﴿من سجيل﴾ قيل هي كلمة معرّبة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجّل لفلان ﴿منضود﴾ نضد في السما نضدا معدّا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا ﴿مسوّمة﴾ معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به ﴿وما هي من كل ظالم ببعيد﴾ وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرّون بها في مسايرهم ﴿ببعيد﴾ بشي بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السما وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شي لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه ﴿اني اريكم بخير﴾ يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف

وجدت هذه الزيادة بخط بعض المشايخ ... العراقي

السجيل ... الهلاك

في الذاريات لنرسل عليهم حجارة من طين

التسمية ... جاليب ... العرب

قال المطرزي ... فلان على عرض ... كذا اذا ... عوضا له

Copyright King Saud University

او اريكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اريكم بخير فلا
تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ﴿يوم محيط﴾ مهلك من
قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف
العذاب بالاحاطة ابلغ او وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان
اليوم زمان يشتمل على الحوادث واذا احاط بعذابه فقد اجتمع
للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه فان قلت النهي عن
النقصان امر بالايفا فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين
القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح
بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفا الذي هو
حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء
به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفا على وجه العدل والتسوية من غير
زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل
وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء
القسط لان الايفا وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلث فوائد
البخس الهضم والنقص يقال للمكس البخس قال زهير
وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا ياخذون
من كل شيء يباع شيا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس
او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشيا فنهوا عن ذلك
والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبل ويجوز ان
يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض ﴿بقيت الله﴾ ما يبقى لكم

قال الواحدي في الوسيط في سورة البقرة قال الله واحيط بثمره اي اصابه ما اهلكه وافسده

قوله وفيه ان في الامر بالايفا مقيدا بالقسط

السماسرة جمع سمسار والتاء فيه لمعنى الجمع

لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم ﴿خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾
بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من
تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع
الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفا فائدتها مع
فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان
وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم
وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير
لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله
من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف
الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله
وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي
والقبائح ﴿وما انا عليكم بحفيظ﴾ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم
واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد
اعذرت حين انذرت ﴿كان شعيب﴾ عليه السلم كثير الصلوات وكان قومه
اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تامرك
السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما
كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلاة
تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو الى كذا وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام
مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وارادوا
ان هذا الذي تامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله
لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يامرك

به آمر من هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في
ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين
والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك
تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباونا فحذف المضاف لانه هو التكليف
لان الانسان لا يومر بفعل غيره وقرئ اصلاتك بالتوحيد وقرئ ان
اي عليه او ان تفعل في اموالنا ما تشا بتا الخطاب فيهما وهو ما كان
يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام
الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها
وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه
والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره
فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم
والرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به
ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة
وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين
جواب ارايتم وما له لم يثبت كما ثبت في قصة نوح ولوط قلت
جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى
الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي
وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان
والكف عن المعاصي والانبيا لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني
فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت
قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الما فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني

الحذف القطع معتوله وقطعها من العطف الذي للسان

وصالح

الى الما

الى الما يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه
قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى
شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح
ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن
المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت
متمكنا منه لا آلوه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي
استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا
الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا له كقوله ضعيف النكاية اعداءه
اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما
توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه
موافقا لرضا الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق ربه في امضا
الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد
للكفار وحسم لاطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول
واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه
قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي
ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرا ابن كثير بضم اليا
من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم
المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق
بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه
والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهور افصح لفظا
كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحا

اي مفعول له للاصلاح وليس هذا بمفعول له الذي عند النحويين

اي جرمت الطعنة

رواية شاذة والا كانت قراءة مشهورة

من العرب الموثوق بعربيتهم ادور ومم له اكثر استعمالا وقرا ابو حيوة
وروي عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • وما قوم لوط منكم ببعيد
يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين
منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك
فان قلت ما للبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه
او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء
بعيد او بزمان او بمكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب
وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي
هي الصهيل والنهيق ونحوهما • رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين
فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال
• ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم
رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا
يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه
الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري
ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف
لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ • فينا ضعيفا
لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا
بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي
المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى
انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي

سمي خطيب الانبياء لحسن مجاورته قومه اي مراجعته الجواب له

غيرهم

غيرهم ولذلك قال قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من
الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما
لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم
• لرجمناك لقتلناك شر قتلة • وما انت علينا بعزيز اي لا تعز
علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك من الرجم وانما يعز
علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك
دوننا • وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في
الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم
الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو
قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع
فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي
اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله
فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى
قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله • واتخذتموه وراءكم
ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري
والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى امس امسي
• بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها •
على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان
ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين
والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن
لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها • اني عامل على حسب ما

من الله

منسوب الى الظهر

فيه لف ونشر

يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز أن
تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل
سوف تعلمون أيّنا يأتيه عذاب يخزيه وأيّنا هو كاذب وأن تكون
موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه
عذاب يخزيه والذي هو كاذب **فإن قلت** أي فرق بين إدخال الفاء
ونزعها في سوف تعلمون قلت إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع
للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال
مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت
فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في
البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما
الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه
وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما أقول لكم إني معكم رقيب أي منتظر
والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب
والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير
والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع **فإن قلت** قد ذكر عملهم على
مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان
القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف
من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم
قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال
ومن هو كاذب في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم **فإن قلت**
ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان

التعليق خاص بأفعال القلوب حسبت أزيد منطلق

الساقة الآخر

ولما جاء امرنا

بالفا

ولما جاء امرنا

بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله
إن موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب
كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الأخريان
فلم تقعا بتلك المثابة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا
بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم
لمكانه لا يبرح كاللابد يعني أن جبريل صاح بهم صيحة فهلك كل
واحد منهم بحيث هو قعيصا كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم
أحياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد
بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله كما بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم العين
والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم أرادوا التفصلة
بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني
الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الأصل
اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى
الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها
بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان
مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها
وما أمر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو
ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية
وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان
مارد ومثله بمعزل من الإلهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له
دعواه وتتابعوا على طاعته والأمر الرشيد الذي فيه رشد

السلطان التسلط أو الحجة

أبهرها أي أغلبها

Copyright © King Saud University

له وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع
العقلاء امر من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا
الايات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلم وعلموا ان معه الرشد
والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط ۞
يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار
وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره
بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا
اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد
ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه
ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين ما يلي الانف من العين فان
قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جي بلفظ الماضي قلت
لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم
النار لا محالة ۞ والورد المورود والمورود الذي وردوه شبه
بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة
ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين
العطش وتبريد الاكباد والنار ضده ۞ واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الاخرة ۞ بئس الرفد
المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا
رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الاخرة وقيل
بئس العطاء المعطى ۞ ذلك مبتدا من انباء القرى خبر بعد
خبر اي ذلك النبا بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك ۞

منها

منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع
القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت
هي مستانفة لا محل لها ۞ وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن
ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا ۞ فما اغنت عنهم آلهتهم فما
قدرت ان ترد عنهم باس الله ۞ يدعون يعبدون وهي حكاية
حال ماضية ۞ ولما منصوب بما اغنت ۞ امر ربك عذابه ونقمته
۞ تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران ۞
محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب
في من قرا وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي
ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهذا
تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار
مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه
فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة
ولا يغتر بالامهال ۞ ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة
بذنوبهم ۞ لاية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين
في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الاخرة فاذا راى
عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة
وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك
لعبرة لمن يخشى ۞ ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الاخرة
دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله
اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول
على فعله قلت

لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم
لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك
صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا
ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك
فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه
وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى مجموع
له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب * يوم مشهود
مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب
عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان
مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود
فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله
مشهودا فيه كما قال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض
وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته
مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن
يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام
الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في
نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده
وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا
مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم
فيه يعني من كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه

ولو نصبته

حرب الرجل سلب ماله فهو محروب وحريب

ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر
لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر * الا لاجل يطلق على مدة
التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل
آخره ويقولون حل الاجل واذا جاء اجلهم يراد آخر مدة التأجيل
والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما
نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف
وقرئ وما يؤخره بالياء * وقرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر
حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة
كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل
كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك وتعضده
قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير
اليوم كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة فان قلت بم انتصب الظرف
قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء
المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي فان قلت
فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم
وحددت الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدائده
* لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت
كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم
طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها
يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون

Copyright King Saud University

وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم ❁
فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان
قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له
الناس ❁ والشقي الذي وجبت له النار لاسائته ❁ والسعيد
الذي وجبت له الجنة لاحسانه ❁ قراة العامة بفتح الشين
عن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا ❁ والزفير اخراج
النفس والشهيق رده قال الشماخ بعيد مدى التطريب اوله صوته
زفير ويتلوه شهيق محشرج ❁ مادامت السموات والارض فيه وجهان
احدهما ان تراد سموات الاخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد
والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا ولانه لا بد
لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سما يخلقها الله او يظلهم
العرش وكل ما اظلك فهو سما والثاني ان يكون عبارة عن التابيد
ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير
وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد ❁ فان قلت فما معنى
الاستثنا في قوله الا ما شا ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار
في الابد من غير استثنا قلت هو استثنا من الخلود في عذاب النار
ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار
وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار
وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخساه لهم
واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها

واجل

واجل منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات
عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب
الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثنا والدليل عليه
قوله عطا غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد
انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاه
الذي لا انقطاع له فتامله فان القران يفسر بعضه بعضا ولا
يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثنا خروج اهل الكبائر
من النار بالشفاعة فان الاستثنا الثاني ينادي على تكذيبهم
ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم
بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم
تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها
احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد
ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان
المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان
نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون
من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها
واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب
رضوان الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث ❁ غير مجذوذ
غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون ❁
لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد

النابتة قوم من الحشوية لا اراى لهم

لهم من عذابه وبال ﴿فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء﴾ اي فلا تشك بعدما
انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما
اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة بالانتقام منهم
ووعيد لهم ﴿ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم﴾ يريد ان حالهم
في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما
نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استيناف ومعناه تعليل النهي
عن المرية ﴿وما﴾ في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم
وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها
﴿وانا لموفوهم نصيبهم﴾ اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم
فان قلت كيف نصب ﴿غير منقوص﴾ حالا عن النصيب الموفى قلت
يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته
شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا ﴿فاختلف فيه﴾ امن به
قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ﴿ولولا كلمة﴾ يعني كلمة الانظار
الى يوم القيمة ﴿لقضي بينهم﴾ بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة
التسلية ايضا ﴿وان كلا﴾ التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان
كلهم وان جميع المختلفين فيه ﴿ليوفينهم﴾ جواب قسم محذوف واللام في
لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم
ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرى وان كلا بالتخفيف على
اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرا
ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة
عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرا الزهري وسليمان بن

ارقم

ارقم ﴿وان كلا لما ليوفينهم﴾ بالتنوين كقوله ﴿اكلا لما﴾ والمعنى وان كلا
ملومين يعني مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله ﴿فسجد الملئكة
كلهم اجمعون﴾ ﴿فاستقم كما امرت﴾ فاستقم استقامة مثل الاستقامة
التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ﴿ومن تاب معك﴾ معطوف
على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام
الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر
وآمن معك ﴿ولا تطغوا﴾ ولا تخرجوا عن حدود الله ﴿انه بما تعملون بصير﴾
عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت
على رسول الله صلى الله عليه في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه
من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروى
ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن
بعضهم رايت رسول الله في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني
هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك
الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق واستقم
كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم ﴿ولا تركنوا﴾ قرى ولا تركنوا بفتح
الكاف وضمها مع فتح التا وعن ابي عمرو بكسر التا وفتح الكاف على
لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا اليا في كل ما كان من
باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرا فتمسكم النار بكسر التا وقرا ابن
ابي عبلة ولا تركنوا على البنا للمفعول من اركنه اذا امامه والنهي
متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم
ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم

استقامة

صح هود ... عن مفضل ... للعجمة والعلمية

اراد به الوثوق به والتوكل عليه وربط القلب به

والترتني بن بهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم
وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين
ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي
ان الموفق صلى خلف الامام وقرا بهذه الايه فغشي عليه فلما افاق قيل له
فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله
جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري
السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن
فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا
كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس
كذلك اخذ الله الميثاق على العلما قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا
تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة
الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا
حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون
عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك
بك على العلما ويقتادون بك قلوب الجهلا فما ايسر ما عمروا لك في
جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك
من دينك فما يومنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل
ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك
فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما والسلم
وقال سفين في جهنم واد لا يسكنه الا القرا الزائرون للملوك وعن

كان من اولاد العباسية قائد الجيوش وهو الذي هزم البرقعي الذي خرج على الخلفا العباسية

الاوزاعي

مسلمة

الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد
الذباب على العذرة احسن من قاري على باب هولا وقال رسول الله
من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل
سفين عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ما فقال
لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اوليا
حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال
ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه
لا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه
وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقا عليكم فان قلت فما معنى ثم
قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع
استيجابهم العذاب واقتضا حكمته له طرفي النهار غدوة
وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة
من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة
الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة
الزلف المغرب والعشا وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضا
الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله
وآخره تنصب هذا كله على اعطا المضاف حكم المضاف اليه ونحوه
واطراف النهار وقرى وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى
بوزن قربى والزلف جمع زلفة كظلم جمع ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة
وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى
بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل

فان

Copyright King Saud University

وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة اى اقم
الصلاة طرفى النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات
تتقرب بها الى الله عز وجل فى بعض الليل ﴿ان الحسنات يذهبن
السيئات﴾ فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات
وفى الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثانى
ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا فى تركها كقوله ان
الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر وقيل نزلت فى ابى اليسر عمرو بن غزية
الانصارى كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان فى البيت
اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت
له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه فاخبره بما فعل
فقال انتظر امر ربى فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب
فانها كفارة لما عملت وروى انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على
نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله
فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال للناس عامة بل
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له توضا وضوا حسنا وصل ركعتين
ان الحسنات يذهبن السيئات ﴿ذلك﴾ اشارة الى قوله فاستقم فما
بعده ﴿ذكرى للذاكرين﴾ عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر
بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية
ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم
مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به
والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شى منه الا به ﴿فان الله لا يضيع اجر المحسنين﴾

جا بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان
والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات ﴿فلولا كان
من القرون﴾ فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا فى القران فمعناها
هلا الا التى فى الصافات وما صحت هذه الحكاية ففى غير الصافات
لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعرا ولولا رجال مومنون ولولا ان
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم ﴿اولوا بقية﴾ اولوا فضل وخير وسمى
الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه اجوده وافضله
فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم
وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم ياتينى بقيتكم ومنه قولهم
فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى
البقوى كالتقية بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذووا ابقا على انفسهم
وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرى اولوا بقية بوزن لقية
من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله والبقية
المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام
الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم ﴿الا قليلا﴾ استثنا
منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد
وسائرهم تاركون للنهى ﴿ومن﴾ فى ممن انجينا حقها ان تكون للبيان
لا للتبعيض لان النجاة انما هى للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا
الذين ينهون عن السو واخذنا الذين ظلموا فان قلت هل لوقوع هذا
الاستثنا متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما
هو عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولى البقية

على النهي عن الفساد الا القليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك
القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة
القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه
عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا كان استثناء
متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان
كان الافصح ان يرفع على البدل • واتبع الذين ظلموا ما اترفوا
فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن
عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا
هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة
والثروة وطلب اسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه
وراء ظهورهم • وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني
واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم
اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كأنه قيل الا قليلا
ممن انجينا منهم وهلك السائر • فان قلت علام عطف قوله واتبع
الذين ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا
على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا
شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو
للحال كأنه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم • فان قلت
فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين
لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر
او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا

وحكما

١٦٧

وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون • كان بمعنى صح واستقام واللام
لتأكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان
يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم
وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه
انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما
بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر • ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة
وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام
يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه
مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق
وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم
ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين
فيه • ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه
يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب
مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره •
وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس لعلمه بكثرة
من يختار الباطل • وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل
وكل نبأ نقص عليك • ومن انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك
بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع
من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به
مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه

لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم ﴿وجاءك في هذه الحق﴾
في هذه السوره او في هذه الانبا المقتصة فيها ما هو حق ﴿وموعظة
وذكرى﴾ ﴿وقل للذين لا يؤمنون﴾ من اهل مكة وغيرهم ﴿اعملوا على﴾ حالكم
وجهتكم التي انتم عليها ﴿انا عاملون﴾ ﴿وانتظروا﴾ بنا الدوائر ﴿انا
منتظرون﴾ ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم
﴿ولله غيب السموات والارض﴾ لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى
عليه اعمالكم ﴿واليه يرجع الامر كله﴾ فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك
فينتقم لك منهم ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ فانه كافيك وكافلك ﴿وما ربك
بغافل عما تعملون﴾ وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب ○
عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وصالح وشعيب ولوط وابرهيم
وموسى وكان يوم القيمة من السعدا ان شا الله [illegible]

سورة يوسف مكية

وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الر﴾
﴿تلك﴾ اشارة الى ايات السورة ﴿والكتاب المبين﴾ السورة اي تلك
الايات التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة الظاهر امرها في
اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله
لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها
بلسانهم او قد ابين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف فقد
روي ان علما اليهود قالوا لكبرا المشركين سلوا محمدا لم انتقل ال

او الواضحة بالجر عطف على الظاهرة

يعقوب

يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف ﴿انا انزلناه﴾ اي هذا
الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه ﴿قرانا عربيا﴾ وسمي بعض
القران قرانا لان القران اسم جنس يقع على كله وبعضه ﴿لعلكم
تعقلون﴾ ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا تلتبس عليكم
ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ﴿القصص﴾ على
وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه
قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى
مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبا والخبر في معنى المنبا به
والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد
فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا
اليك هذا القران بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا
نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا
اليك هذا القران مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القران بنقص كانه قيل
نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القران بايحائنا اليك والمراد
باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى
ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه
في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القران وان اريد بالقصص المقصوص
فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه
لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها
والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس
وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت

صح

من قصّ اثره اذا اتبّعه لان الذي يقصّ الحديث يتبع ما حفظ منه
شيئا فشيئا كما يقال تلا القران اذا قراه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ
منه اية بعد اية ۝ وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي
تفرق بينها وبين النافية ۝ والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا
والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين
عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه

المراد بالجهل عدم العلم لا الاعتقاد على خلاف الحقيقة

۝ اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال
لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته
فقد قص او باضمار اذكر ۝ ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح
لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب اخر سوى التعريف فان قلت
فما تقول فيمن قرا يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته
ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من
اسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا
لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية
تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلث
ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من انس واونس وعن
النبي صلى الله عليه اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم
بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم ۝ يا ابت قرئ بالحركات
الثلث فان قلت ما هذه التا قلت تا تانيث وقعت عوضا
من يا الاضافة والدليل على انها تا تانيث قلبها ها في الوقف فان قلت
كيف جاز الحاق تا التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة

اي بيّن ربعه
اي بلغه بفعه

ذكر وشاة ذكر ورجل ربعه وغلام بفعه فان قلت فلم ساغ
تعويض تا التانيث من يا الاضافة قلت لان التانيث والاضافة
يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في اخره
فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل اليا
في قولك يا ابي قد زحلقت الى التا لاقتضا تا التانيث ان يكون ما قبلها
مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها اجريت
التا وتبقى التا ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم
ولا سكون والاسما حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين
اليا واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التا فحرف
صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التا

ثم نظر فان التا يا ابت ليس باسم اصلا لانه لما صار بدلا من الاسم سمّاه اسما له

وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم اليا
اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابت قلت اليا
والكسرة قبلها شيان والتا عوض من احد الشيين وهو اليا والكسرة
غير متعرض لها فلا جمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التا
واليا لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من
اليا كيف جاز الجمع بينها وبين التا ولم يعدّ ذلك جمعا بين العوض
والمعوض منه والكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة
في يا غلام على الاضافة لانها قرينة اليا ولصيقتها فان دلت على
مثل ذلك في يا ابت فالتا المعوضة لغو ووجودها كعدمها قلت
بل حالها مع التا كحالها مع اليا اذا قلت يا ابي فان قلت
فما وجه من قرا بفتح التا وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا

ثم قال ثم من قوله من قوله فان دلت ... اخره وكانه قال لما دلت على ... ذكر حالها الا اخره

Copyright © King Saud University

واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف اليا في يا غلام ويجوز ان
يقال حركتها حركة اليا المعوض منها في قولك يا ابي وامام ضم
فقد راى اسما في اخره تا تانيث فاجراه مجرى الاسما المونثة بالتا
فقال يا ابة كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من الاضافة
وقرى اني رايت بتحريك اليا واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي
المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنا عشر
لئلا يلتقي ساكنان ورايت من الرويا لا من الروية لان ما ذكره معلوم
انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف
في حال اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب ولما خفيت عليه وعلى
الناس قال قلت ما اسما تلك الكواكب قلت روى جابر
ان يهوديا جا الى النبي صلى الله عليه فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي
راهن يوسف فسكت رسول الله فنزل جبريل واخبره بذلك فقال النبي
لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال
وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب
وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السما وسجدن له
فقال اليهودي اي والله انها لاسماوها وقيل الشمس والقمر ابواه
وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو
ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة
الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها
فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن
ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه

قال

فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رويا
يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال قلت
لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على
طريق الاختصاص لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من
الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك
ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر قال
قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار انما هو كلام
مستانف على تقدير سوال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلم قال له
عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال رويتها
فقال رايتهم لي ساجدين قال قلت فلم اجريت مجرى العقلا
في رايتهم ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلا
وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شائع في
كلامهم ان يلابس الشي الشي من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه
اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلم دلالة
الرويا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم
عليه بشرف الدارين كما فعل بابائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم
والرويا بمعنى الروية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون
اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى وقرى
روياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك بالادغام وضم الرا
وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها
كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا

منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك قال ولنت
هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى
باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون
اكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر
عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحوا ولقوله لاقعدن لهم
صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله وكان
يوم ان يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتبا يجتبيك
ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرويا العظيمة الدالة على شرف
وعز وكبريا شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك
كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم
نعمته عليك والاجتبا الاصطفا افتعال من جبيت الشي اذا
حصلته لنفسك وجبيت الما في الحوض جمعته ومن الاحاديث الرويا
لان الرويا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها
وكان يوسف اعبر الناس للرويا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل
الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبيا وما غمض واشتبه على الناس من
اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات
حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال
قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده
يومنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة
ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة
بان جعلهم انبيا في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى

الاخوة يوسف

الرؤى جمع رؤيا كالعلى جمع العليا

في الجنة

١٧١

الولد
في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة وبالانجا من النار ومن ذبح
وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب
والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته
انبيا استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى ال يعقوب وقيل
لما بلغت الرويا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له
اخوته حتى سجد له ابواه وقيل كان يعقوب موثرا له بزيادة المحبة
والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه
فلما راى الرويا ضاعف له المحبة وكان يضمه كل ساعة الى صدره
ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قصت رويا على يعقوب
قال هذا امر مشتت يجمع الله لك بعد دهر طويل وال يعقوب
اهله وهم نسله وغيرهم واصل ال اهل بدليل تصغيره على
اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال ال النبي وال الملك ولا
يقال ال الحائك ولا ال الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد
وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان
وان كان بينه وبين فلان عدة وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك
ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتبا حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها
في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم ايات علامات
ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شي للسائلين لمن سال عن قصتهم
وعرفها وقيل ايات على نبوة محمد صلى الله عليه للذين سالوه من اليهود
عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراة كتاب وقرى اية
وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي عليه السلم خبر يوسف

المخايل جمع مخيلة وهي المظنة والمراد بها معالم الرشد

Copyright © King Saud University

ويبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه لبأسٍ به وقيل اسماؤهم
يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وديالون ويشجر ودينة ودان
ونفتالي وجاد وآشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة
يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت
ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف
اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا
ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين
وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل
احب من ... لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا
بين المذكر والمونث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف
واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني
انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما
ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن
احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما
ان ابانا لفي ضلال مبين لفي ذهاب عن طريق الصواب في ذلك
والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا
بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور وتستكفى النوائب وروى
النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبةً بالنصب وقيل معناه
ونحن نجتمع عصبةً وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما
العامري عمته اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي
بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف

جمعهما في النكاح لان الجمع بين الاختين كان حلالا الى ان حرمه الله في التوراة

وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا
آمرين ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى
تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت
نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة
واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن
يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير
معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز
ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ
لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته
بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا
قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين
ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده
بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب
باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قائل منهم هو يهوذا
وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل
عظيم والقوه في غيابت الجب في غوره وما غاب منه عن عين الناظر
واظلم من اسفله قال المنخل اذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل
اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيّابات
بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لانها ارض
تجب جبا لا غير يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الاقوام
الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة

سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت
بعض اصابعه «ان كنتم فاعلين» ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل
به غرضكم فهذا هو الراى «مالك لا تأمنا» قرئ باظهار النونين
وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام
والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما
وجدت منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة واردوا
بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه
منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يامنهم عليه
«نرتع» نتسع في اكل الفواكه واصل الرتعة الخصب والسعة
وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي ويرتع ويلعب بالياء ونرتع من ارتع
ماشيته وقرا العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتدا
فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان
لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه
لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا
لانه في صورته «ليحزنني» اللام لام الابتدا كقوله ان ربك ليحكم
بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من شبهي المضارعة اعتذر
اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه
لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب
اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق
بحفظه عنايتهم وقيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف
فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم

الرتعة والرتوع كالامنة والدوام

اللعب عبارة عن ترك ما ينفع الى ما لا ينفع واللهو ما يشغل عن الله ... الاخرة

من عدوة اي خطفة

البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذيب بالياء على الاصل وبالتخفيف وقيل
اشتقاقه من تذائبت الريح اذا اتت من كل جهة «لئن اكله الذئب» القسم محذوف
تقديره والله لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله
انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن
عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب
اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور
وتكفى الخطوب انهم اذن لقوم خاسرون هالكون ضعفا وخورا
وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى
في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار
وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم
حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا
اذن وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا
عن احدهما دون الاخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم
الامرين فاعاروه اذانا صما ولم يعباوا به «ان يجعلوه» مفعول
اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في
غيابات الجب قيل هو بئر ببيت المقدس وقيل بارض الاردن
وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب
وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد
روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا
يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة
والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع

يعني جعلوا انفسهم كانهم لم يسمعوه

نهر بفلسطين

بابنك اولاد الاما فقال يهودا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه
فلما ارادوا القاه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق
بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي
قميصي اتوارى به وانما نزعوا ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على
ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه
في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ما فسقط فيه ثم
اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة
ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهودا
وكان يهودا ياتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم صلوات الله عليه
حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير
الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب
فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه
والبسه اياه ﴿واوحينا اليه﴾ قيل اوحى الله في الصغر كما اوحى
الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا عن الحسن كان له سبع
عشرة سنة ﴿لتنبئنهم بامرهم هذا﴾ وانما اوحى اليه ليونس
في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه امره ومعناه
لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك ﴿وهم لا
يشعرون﴾ انك يوسف لعلو شانك وكبر سلطانك وبعد حالك
عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيات والاشكال
وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن وقال انه ليخبرني هذا

الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم
وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله
الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق ﴿وهم لا يشعرون﴾ بقوله
﴿واوحينا﴾ على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم
لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له
ويروى لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون
متعلق بانّا وحينا لا غير ﴿وجاءوا اباهم عشاء﴾ عن الحسن عشيا على تصغير عشي
يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا ورواه
ابن جني عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروى
ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال الشعبي يا ابا امية
اما تراها تبكي فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي
لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروى
انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم
شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف ﴿قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق﴾
اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل
والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي
وجاء في التفسير ننتضل ﴿وما انت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾
ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف
فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا ﴿بدم كذب﴾ ذي كذب
او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال
للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل

وقرئ كذبًا نصبًا على الحال بمعنى جاؤوا به كاذبين ويجوز ان يكون
مفعولا له وقرأت عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة
اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف
البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كأنه دم قد اثر في
قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم
ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى
صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى
خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا
احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص
يوسف ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه
فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت
على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كأنه قيل
وجاؤوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال فان قلت هل يجوز
ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه
سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم
امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على
فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي
اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدأ لكونه موصوفا
اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا
والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه
ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي

١٧٥

وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم
كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان
فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني فقال يا رب خطيئة فاغفرها
لي والله المستعان اي استعينه على ما تصفون من هلاك يوسف
والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين
الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطاوا
الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم
يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف
فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء
والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى
كأنه يقول تعالى فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى
نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء مكان الالف جعلت الياء
بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت
اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي وعن نافع يا
بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده
الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب فتعلق
يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي
هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم
به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا
امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء

الراعي يجمع على رعاة كقضاة وزغيان كشبان ورعاء كجياع في شباب وجياع

لتبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا
للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة
ان يقتلوه وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة
والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون
لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما لبس لهم
او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع
وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصا ظاهرا
او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا
ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون
ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة تمتنع من عدها
لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين
وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن
لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بم باعه ولانه
يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم
باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من
اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان
يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه
لا يابق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على
الموصول الا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه
قيل اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه الذي اشتراه قيل هو
قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ

الريان

الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة
يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام
فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله
ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة
وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو
ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى
عاش اربع مائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز
بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق
يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثويه اجعلي منزله
ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي
احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة
حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل
كيف ابو مثواك او ام مثواك لمن ينزل به من رجل وامراة يراد
هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في
لامراته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب
وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن
بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام
الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له فقد تفرس فيه الرشد فقال
ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال

Copyright © King Saud University

لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي اتت موسى وقالت
لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي
انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك اشارة
الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب
تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه
وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه
ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث
كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته
من علم وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع
عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي او على امر يوسف يريد به
لا يكله الى غيره فقد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد
الله ودبر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله
فبلغ الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون
وقيل اقصاه ثنتان وستون آتيناه حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب
ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه
على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه
الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه
في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله المراودة مفاعلة من
راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت
ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده
يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته

اياها

١٧٧

اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وقالت هيت بفتح الها
وكسرها مع فتح التا وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير
وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيئ كجاء
يجيء اذا تهيأ وهئت لك واللام من صلة الفعل واما
في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك
معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث
ربي سيدي قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي
مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم
انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل
الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه
مسبب الاسباب هم بالامر اذا قصده وعزم عليه
قال هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله
ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله
كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام
وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد همت به
معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها
لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان راى برهان
ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله
لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت
كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها
قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها

اراد بالفعل هئت وهيت وبالاصوات اسماء الافعال كهيت واخواته

اللام للبيان

Copyright © King Saud University

عن شهوة الشباب وقرمه ميلاً يشبه الهمّ به والقصد اليه
وكما تقتضيه صورة تلك الحال التى تكاد تذهب بالعقول
والعزائم وهو يكسر ما به ويردّه بالنظر فى برهان الله المأخوذ
على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل
الشديد المسمّى همّاً لشدته لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله
بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلا على حسب عظم الابتلا
وشدّته ولو كان همّه كهمّها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من
عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهمّ بها وشارف ان
يهمّ بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل
ومشافهته كانه شرع فيه **فان قلت** قوله وهمّ بها داخل
تحت حكم القسم فى قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت
الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدّر خروجه من حكم القسم
وجعله كلاماً برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله
وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضاً اشعار بالفرق بين
الهمّين **فان قلت** لم جعلت جواب لولا محذوفاً يدل عليه همّ بها
وهلّا جعلته هو الجواب مقدّماً قلت لان لولا لا يتقدم
عليها جوابها من قبل انه فى حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو
مع ما فى حيّزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض
الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دلّ الدليل عليه فجائز
فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهمّ بها وحده ولم تجعلها
متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهمّ بها لان الهمّ لا يتعلق بالجواهر ولكن

بالمعانى

لانك تقول اهم بالامر والفعل ولا تقول هم بزيد

بالمعانى فلا بدّ من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معاً
فكانه قيل ولقد همّا بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما **قلت**
نعم ما قلت ولكنّ الله سبحانه قد جا بالهمّين على سبيل التفصيل
حيث قال ولقد همّت به وهمّ بها فكان اعقابه اياهما له فوجب
ان يكون التقدير ولقد همّت بمخالطته وهمّ بمخالطتها على انّ
المراد بالمخالطتين توصّلها الى ما هو حظّها من قضا شهوتها
منه وتوصّله الى ما هو حظّه من قضا شهوته منها لولا ان رأى
برهان ربه فترك التوصّل الى حظّه من الشهوة فلذلك كانت
لولا حقيقة بان تعلّق بهمّ بها وحده وقد فسّر همّ يوسف بانه
حلّ الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حلّ تكّة سراويله
وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها وفسّر البرهان
بانه سمع صوتاً اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانياً فلم يعمل
به فسمع ثالثاً اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثّل له يعقوب
عاضّاً على انملته وقيل ضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته
من اناملة وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً الا يوسف فانه
ولد له احد عشر ولداً من اجل ما نقص من شهوته حين همّ وقيل صيح
به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له
وقيل بدت كفّ فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها
وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا
الزنى انه كان فاحشة وسا سبيلاً فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا
يوماً ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدى

قيل ولو لعله يعمت ايضا يكون دونه برهان مانعا لتركها الوصل لا حظها من الشهوه لكنها لم تترك الوصل

قبل أن تصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل
السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز
وقيل قامت المرأة إلى صنم هناك فسترته وقالت أستحيي أن يرانا
فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي من السميع البصير
العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر
الذين دينهم بهت الله وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا
من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف
عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت
على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب
وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثنى عليه
وسمي مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنه
جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم
ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين
ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم
يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل
له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده إبراهيم وليقتدي به
الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في
مواقف العثار فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون
إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين
ليقتدى بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل
تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به

من عنده

(هامش: استحييت — الدحض مكان تدحض فيه القدم أي تزلق — عطف على استحق — الخليل)

من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد
الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد
غير أنثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه
حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطر
وأحدهم حدقة وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا
لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما أفحشه ومن
ضلال ما أبينه. كذلك الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك. لنصرف عنه السوء
من خيانة السيد. والفحشاء من الزنى. إنه من عبادنا المخلصين الذين
أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن
عصمهم ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة
والنظر بشهوة ونحو ذلك. وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا
أي هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ منهم لأنه من ذرية إبراهيم
الذين قال فيهم إنا أخلصناهم بخالصة. واستبقا الباب وتسابقا
إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه
أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد
الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج. فإن قلت
كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الأبواب قلت أراد
الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد روى كعب
أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من
الأبواب. وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق

(هامش: الأجلح الذي لا شعر على وجهه — أي وبفتح اللام)

Copyright ... University

حين هربت منها الى الباب وتبعته تمنعه • والفيا سيدها
وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل
انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة
قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة
• لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة
على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما
تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه
طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من
مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن • وما
نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء
جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم
تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت
العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان
ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف • وقيل العذاب الاليم الضرب
بالسياط • ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه
الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها
• وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة
على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف
وانفى للتهمة عنه قيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل
كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان
في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له

والقيام

والقيام بالحق وقيل ابن خال لها كان صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه
تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة
قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل
قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جاز حكايتها
بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة القول
كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد
قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه
اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان
تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعة
عن نفسها قدت قميصه من قدامه والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها
فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه • وقرئ من قبل ومن دبر بالضم
على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما
التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر
وعن ابن ابي اسحق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما
علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ بسكون العين
فان قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان
قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت
الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد
ان تمتن علي امتن عليك • فلما رأى يعني قطفير وعلم براءة
يوسف وصدقه وكذبها • قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا

منها

بالدفع

او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامثالها
واستعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف
كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال
ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن
ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر
مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم
يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث
وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث
به واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين
للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ
التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما
وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن
خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة
صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه
غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان
كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز يريدون قطفير
والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي
اي غلامي وجاريتي شغفها حبا شق شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد
والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب
قال النابغة وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع
وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران

قال

١٨١

قال كما شغف المهنوءة الرجل الطالي حبا نصب على التمييز
في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن
وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني
ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي
الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها
ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات
واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك
الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن
ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن
فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده
ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر في ايديهن
ليقطعن ايديهن فيبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها
اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه
انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا
يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي
ان ياكل الرجل متكئا واتتهن السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن
وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية
لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل
فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد
متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع
يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بطرح الهمزة وعن الحسن متكاء

Copyright ... University

بالمد كأنه مفتعال وذلك لإشباع فتحة الكاف كقوله
بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو
الأترج وأنشد   فأهدت متكة لبني أبيها   تخب بها العثمثمة الوقاح
وكانت أهدت أترجة على ناقة وكأنها الأترجة التي ذكرها
أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل
وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل أعتدت
لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه إذا قطعه وقرأ الأعرج
متكا مفعلا من تكئ يتكأ إذا اتكأ ● أكبرنه عظمنه وهبن
ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق وقيل كان فضل يوسف على الناس
في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السما وعن النبي صلى الله عليه وسلم
مررت بيوسف الليلة التي عرج بي إلى السما فقلت لجبريل من هذا
فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه
على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان أحد
يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه
وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء
للسكت يقال أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر
لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر وكأن أبا الطيب
أخذ من هذا التفسير قوله   خف الله واستر ذا الجمال ببرقع
فإن لحت حاضت في الخدور العواتق ● وقطعن أيديهن جرحنها
كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها ● حاشا

كلمة

العثمثمة الناقة الشديدة لعثم الأمر أي تكسرها

أورد الزهري الزماورد بالفتح وهو الرقاق لف فيه اللحم وغيره

تحريك هاء السكت لحن فكأنه أجرى الوقف مجرى الوصل

لو ظهرت

١٨٢

كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثنا تقول أسا القوم حاشا زيد
قال   حاشا أبي ثوبان إن به   ضنا عن الملحاة والشتم   وهي حرف
من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله
براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على إضافة حاشا إلى الله
إضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال
براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا
منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة أبي عمرو
حاش لله بحذف الألف الآخرة وقرأ الأعمش حشا لله بحذف الألف الأولى
وقرئ حاش لله بسكون الشين على أن الفتحة أتبعت الألف في الإسقاط
وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الإله
فإن قلت فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى
براءة لله قلت مراعاة لأصله الذي هو الحرفية ألا ترى إلى
قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله
وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الألف إلى اليا مع الضمير والمعنى
تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل
مثله وأما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته
على خلق عفيف مثله ● ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة
جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية
وبتتن بها في الحكم وذلك لأن الله عز وجل ركز في الطباع أن
لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك
يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها

الملحاة اللوم

فإن هذه القراءات تدل على أنه مصدر لأن الحرف لا يتصرف فيه

وقلب الألف إلى اليا لا تكون إلا في الحرف

لأن ذكر عبارة عن الوصف اللازم الذي لا يكاد يفارق

Copyright ... University

الا ان الحقيقه كذلك كما ذكر في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشياطين
ولا اجمع للخير من الملكه الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من
تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم
للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب ❁ واعمال ما ليس هي
اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القران ومنها قوله ما هن
امهاتهم ومن قرا على سليقته من بني تميم قرا بشرٌ بالرفع وهي
قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان
هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا
مشترى وتقول هذا لك بشرى اي بكرا والقراءة هي الاولى لموافقتها
المصحف ومطابقة بشر لملك ❁ قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو
حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به
وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى
بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني
الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق
صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به ❁
الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ
الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه
استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي واستفحل الخطب وهذا
بيانٌ لما كان من يوسف عليه السلم لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور
منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم
والبرهان فان قلت الضمير في آمره راجع الى الموصول ام الى يوسف

أراد بالسليقة الاصالة الغريزية التي طبع عليها العرب

استفحل الخطب اي تفاقم وعظم

قلت بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله
امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه
ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه ❁ قرئ وليكونن
بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على
حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة ❁ وقرئ السجن بالفتح على
المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن
له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقا نفسك في السجن والصغار
فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من
ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة
وما تدعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة
قلت كانت احب اليه وآثر عنده نظرا الى حسن الصبر على
احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا
نظرا الى مشتهى النفس ومكروهها ❁ والا تصرف عني كيدهن فزع
منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم
عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف
والالجاء اليه ❁ اصب اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى
ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها
وقرئ اصب اليهن من الصبابة ❁ من الجاهلين من الذين لا يعملون
بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من
السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح ❁ وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم
الدعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف ❁

فيكون المصدر مضافا الى المفعول

تنصحن اي تشبهن بالنصحاء

Copyright King Saud University

السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم
بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه
والمعنى بدا لهم بدا اي ظهر لهم راي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز
واهله من بعد ما راوا الايات وهي الشواهد على براءته وما كان
ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب
وكان مطواعة لها وجميلا اذلولا انه مامنه في يدها حتى انساه
ذلك ما عاين من الايات وعملت برايها في سجنه والحاق الصغار به
كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها
في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتا
على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز
وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت
ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى
حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا عتى
حين فقال من اقراك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا
القران فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش
ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع يدل على معنى الصحبة
واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون
دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه
رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة
ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية
اعصر خمرا اعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة

جميل هنا تصغير جمل

سمّه اي سقاه السم وسمّ الطعام اي جعل فيه السم

عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين
من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها راياه يقص عليه
بعض اهل السجن رؤياه فياولها له فقالا له ذلك او من العلما
لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى
اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما راينا
ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام
عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في
السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا
اصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن
وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا
يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم
فقال عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك
فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك
من حين رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني
احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل
علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني
زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله
فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني
في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها
وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي
ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها

فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله قلت
الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه قيل
نبئنا بتاويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص
ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلما وهو الاخبار
بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما
ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه
كما اخبرهما ويجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما
الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة
على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد
منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه
الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد
ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما
هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من
باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك
يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى
التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي
واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون
كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى به الي
لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبيا المذكورين وهي
الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان
الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون

قوله ان يسلكها مبتدا خبره على كل ذي علم

اي تكرير كلمهم

الاخرة

بالاخرة وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة
ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزا تنبيها على ما هم عليه من الظلم
والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزا ويجوز ان يكون
فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما راوا
الايات الشاهدة على براته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد
الكفر بالجزا وذكر اباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما
انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما في الاستماع
اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله
اي شي كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع
ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس
اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه
ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا
ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة
التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر
الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون
اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد
يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة
فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب
وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلم ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي
الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما
تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن

Copyright ... University

كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ءارباب متفرقون يريد التفرق في
العدد والتكاثر يقول ان تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا
ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب
ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه
لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون من دونه خطاب لهما
ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها ما لا يستحق الالهية
آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة
لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد
وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة
ان الحكم في امر العباده والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر
الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين
اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده وقرا عكرمة
فيسقى ربه اي يسقى ما يروى به على البنا للمفعول روي انه قال
للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده
واما القضبان الثلثه فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج
وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلثة ايام
ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما
وشانكما فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما
وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما
سجنا من اجله وظنا ان ما راياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا
يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما

يعني انكم

المشهور بالكسر والفتح نادر والفتح مذهب الاخفش

قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما
ونجاة الاخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيا على ما روي انهما
تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ظن
انه ناج الظان هو يوسف عليه السلم ان كان تاويله بطريقة الاجتهاد
وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى اليقين
اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني
ويخلصني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسي الشرابي
ذكره لربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل
امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع واكثر الاقاويل
انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان على
الانسا قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشي من اسباب
النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانسا ابتدا
فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسها فان قلت
ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر
الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه
الشيطان ذكر ربه او عند ربه فجاز اضافته اليه لان الاضافه
تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه
فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف
عليه السلم الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا
على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلم من انصاري الى الله وفي الحديث
الله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن مومن كربة من كرب الدنيا

١٨٦

الورطة الهوة الغامضة

وقيل اي لبث سبع سنين بعد خمس سنين كذا قال الفرا في تفسيره

فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه لم يأخذه النوم ليلة من الليالي
وكان يطلب من يحرسه حتى جا سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك
الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان
كان ذلك لان الملك كان كافرا ولا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار
في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت
كما اصطفى الله الانبيا على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور
وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي
ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به
كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان
له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قراها
ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس ه لما دنا فرج
يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع
بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف
السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر
يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر
حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها
فان قلت سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام
هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز
وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها
صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي

نقل ابو اسحق الثعلبي ان الملك كان آمن بيوسف عليه السلام

جاز ان تحصد كقولهم استحجر الطين جاز ان يحجر

السمان

السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى
تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت
المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة
قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا
يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة
اصحاب قلت الفارس والراكب ونحوهما صفات جرت
مجرى الاسما فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها
الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت
ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم
يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات
قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغنا بقولك سبع
عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال
الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفا وافعل
وفعلا لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم
حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت
هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر
قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان
والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع
ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز
ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل
قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي

والصاحب

عما ليس بالصحيح ومع وقوع الاستغنا

ان تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الآخر
يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال
قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال
موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود
فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد. يا
ايها الملأ كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء. واللام في قوله
للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما
ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل
فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا
قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون
للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا
به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر او حال وان يضمن تعبرون
معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا
وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر
اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا
اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي
اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبّرت بالتشديد والتعبير والمعبر
وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب
رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا. اضغاث احلام
تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة
شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد

وعبر النهر وعبره شطه وجانبه من الصحاح

ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام
والمعنى هي اضغاث احلام. فان قلت ما هو الا حلم واحد
فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا. قلت هو كما تقول فلان
يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وماله الا
عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم
بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام. ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه
الرؤيا رؤى غيرها. وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اما ان
يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا
تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما
ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير. و
قرئ وادّكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذّكر بالذال اي تذكر
الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه. بعد امة
بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على
الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه
وطلبه اليه ان يذكره عند الملك. وقرأ الاشهب العقيلي بعد إمّة
بكسر الهمزة والإمّة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والإمّة وارتهم هناك القبور
اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمَه اي بعد نسيان يقال
أمِه يأمَه أمَها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ
انا انبئكم بتأويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن
انا آتيكم بتأويله. فارسلون فابعثوني اليه لاسأله ومروني
باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة. المعنى فارسلوه

رؤى كعلى في جمع العليا

الفلاح البقاء ومنه سمي السحور فلاحا لانه به بقاء الصوم

الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ فى الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه فى تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اوّل ولذلك كلّه كلام محذوف تقديره لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموه ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك ❁ تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الاخر وتجاهدون وانما يخرج الامر فى صورة الخبر للمبالغة فى ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله ❁ دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا داب فى العمل وهو حال من المامورين اى دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوى داب فذروه فى سنبله لئلا يتسوّس ❁ وياكلن من الاسناد المجازى جعل اكل اهلهن مسندا اليهن ❁ تحصنون تحرزون وتخباون ❁ يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا ❁ يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبنى للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل يغاث الناس وفيه يغيثون اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت

أكلم الشراني يوسف

اخترمهم الدهر وتخرمهم اى اقتطعهم واستاصلهم

قال عيلان بن عتبة قالت ابنة بنى فلان ما افصحها سالت الناس المطر ببلادهم فقالت غثنا ما شئنا

[illegible] اذ هو لازم

فيعدّى تعديته واما لو يقال لا اصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى وعن قتادة زاده الله علم سنة ❁ فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحى قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحى ❁ انما تانّى وتثبّت فى اجابة الملك وقدّم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلّما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواضعها قال عليه السلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله للمارّين به فى معتكفه وعنده بعض نسائه هى فلانة اتقاء للتهمة ❁ وعن النبى صلى الله عليه لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجونى ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث

Copyright King Saud University

لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما
ذا اناة ❊ وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان
يفتش عن شانهن لان السوال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث
عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السوال ليجد في التفتيش
عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براته بيانا
مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرى النسوة بضم النون ومن
كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت
فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ❊
ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله
لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بري مما قرف
به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ❊
ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن
❊ قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شي من الريبة
ومن نزاهته عنها ❊ قالت امراة العزيز الان حصحص الحق ثبت واستقر
وقرى حصحص على البنا للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى
ثفناته للاناخة قال حصحص في الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما
ولا مزيد على شهادتهن له بالبراة والنزاهة واعترافهن على
انفسهن بانه لم يتعلق بشي مما قرفته به لانهن خصومه واذا اعترف
الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال
وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندق
في فروة من ثبتت نزاهته ❊ ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك

التثبت

التثبت والتشمر لظهور البراة ليعلم العزيز اني لم اخنه
بظهر الغيب في حرمته ❊ ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول
على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني
ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفا والاستتار وراء
الابواب السبعة المغلقة ❊ وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا
ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها
وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الايات على
حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى
الله كيده ولا سدده ❊ ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا
يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله
انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده
وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل
وما اشهد لها بالبراة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في
هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة
البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ❊
ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء
ويحمل عليه بما فيه من الشهوات ❊ الا ما رحم ربي الا البعض الذي
رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان
اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان
الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي
هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة منا وقيل

Copyright © King Saud University

معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو
من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه
ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت
عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته
وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد
الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا
نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت
ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من
كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا
الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملا من قوم فرعون ان هذا
لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون وهو
من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم
القران وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فسئله ما بال
النسوة اللتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة
فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا
حين هممت بها وقالت له امراة العزيز ولا حين حللت تكة
سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله
استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا
به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك
اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء
روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله

اي على اهل السجن

اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم
اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل
البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل
وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال
يوسف
اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان
آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال
رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل
وما كان منها على الهيئة التي راها الملك لا يخرم منها حرفا
وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من
النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد
قبلك اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ
عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف
نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه
وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق
وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعله
علم ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه
الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف
لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك
سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت
امره وطاعته

جمع هري وهو الموضع الذي يجمع فيه الطعام ... انبار

Copyright © King Saud University

قلت روى مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز
ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون
القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه
لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر
او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه
ولا يعترض عليه في كل ما راى وكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك
ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في ارض مصر روي انها
كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون
والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه
لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه
روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له
سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما
السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما
التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا
لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض
الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته
فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء
فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته
الرجال والنساء واسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من
اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة
الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب

يرونه اي يعتقدونه من الوالي وهو الاعتقاد

قال الله وشددنا ملكه اي وضعنا لداود علم سرير الملك

ثم بالضياع

٢٩٢

ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا
والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك
كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك
قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم
ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل
بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو
ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين
برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم
من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان
ناجرهم في الدنيا ولاجر الآخرة خير لهم وعن سفيان بن عيينة المؤمن يثاب
على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له
في الآخرة من خلاق وتلا هذه الاية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته
اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم
لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك
والسلطان عن حالته التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم
معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان
الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام
ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير
جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر
ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة
وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم

اي حبسه لنفسه

Copyright © King Saud University

لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان
همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم مكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن
ما عرفهم حتى تعرفوا اليه ﻫ ولما جهزهم بجهازهم اى اصلحهم بعدتهم وهى
عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤا
له من الميرة وقرى بجهازهم بكسر الجيم ع قال ائتونى باخ لكم من ابيكم لا بد من
مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسئلة روى انه لما
رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبرونى من انتم وما شانكم فانى انكركم
قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال
لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى قالوا معاذ الله نحن اخوة
بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبيا اسمه يعقوب قال كم انتم
قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة
قال فاين الاخ الحادى عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال
فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذى تقولون حق قالوا انا ببلاد
لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة
وائتونى باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا فى يوسف فخلفوه
عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم ﻫ ولا تقربون فيه وجهان
احدهما ان يكون داخلا فى حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا
كيل لكم كانه قيل فان لم تاتونى به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهى
ﻫ سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده
ع وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او انا لفاعلون

ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى ﻫ لفتيته وقرى لفتيانه
وهما جمع فتى كالاخوة والاخوان فى اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اى
لغلمانه الكيالين ع لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها
وحق التكرم باعطاء البدلين ع اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم
ع لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا
وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه
من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته
ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون
امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها
ﻫ منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتونى به فلا كيل لكم لانهم
اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل ع نكتل نرفع المانع من الكيل
ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرى يكتل بالياء على ان يكتل اخونا
فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه
بسببه ﻫ هل آمنكم عليه يريد انكم قلتم فى يوسف وانا له لحافظون كما
تقولون فى اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمننى من مثل ذلك ع ثم قال
فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا
تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون
حالا وقرى حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة
خير الحافظين ع وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم على بحفظه
ولا يجمع على مصيبتين ﻫ وقرى ردت البنا بالكسر على ان كسرة الدال
المدغمة نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد

على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد ❊ ما نبغي للنفي اي ما
نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك والكرامة
وكانوا قالوا لابيهم انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان
رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبتغي شيئا ورا ما فعل
بنا من الاحسان او على الاستفهام بمعنى اي شي نطلب ورا هذا
وفي قراة ابن مسعود ما تبغي بالتا على مخاطبة يعقوب معناه اي شي تطلب ورا
هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد
منك بضاعة اخرى ❊ وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة
موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا
ردت الينا فنستظهر بها ❊ ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ❊
ونحفظ اخانا فما يصيبه شي مما تخافه ❊ ونزداد باستصحاب اخينا
وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فاي شي نبغي ورا هذه المباغي
التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد
كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط
فان قلت هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب
والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت
الينا بيانا لصدقهم وانتفا التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي
قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا
ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدا كقولك وينبغي ان
نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل
غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق

تزيد في الحديث تكذب فيه والمعنى زاد ما لم يكن بينه

الا بالصواب

الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه
بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا
يبغون في رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ❊ ذلك
كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا
ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير
اي ذلك الكيل شي قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل
عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير
واحد شي يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم ❊ لن ارسله
معكم منا في الحالة وقد رابت منكم ما رابت ارساله معكم ❊ حتى تؤتون
موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا
له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد
به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه ❊ لتأتنني
جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به ❊ الا ان يحاط بكم
الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت
اخبرني عن حقيقة هذا الاستثنا ففيه اشكال قلت ان يحاط
بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتاتنني به في تاويل
النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه
لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثنا من اعم
العام في المفعول له والاستثنا من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده
فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم
اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل

Copyright King Saud University

على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيف قنت طلع ه وانما
نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة
حسنة وقد اشتهروا في اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة
الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم
من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هولا اضياف الملك
انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما
اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان
يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور
فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى
لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت هل للاصابة
بالعين وجه تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر
الى الشي والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلا
من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق
هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه انه كان يعوذ الحسن والحسين
فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة
وما اغني عنكم من الله من شي يعني ان اراد الله بكم سوا لم ينفعكم ولم
يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة
ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين
ما كان يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين شيا قط حيث اصابهم
ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ

يقال عنت الرجل اصبته بعيني فانا عاين وهو معين على النقص ومعيون على التمام ه

اراد بالهامة ذوات السموم من هيئة هميا اذا دبت كالعقارب ه

[illegible]

١٩٥

اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم شفقته
الا حاجة استثنا منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي
عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله
وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر اوى اليه
اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا هذا اخونا قد جيناك
به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم
ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى
وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا
فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل
اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه
ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت
اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك
قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام
اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا
يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم
بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل
اخيك المفقود ولا تبتئس لا تلتفت الى ما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد
امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي
بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل
قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك
بانك سرقته ليتهيا لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية

اخيهم

Copyright King Saud University

مشربة يسقى بها وهو الصاع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت
صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل
كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي
الذي يلتقي طرفاه يشرب بها الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب
وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن
نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن
لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم
امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها
الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجي وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر
حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف
وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا
خيل الله اركبي وقرا ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب
لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم
حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرا ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من
افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع بفتح الصاد
وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد
واني بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام
جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما
قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل
دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا
وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد

مناهل

من اهل السوء ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم
وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا
فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في
جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي
جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكمهم ان السارق ال يعقوب
ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه
تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك
حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه اي فهو حقه لتقرر
ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدا
والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر
والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول
لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع
الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر
مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اي المسؤول عنه
جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي
في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا
فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدا باوعيتهم قيل قال لهم من وكل
بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدا بتفتيش
اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن
هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب
لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرا الحسن وعاء اخيه بضم

الواو

وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير إعاء أخيه بقلب الواو همزة فإن قلت
لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه قلت قالوا رجع بالتانيث
على السقاية أو أنث الصواع لأنه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان
يسميه سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا مثل ذلك
الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه
ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لأنه كان
في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ لا
أن يلزم ويستعبد إلا أن يشاء الله أي ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله
وإذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه
وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه
أرفع درجة منه في علمه أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم
وهو الله عز وعلا فإن قلت ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسنا
فمن أي وجه حسن هذا الكيد وما هو إلا بهتان وتسريق لمن لم يسرق
وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله إنكم لسارقون فما جزاؤه إن كنتم كاذبين
قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لأن قوله إنكم
لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان
ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله إن كنتم كاذبين فرض لانتفاء
براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على أنه لو صرح لهم بالتكذيب
كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لأنهم كانوا كاذبين في قولهم
وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم
الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية

وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية

وريت الخبر إذا سترته وأظهرت غيره

١٩٧

كقوله لأيوب عليه السلم وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث
وكقول إبرهيم هي أختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها إلا
مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى
في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما
وذريعة إليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح
لما ذكرنا فقد سرق أخ له أرادوا يوسف روي أنهم لما استخرجوا
الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا
له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل
ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل
الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع
هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف
فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة فقيل كان أخذ في صباه صنما لجده أبي أمه
فكسره وألقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا
صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت في المنزل
عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت لإبرهيم عليه السلم
منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحق ثم وقعت إلى ابنته وكانت
أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا
تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت إلى المنطقة
فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة إسحق فانظروا
من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت إنه لي سلم
أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فأسرها

أي مسلّم لي

اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث
لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من
الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا
والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر
مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد
القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق
لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون
يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون استعطفوه
باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر
وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك
وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذه
بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين الينا
فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها
معاذ الله كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم
اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك
ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله
امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح
جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا
على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان نأخذ نعوذ بالله معاذا من ان
نأخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذا جواب لهم
وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا استيأسوا يئسوا وزيادة

دخلنا في الظلم

السين

السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على
معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر
والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي
هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل
واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال
هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال
اني اذا ما القوم كانوا انجيه ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا
عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا
نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا
تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم
في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم
على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم
تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم
في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل
والراي وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما
صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم
وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف
وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب
عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ
ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى
ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة

كانهم

ومحله الرفع او النصب على الوجهين ، فلن ابرح الارض فلن افارق
ارض مصر ، حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه ، او يحكم الله لي بالخروج
منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من
الاسباب ، وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق ،
وقرئ سُرِّق اي نُسب الى السرقة ، وما شهدنا عليه بالسرقة ، الا
بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا
شيء ابين من هذا ، وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق
حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف
ومن قرا سُرِّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق ،
وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دُسّ الصاع في رحله
ولم يشعر ، القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها فسلهم
عن كنه القصة ، والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما
من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعا معناه فرجعوا
الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سوّلت لكم انفسكم
امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته
لولا فتواكم وتعليمكم ، بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره
، انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك
الا لمصلحة ، وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاوا به ،
يا اسفى اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف
بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا
غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم

ما استفهامية اي اي شيء اعلم ذلك الرجل

ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون صنعا وعن النبي صلى الله عليه
لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة
محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال
يا اسفى فان قلت كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث
والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل
على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان
الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسني اوفى
المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي
ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به
وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته
الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا
، فرئ من الحزن ومن الحزن لان الحزن كان سبب البكا الذي حدث منه
البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت
فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم
على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه انه سال جبريل
ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما
كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة
قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ
قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن
ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد
بكى رسول الله صلى الله عليه على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع

ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الجزع
المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور
والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه انه بكى على ولد بعض
بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن
البكا فقال ما نهيتكم عن البكا وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند
الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل
له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو
كظيم فهو مملو من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى
مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده على ملئه
والكظم بفتح الظا مخرج النفس يقال اخذ باكظامه تفتؤا
اراد لا تفتؤا فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا
لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا
ومعنى لا تفتؤا لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتو
والفتور اخوين يقال ما فتي يفعل قال اوس
فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا
مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمونث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الرا ونحوه دنف
ودنف وجات القراة بهما جميعا وقرا الحسن حرضا بضمتين ونحوه
في الصفات رجل جنب وغرب البث اصعب الهم الذي لا يصبر
عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه امره وابثه
اياه ومعنى انما اشكو اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو

جاد المريض بنفسه اخذه سكرات الموت

وصفها بصفة صاحبها

رواه بعض اهل اللغة الكظم بضم الكاف وسكون الظا قال وهو صحيح لان فعلا وفعلا اقولان كرشد ورشد وشبهه

اي يدعو بعضهم بعضا او تنتسب

كلاهما اسم للغريب

الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه
عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب
جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ
ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف
فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة اخطاتها
فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى
الله وروي انه اوحي الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة
فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبيا ثم المساكين
فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها
فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه
ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي
انه راى ملك الموت في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا
والله هو حي فاطلبه وقرا الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين
قتادة فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا
خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس
وهو المعرفة ومن احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب
ومنه قالوا المشاعر للانسان الحواس والجواس من روح الله من فرجه
وتنفيسه وقرا الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته
التي يحيا بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع
مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها
من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب فقيل كانت

Copyright © King Saud University

من متاع الاعراب صوفًا وسمنًا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء
وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة
فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا
بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا
ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على
الانبيا وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن
ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر
انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته
الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين
شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها
المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي
ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم
اعطني او تفضل علي او ارحمني ﴿قال هل علمتم﴾ اتاهم من جهة الدين
وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي
يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف
واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل
علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح
والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا
لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في
ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى
المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبيا ما اوطاها

واسجحها

تسجح الخلق حسن وسهل

ما للمرء حصاة ولا اصاة
اذا لم يكن له عقل

واسجحها لله حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد
نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يعملوا بما يقتضيه العلم
ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان
في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة روي
انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه
ثم قال هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب
اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر
اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه
ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا
وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما
انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم
اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت
عيناي من بكاي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى
به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك
وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا
دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرا يوسف
الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرا الكتاب
بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا ﴿قالوا ءانك﴾
ما فعلتم باخيه تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده
عن اخيه لابيه وامه وجفاهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم
احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذائهم له بانواع الاذى

تري أئنك على الاستفهام وإنك على الإيجاب وفي قراءة أبي أئنك أو أنت
يوسف على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني
عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات
فإن قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم
بذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر
مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر
وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم
وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه
كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فإن قلت
قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه على أن أخاه كان
معلوما لهم قلت لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه
من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات
فإن الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على
المتقين والصابرين لقد آثرك الله علينا أي فضلك علينا بالتقوى
والصبر وسيرة المحسنين وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين
للإثم لم نتق ولم نصبر لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن
بين يديك لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من
الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب
كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك
غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي
يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه فإن قلت بم تعلق اليوم قلت

وذكر في المفصل
وقرئ من يتقي
في رواية عن ابن كثير
بإثبات الياء حالة
الجزم كما قال
ألم يأتيك والأنباء تنمي
بما لاقت لبون بني زياد

بالتثريب

بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر والمعنى
لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم
بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما
فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع
جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم أو اليوم يغفر
الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم
على خطيئتهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب
الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترون أني فاعل بكم قالوا نظن خيرا
أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخي يوسف لا
تثريب عليكم اليوم وروي أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس
إذا أتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله
غفر الله لك ولمن علمك ويروى أن إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه إنك
تدعونا إلى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال
يوسف إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلي بالعين الأولى
ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت
الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي وأني من
حفدة إبراهيم اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي
كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه
فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي يأت بصيرا
يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد
بصيرا أو يأت إلي وهو بصير وينصره قوله وأتوني بأهلكم

اي يا بني ابي ويا بني آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته
بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله
وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ﴿ولما فصلت
العير﴾ خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل
منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس فلما انفصل العير ﴿قال
ابوهم﴾ لولده ومن حوله من قومه ﴿اني لاجد ريح يوسف﴾ اوجده الله ريح
القميص حين اقبل من مسيرة ثمان ﴿لولا ان تفندون﴾ التفنيد النسبة الى الفند
وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال
عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها
والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني ﴿لفي ضلالك القديم﴾ لفي
ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف والهجك بذكره
ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات ﴿القاه﴾ طرح
البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب ﴿فارتد﴾
فرجع ﴿بصيرا﴾ يقال رده فارتد وارتده اذا ارجعه ﴿الم اقل لكم﴾
يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله
وقوله ﴿اني اعلم﴾ كلام مبتدا لم يقع عليه القول ولكن ان وقعت عليه اريد
قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه
سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك
على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ﴿قال
سوف استغفر لكم﴾ قيل اخره الى وقت السحر وقيل
الى ليلة الجمعة ليتعهد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في

صدق

صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم
فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة
وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم
اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما
اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي
انهم قالوا وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف
عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل
الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا
خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا
انها الهلكة نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك
وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم
﴿فلما دخلوا على يوسف﴾ قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي
راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة
الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب
وهو يمشي يتوكا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا
اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام
عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت
بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى
ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان
يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة
وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة

اي نغدون طاقتهم

استنبي ونبي اي جعل نبيا

اي من يصلح منهم للحروب والقتال

وسبعون رجلاً سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف
ومائتي الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت
امه تحيا وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد
الابوين لان الرابة تدعى امّاً لقيامها مقام الام او لان الخالة ام
كما ان العم اب ومنه قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق فان قلت
ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت كانه حين
استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه
ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ولما دخل مصر وجلس في
مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على
السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجداً ويجوز ان
يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر
ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق
وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت بم تعلقت
المشية قلت بالدخول مكتفيا بالامن لان القصد الى اتصافهم
بالامن في دخولهم فكانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم ان شاء الله
ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشية
بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكتفيا بهما والتقدير
ادخلوا مصر امنين ان شاء الله دخلتم امنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض
بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء
الله من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر
لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظائره فان قلت

كيف

كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية
مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها
مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير
وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجداً يأباه
وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجداً لله شكراً وهذا ايضاً
فيه نبوة يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه قال
اسيئي بنا او احسني لا ملومة من البدو من البادية لانهم كانوا
اهل عمد واصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع نزغ افسد
بيننا واغرى واصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال
نزغه ونسغه اذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير لاجله
رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب روي ان يوسف اخذ بيد
يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن
الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة
القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت
الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت
ابسط اليه مني فسله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف
ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا
وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى
بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة
فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد
فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه
الله طيباً طاهراً

مواضع النجعة

فتخاصم اهل مصر وتشاحّوا في دفنه كلٌّ يحبّ ان يدفن في محلّتهم
حتى همّوا بالقتال فرأوا من الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر
وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمرّ عليه الماء ثم يصل الى
مصر ليكونوا كلهم فيه شرعًا واحدا وولد له افرائيم وميشا
وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة
من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين
يوسف وآبائه الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه. من في من الملك ومن
تأويل الاحاديث للتبعيض لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك
مصر وبعض التأويل. انت وليّي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين
وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي. توفني مسلما طلب للوفاة على حال
الاسلام وان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن
الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنّيا للموت على ما قيل. والحقني بالصالحين
من آبائي او على العموم. عن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات
عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك
خيرا كثيرا احييت سننا وامتّ بدعا وفي حياتك خير وراحة
للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقرّ الله عينه
وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين. فاطر وانت علام
انتصب فاطر السموات وانت على انه وصف لقوله رب كقولك
اخا زيد حسن الوجه او على النداء. ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ
يوسف والخطاب لرسول الله ومحله الابتداء. وقوله من انباء الغيب
نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء

هم اولاد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح علم

بيان الفراعنة

الغيب

الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبأ غيب لم
يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم
وهو القاؤهم اخاهم في البئر كقوله وأجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب
وهذا تهكم بقريش وبمن كذّبه لانه لم يخف على احد من المكذبين
انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها
احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصّه
هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة
في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل
لهم قد علمتم يا مكابرة انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون
الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر.
وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل. وما اكثر الناس يريد
العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس اراد اهل
مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم
لتصميمهم على الكفر وعنادهم. وما تسألهم على ما تحدثهم به
وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الاحاديث
والاخبار. ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث
على طلب النجاة على لسان رسول من رسله. من آية من علامة ودلالة
على الخالق وعلى صفاته وتوحيده. يمرون عليها ويشاهدونها
وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها. وقرئ والارض بالرفع على الابتداء
ويمرون عليها خبره وقرأ السدي والارض بالنصب على ويطؤون الارض
يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد

اي الحديث

ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم في اقرارهم
بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادته
الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس
هم الذين شبهوا الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل
ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه
السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق
يذكر ويؤنث ثم فسر سبيله بقوله ادعو الى الله على بصيرة اي ادعو
الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء وانا تاكيد للمستتر في ادعو ومن
اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز
ان يكون انا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما عليه ومن اتبعني عطفا على
انا اخبارا مبتدأ بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى
ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني
وسبحان الله وانزهه من الشركاء الا رجالا لا ملائكة لانهم لا انزل ملائكة
وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة وقيل في سجاح المتنبئة
ولم تنزل انبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي اليهم بالنون من اهل القرى
لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة
ولدار الاخرة ولدار الساعة او الحال الاخرة خير للذين اتقوا
للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا يعقلون بالتاء
والياء حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر وظنوا
انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاهم

وعلى الوجه الاول كان حالا ه

اضحت نبيتنا انثى نطوف بها اوله

سجاح هي بنت المنذر تنبأت في ايام مسيلمة واتت به لتختبره فآمنت به وسلمت نفسها له ه

لقولهم

لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة
من الكفار وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم
وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا
جاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا
وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا
وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله
فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس
في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية
واما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين على الاخر فغير جائز على
رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه
متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم
انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم
ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن
الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم
وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد
كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تاويل ابن عباس واما
على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا
فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا
ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم
موعدهم وقرئ فنجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي على
لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد من نشاء المؤمنون

اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا او وظن المرسل ه

لانهم الذين شئنا هلاكهم لا من شئنا نجاتهم ؛ وقد بين ذلك بقوله ولا
يرد باسنا عن القوم المجرمين ؛ الضمير في قصصهم للرسل ونصرهم
قراءة من قرا في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته
فلا يرجع الضمير ؛ ما كان حديثا يفترى ؛ اي من قرا
بالكسر ولنسبته الى القران ؛ ما كان القران حديثا يفترى ولكن كان
تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية ؛ وتفصيل كل
شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع
والقياس بعد ادلة العقل ؛ وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على
خبر كان ؛ وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه
عن رسول الله صلى الله عليه علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها
وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة
ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها
(انها مكية او مدنية)
وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ايات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الايات
ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من ربك
القران كله ؛ هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي
اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين
طرفاها تريد الكملة ؛ الله مبتدا والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد
الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبر بعد خبر
وينصره ما تقدمه من ذكر الايات ؛ رفع السموات بغير عمد ترونها كلام

مستانف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد
ويعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين ؛ يدبر الامر يدبر امر
ملكوته وربوبيته ؛ يفصل اياته في كتبه المنزلة لعلكم توقنون
بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرا
الحسن ندبر بالنون ؛ جعل فيها زوجين اثنين خلق فيهما من جميع
انواع الثمرات زوجين زوجين صنفين اثنين ثم تكاثرت بعد ذلك
وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير
والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة ؛ يغشي الليل النهار
يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي
بالتشديد ؛ قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة
مثلا صفة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة
وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا
في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه
دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع
مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة
الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي
بعض المصاحف قطعا متجاورات على جعل ؛ وجنات بالنصب للعطف
على زوجين او بالجر على كل الثمرات ؛ وقرئ وزرع ونخيل عطفا على
اعناب او جنات ؛ والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان
واصلهما واحد وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم
وقيس ؛ تسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول

اي تسقى المذكور او تسقى الجنة

في الأكل بضم الكاف وسكونها وإن تعجب يا محمد من قولهم في
إنكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر
على إنشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت
الإعادة أهون شيء عليه وأيسر فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب
أئذا كنا إلى آخر قولهم يجوز أن يكون في محل الرفع بدلا من قولهم
وأن يكون منصوبا بالقول وإذا نصب بما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد
أولئك الذين كفروا بربهم أولئك الكاملون المتمادون في كفرهم
وأولئك الأغلال في أعناقهم وصف بالإصرار كقوله إنا جعلنا في أعناقهم
أغلالا ونحوه لهم عن الرشد أغلال وأقياد أو هو من جملة الوعيد
بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية ولا إحسان إليهم بالإمهال
وذلك أنهم سألوا رسول الله أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره
وقد خلت من قبلهم المثلات أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فما
لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة
والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها
ويقال أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه والمثال القصاص
وقرئ المثلات بضمتين لإتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وإسكان
الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف
المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وإن ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله
الحال والمعنى ظالمين لأنفسهم وفيه أوجه أن يريد السيئات المكفرة
لمجتنب الكبائر أو الكبائر بشرط التوبة أو يريد بالمغفرة الستر والإمهال

اي قولهم

اي لذلك أطلق المثلة على المعنيين

اي كما اسكن الثاء في السمرة والاصل فتح الميم

وروى

وروي أنها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه لولا عفو الله وتجاوزه
ما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد
لولا أنزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى
الله عليه عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا
حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله إنما أنت منذر أرسلت منذرا
مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك إلا
الإتيان بما تصح به أنك رسول منذر وصحته حاصلة بأية
آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا
تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على
حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد
من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية
وبآية خص بها ولم يجعل الأنبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة
ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات
ويعاندون فلا يهمنك ذلك إنما أنت منذر فما عليك إلا أن تنذر
لا أن تثبت الإيمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد
قادر على هدايتهم بالإلجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما أردفه من
ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على قضايا حكمته أن إعطاءه كل
منذر آيات خلاف آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر
بالحكمة الربانية ولو علم في إجابتهم إلى مقترحهم خيرا ومصلحة
لأجابهم إليه وأما على الوجه الثاني فقد دل به على أن من هذه
قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بأي طريق

هو الله يعلم ما تحمل كل انثى الاية

يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره ۞ الله يعلم يحتمل ان يكون
كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه
الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى ۞ وما في ما تحمل وما تغيض
وما تزداد اما موصولة واما مصدرية وان كانت موصولة
فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة
وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال
الحاضرة والمترقبة ۞ ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه
يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء ۞ وما تزداده
اي تاخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه
قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد
ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد
وقد تشتمل على اثنين وثلثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة
في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه
مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين
عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل
ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين
ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية
فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها
لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد بغيوض ما
في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما
فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة

هو شريك بن عبد الله

ان تضع

١٠

ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر
وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد
لتمام ۞ بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله
انا كل شيء خلقناه بقدر ۞ الكبير العظيم الشان الذي كل
شيء دونه ۞ المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر
عن صفات المخلوقين وتعالى عنها ۞ سارب ذاهب في سربه بالفتح
اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى
سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته
ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد
فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو
سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب
والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما
ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف الا ان من في معنى الاثنين
كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان
مستخف بالليل وسارب بالنهار ۞ والضمير في له مردود على من
كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب ۞ معقبات
جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات
فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون
ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه
اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او
لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه ۞ يحفظونه من امر الله صفتان

لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف صح

جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات
من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اى من اجل ان الله امرهم
بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر
بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس الله
ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسالتهم ربهم ان يمهله
رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من
الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان
يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اى من قضاياه ونوازله
او على التهكم به وقرى له معاقيب جمع معقب ومعقبة والياء
عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة
المعاصي من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا
لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل
الا على تقدير حذف المضاف اى ارادة خوف وطمع او على معنى
اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق
كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين
اى خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق
يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق
وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه
التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله

بالمطر

بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به السحاب
اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول
سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونساء كرام
وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوا الرعد من
العباد الراجين للمطر حامدين له اى يضجون بسبحان الله والحمد
لله وعن النبي صلى الله عليه انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد
بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد
قال رسول الله اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك
وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه
عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه
مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله
ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق
زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح
الملائكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء
الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته
ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا
اياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به
من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام
وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه
بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم
بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل

يخاطب الرعد

Copyright ... University

الواو للحال اي فيصيب بها من يشا في حال جدالهم وذلك ان اربد
اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله حين وفد عليه مع
عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة
البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتله
قال عليه اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد ۵ المحال المماحلة وهي
شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة
واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه
الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى
فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى انه
والكيد لاعدائه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرا الاعرج
بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه
احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار
ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جا فساعد الله اشد وموساه
احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة
والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر
وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه ۵ دعوة الحق فيها وجهان
احدهما ان تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان
الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى
ان الله سبحانه فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سوله ان كان يدعى
مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان
يوجه اليه الدعا لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا

اجعله لنا شافعا مشفعا
الضمير للقرآن ١ه

الدعوة الى الحق الذي هو ضد الباطل كالنضاف صح

ينفع

ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا
على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله
الحق هو الله وكل دعا اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال
هذين الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصا
بة الصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول
الله عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما
فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم
رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله ان دعا عليهم
فيهم ۵ والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله
۵ لا يستجيبون لهم بشي من طلباتهم ۵ الا كباسط كفيه الا استجابة
كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الما من بسط كفيه اليه يطلب
منه ان يبلغ فاه والما جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه
وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاه ويبلغ فاه وكذلك ما
يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر
على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن
اراد ان يغرف الما بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم
تلق كفاه منه شيا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتا
كباسط كفيه بالتنوين ۵ الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم
ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم ۵
ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من فعله شاؤوا او
ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف

الطلبة بمعنى المطلوب
ومن بيان طلبة ١ه

على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ بالغدو
والايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل ﴿قل الله﴾ حكاية لاعترافهم
وتاكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد
من ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال
هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه
ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا
اي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه
﴿افاتخذتم من دونه اولياء﴾ ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم
من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم
واقراركم سبب الاشراك ﴿لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا﴾ لا يستطيعون
لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم
وقد آثرتموهم على الخالق الرازق والمثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم
﴿ام جعلوا﴾ بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار ﴿خلقوا﴾ صفة
لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق
الله ﴿فتشابه﴾ عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على
الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء
ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له
شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا
على ما يقدر عليه الخالق ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ لا خالق غير الله ولا
يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة

كعوا عيوا وفي الصحاح كعوا اي جبنوا

سبب مفعول ثان لجعلتم

وهو

وهو الواحد المتوحد بالربوبية ﴿القهار﴾ لا يغالب وما عداه
مربوب ومقهور ﴿هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل
وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما
فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به اودية
الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون
به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو
لم يكن الا الحديد الذي فيه الباس الشديد لكفى به وان ذلك
ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى
آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به مما
يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه
الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه
عن المنفعة بزبد السيل وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا
اذيب ﴿فان قلت﴾ لم نكرت الاودية قلت لان المطر لا
ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية
الارض دون بعض ﴿فان قلت﴾ فما معنى قوله بقدرها قلت
بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار
الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا
للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا
يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف ﴿فان قلت﴾ فما فائدة
قوله ابتغاء حلية او متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله
بقدرها لانه جمع الماء والفلز في ذكر وجه الانتفاع مما يوقد عليه

انزل من السماء ماء

صحاح: ما ينفيه الكير مما تذاب من جواهر الارض

البئار جمع بئر

الذي يرمى به

هي التي تجحف الارض اي تقشرها

النفع في قوله واما ما ينفع الناس لا المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز

منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما توقدون عليه في النار ابتغا
حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره
على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر اوقد لي
يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية او للتبعيض ومنه يتشاد زبد مثل زبد الما
او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه
السيل جفا يجفاه السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها
واجفأ السيل واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي
حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار وقرئ توقدون بالياء
اي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك
يضرب الله الامثال للمومنين الذين استجابوا وللكافرين الذين
لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا
اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدا في ذكر
ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله
الامثال وما بعده كلام مستانف والحسنى مبتدا خبره للذين استجابوا
والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا
خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل
بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت همزة الانكار على الفا في
قوله افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال
من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل
الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث
والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم

اي كان بدويا لا يعرف اللغة والقراءة

فنظروا

عقبى

فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدا واولئك لهم
الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز
ان يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه
على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على
انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين
الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان يوصل
من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله
وقرابة المومنين الثابتة بسبب الايمان انما المومنون اخوة بالاحسان
اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم
والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام
عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة
حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما
تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض
ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان
قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان
كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون
ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا صبروا مطلقا فيما
يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف
ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل

لتناسب الموصولات في الاعراب والوجه وعدم تكلفها ولان على الاول عطف المفرد على المفرد وهو اقوى

اي الذين يوفون بعهد الله تخصيص وقوله ولا ينقضون الميثاق تعميم

واوقره عند الزلازل ولئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعدا
كقوله وتجلدي للشامتين ولانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد
فيه للفائت كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا
وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان
حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل ؞ مما
رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله ؞
سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض
لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ؞ ويدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس
يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن
اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن
ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره ؞
عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة
الدنيا ومرجع اهلها ؞ جنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ
فنعم بفتح النون والاصل نعم فنعم بكسر النون فنقل كسرة العين اليها
ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البنا
للمفعول ؞ وقرا ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم
ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة ؞ وآبائهم جمع
ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم ؞ سلام عليكم
في موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين فان قلت
بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم
يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق

الصبر

المجاهرة بها نفيا صح

الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى ان تعبتم في الدنيا
لقد استرحتم الساعة كقوله بما قد ارى فيها اوانس بدنا
وعن النبي صلى الله عليه انه كان ياتي قبور الشهدا على راس كل حول فيقول
السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام
اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم ؞ من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
به من الاعتراف والقبول ؞ سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا
لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها
؞ الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره
دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم ؞
وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل
الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة
وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيئا نزرا
يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او
نحو ذلك ؞ فان قلت كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية من ربه قوله ان الله
يضل من يشا قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك
ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله لم يؤتها نبي
قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا
بها وجعلوه كان آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار
فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم
ان الله يضل من يشا من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة
في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ؞ ويهدي

الضميرين ... عائد الى العهد

قوله

البه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل
في نوبة الخير والذين آمنوا بدل من من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله
بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلائله
الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن
القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدا وطوبى لهم
خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف
اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى
وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع
كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة
في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في
لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن يا لضمة ما
قبلها كموقن وموسر وقرا مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم
اليا كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني
ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف
ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد
تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبيا لتتلو عليهم الذي
اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك
وهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم
من نعمة فمنه وكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا
القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد

قال رضي الله عنه كما تسمي
العرب بكوز سميت بمكوزة
وهي اما جمع كوز كمشيخة
جمع شيخ ومسيفة جمع سيف
ويجوز ان يكون الموضع يجعل
فيه الكوز

وحال [illegible]
انهم يكفرون

المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني
على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه محذوف كما تقول
لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت
به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض
حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان
هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما
قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا
اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله من القرآن وقيل
معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى
وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا
عليهم الملائكة الآية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله
سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين
والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون
على الله من داود او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام
ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت
لسليمان او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي
بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها
وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد
وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله

القطائع جمع قطيعة
وهي الارض التي
تزرع فيها

الامر جميعا على معنى بل لله القدرة على كل شي وهو قادر
على الايات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه
والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجا لولا انه
بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين امنوا
ان لو يشا الله يعني مشية الالجا والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى
افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس
بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشي عالم بانه لا يكون كما
استعمل الرجا في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال
اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم — سحيم بن وثيل الرياحي
ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قراوا افلم يتبين
وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي
السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا
بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في
دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا
عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البنا وهذه
والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشا الله بامنوا
على اولم يقنط عن ايمان هولا الكفرة الذين امنوا بان لو يشا الله لهدى الناس
جميعا ولهداهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسو اعمالهم
قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا
والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم

فيتفزعون ويضطرب ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها
حتى ياتي وعد الله وهو موتهم او القيمة وقيل ولا يزال كفار
مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة
لان رسول الله كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف
منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم
بجيشك كما حل بالحديبية حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة وكان
الله قد وعده ذلك الاملا الامهال وان يترك ملاوة من الزمان
في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن
اقتراحهم الايات على رسول الله استهزا به وتسلية له افمن هو
قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم
رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد
لكل جزاه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف
عليه وجعلوا وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله
الذي تحق العبادة له وحده شركا قل سموهم اي جعلتم له شركا فسموهم
له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك
للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه
بشركا لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم
يعلمهم علم انهم ليسوا بشي يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركا
ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول
بل اتسمونهم شركا بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة
كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها وهذا

قوله يعلم خبر بعد خبر لقوله هو

مبتدا

الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناديا على نفسه
بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه
فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم
كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا وقرئ بالحركات الثلث وقرا
ابن ابي اسحاق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه
لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب
في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا
يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله
من واق وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته
مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتدا
والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة
وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر
وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار
على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرا علي رضي الله عنه
امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة
ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين
اتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان
وثلثون بارض الحبشة هم يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم
وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الاشرف
واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم

خ ما احسن ما خلق الخلاق

النسخ الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته

وثمانية من اهل اليمن

كانوا

كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت
في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول
الله وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فان قلت كيف اتصل
قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين
معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم
له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم
وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرا نافع في رواية ابي خليد
ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف وكانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان
يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به
اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم
تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك
الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة
اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية
مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله
الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله
عنها فقيل له ان تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت
العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر
واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث
للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند
الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله من شدة الشكيمة بمكان

كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول
يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل
كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي أزواج وذرية • وما كان لهم أن
يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح
تختلف باختلاف الأحوال والأوقات • فلكل وقت حكم يكتب على
العباد أي يفرض عليهم على ما تقتضيه استصلاحهم ه
يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى
المصلحة في إثباته أو يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان
الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لأنهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل
ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت
إيمانهم وطاعتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الأناسي
وسائر الحيوان والنبات والأشجار وصفاتها وأحوالها والكلام
في نحو هذا واسع المجال • وعنده أم الكتاب أصل كل كتاب وهو اللوح
المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت بالتشديد ه وإما نرينك وكيف
ما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب
عليهم أو توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب
وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك إعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم ه أولم يروا أنا نأتي الأرض أرض الكفر • ننقصها
من أطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد
في دار الإسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه أفلا يرون
أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق

أي إن نرينك أو نتوفينك فما يجب عليك إلا البلاغ ه

والمعنى

والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن
نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما
نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر
من طلوع تباشير الظفر • والله يحكم لا معقب
لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته
الذي يعقبه أي يقفيه بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب
لأنه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم
والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار
والانتكاس • وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد
عذاب الدنيا فإن قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة
محلها النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني
زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسرا ه وقد مكر الذين من قبلهم
وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال فلله
المكر جميعا • ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن
عقبى الدار لأن من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر
كله لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ
الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله والمراد بالكافر الجنس
وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من أعلمه أي سيخبر ه كفى
بالله شهيدا لما أظهر من الأدلة على رسالتي • ومن عنده علم الكتاب
والذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر
وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم

علم القرآن ووجه إعجاز القرآن ه

وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ عن الحسن لا والله ما
يعني إلا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم
ما في اللوح إلا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده
علم الكتاب على من الجارة أي ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه
من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعُلم على البناء
للمفعول وقرئ ومن عنده عِلمُ الكتاب فإن قلت بم ارتفع علم الكتاب
قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في
الظرف فيكون فاعلا لأن الظرف إذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده
على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار أخوه
فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة التي
لم تقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء ○ عن رسول الله صلى
الله عليه من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب
مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة إبرهيم مكية وهي إحدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات
والنور استعارتان للضلال والهدى بإذن ربهم بتسهيله وتيسيره
مستعار من الإذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف
والتوفيق إلى صراط العزيز الحميد بدل من قوله إلى النور بتكرير
العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز أن يكون على
وجه الاستئناف كأنه قيل إلى أي نور فقيل إلى صراط العزيز الحميد

وقوله

وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام
لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم
في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة
اسم معنى كالهلاك إلا أنه لا يشتق منه فعل إنما يقال ويلا له
فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لإفادة معنى الثبات فيقال
ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى
نور الإيمان توعد الكافرين بالويل فإن قلت ما وجه اتصال قوله
من عذاب شديد بالويل قلت لأن المعنى أنهم يولولون من عذاب
شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا
الذين يستحبون مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد ويجوز أن يكون مجرورا صفة
للكافرين ومنصوبا على الذم أو مرفوعا على أعني الذين يستحبون أو هم
الذين يستحبون والاستحباب الإيثار والاختيار وهو استفعال من المحبة
لأن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل
عندها من الآخر وقرأ الحسن ويُصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده
عن كذا وأصده قال أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة
فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي إلى التعدي وأما
صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه لأن
الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها
عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وأن يدلوا الناس على
أنها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والأصل ويبغون لها فحذف الجار
وأوصل الفعل في ضلال بعيد أي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه

بمراحل فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد
المجازى والبعد فى الحقيقة للضال لانه هو الذى يتباعد عن الطريق
فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد فى ضلال ذى بعد
او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا
الا بلسان قومه ليبين لهم ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة
على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرانا
اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس
انى رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن
للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن
للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها
فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى
التطويل فبقى ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم
الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر
قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم
فى كل امة من امم العجم مع ما فى ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار
المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم
فى تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد
وما يتكاثر فى اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات
المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع
والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان

التراجم جمع ترجمان بكسر الجيم صح كزعفران وزعافر وصحصحان وصحاصح صح ه

مستقلا

مستقلا بصفة الاعجاز فى كل واحد منها وكلم الرسول العربى كل
امة بلسانها كما كلم امته التى هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان
ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ
بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة
وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع
لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير فى قومه لمحمد
صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية
ثم اداها كل نبى بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم
ضمير القوم وهم العرب فيؤدى الى ان الله انزل التوراة من السماء
بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء
ويهدى من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا
من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدى الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال
التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان
ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته
الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف
ان اخرج بمعنى اى اخرج لان فى الارسال معنى القول كانه
قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل
وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه
فى تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء فى الفعلية
والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه
بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك

يتلوه حال من ضمير فاعل كلم ه

ان ص

لانه لم ينزل التوراة لبيس للعرب انما انزلت لبنى اسرائيل ه

الموصولة بالامر الناصبة

تكون ان مع ما

الى امره

كحرف الجر لا يدخل الا على حروف التفسير ه

وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها
كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر
وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام
وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك
القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه واذا سمع
بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما
يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان
الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم اذ انجاكم ظرف للنعمة
بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل
يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة
بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا
كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة
عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله
عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها
والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت
انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون
وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت
الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا
له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد
عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل

كلها امكنة وايام الاسلام يوم حنين يوم بدر

بانهم يجب ان يصبروا ويشكروا

آل فرعون

آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما
فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء
وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى
ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو
واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف
على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم آذن ربكم
ونظير تاذن وآذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل
من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا
تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم
فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول
وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل
ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل
الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن
كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن
كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس كلهم
فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه
وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد
بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا او عطف
الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض

جمع محواج

والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزا كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبيا يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبيا التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والايات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان وقرى تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم

من ذنوبكم

من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي وقال
دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور
فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جا هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المومنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقرا وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولان لا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد ان يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويوخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان امنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما ورا ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشا من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم

بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد
استاثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان الاتيان
بالاية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو
الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المومنون امر منهم
للمومنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها
به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم
ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل
على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد
فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا
سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر
بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون
معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم
الى انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة
اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك فان قلت كانهم كانوا
على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى
الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم
يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان
مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة
على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول
او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرا ابو حيوة ليهلكن
وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك

الواو في وقصدوا للحال كانه قال امروا قاصدين

اي قالوه حالفين لان اللام في لنخرجنكم لام القسم

اقسم

اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين
وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه من آذى
جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي
خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويوذيني فيه فمات ذلك
العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون
فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت قول
رسول الله صلى الله عليه وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة
الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المومنين ديارهم اي ذلك
الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي
يقف فيه عباده يوم القيامة او على احكام المقام وقيل خاف قيامي عليه
وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين
واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
او استحكموا الله وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة
كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى
اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي
اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب
كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار
عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا
منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد
منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه قال

من قوله اي هو قائم على كل نفس بما كسبت

آية من محل آخر اوردها للاستشهاد

عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه
وهو على شفيرها او وصف حاله في الاخرة حين يبعث ويوقف
فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من
ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها
فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء
قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل
من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل
كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله
لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان
كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه واحاطت به
من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الالام وقيل من كل مكان من جسده
حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه
عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله
واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان
يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط
التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك
وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه
ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام
مستانف منقطع عن حديث الرسل واممهم مثل الذين كفروا هو مبتدا محذوف الخبر

عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل
مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة
على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان
يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة خبر للمبتدا اي
صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون
وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل
اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم
وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة
وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة
المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى
وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم
شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس
من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح
العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا
يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء
ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق
او عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم
يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشا
يذهبكم اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم
خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه
باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده

وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات
لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شي وانتفى
الصارف تكوّن من غير توقف كتحريك اصبعك اذا دعاك اليه داع وعظيم
خطاهم في الكفر بالله لوضوح اياته الشاهدة له الدالة على قدرته
الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى
ثوابه في دار الجزاء ٥ وبرزوا لله ويبرزون يوم القيمة وانما جي به بلفظ
الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى
اصحب الجنة ونادى اصحب النار ونظائر له ٥ ومعنى بروزهم لله والله
لا يتوارى عنه شي حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند
ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة
انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او خرجوا من
قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفؤا
بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة
فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بني اسرائيل ٥ والضعفا الاتباع
والعوام والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم
واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبيا واتباعهم ٥ تبعا
تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب
او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت
اي فرق بين من في من عذاب الله ومن في من شي قلت الاولى للتبيين
والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشي الذي هو
عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا

بعض

بعض شي هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت
فما معنى قوله لو هدينا الله لهديناكم قلت الذي قال لهم
الضعفا كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم
وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم
لا يقدرون على الاغنا عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم
اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما
موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله
عنهم وقالوا لو شا الله ما اشركنا ولا اباؤنا لو شا الله ما عبدنا
من دونه من شي يقولون ذلك في الاخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل
عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شي ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من
اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان
وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم
اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل
الهلكة ٥ سوا علينا اجزعنا ام صبرنا مستو علينا الجزع
والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سوا
عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسماية عام
فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سوا علينا
فان قلت كيف اتصل قوله سوا علينا بما قبله قلت اتصاله
به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سوا علينا
اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة

Copyright © King Saud University

التي كانوا يجتمعون فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائده
في الجزع كما لا فائده في الصبر والامر من ذلك اطم وانما قالوا لو هدانا
الله طريق النجاه لاغنينا عنكم وانجيناكم اتبعوه الاقناط من النجاة
فقالوا ما لنا من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا
ويجوز ان يكون من كلام الضعفا والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا
جميعا سوا علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا
كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض
بمعنى واحد لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب
وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الاخر النار روي
ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقيا من الجن والانس فيقول لهم
ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزا على الاعمال فوفى لكم بما
وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من
تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان دعوتكم
الا دعاي اياكم الى الضلاله بوسوستي وتزييني وليس الدعا من جنس السلطان
ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث
اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا
دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوه او السعاده ويحصلها
لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر
كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم
الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق
به قلت لو كان القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره

على انه

على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى
قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه
بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل
قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله
ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر اليا وهي ضعيفة
واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي
وكانه قدر يا الاضافة ساكنة وقبلها يا ساكنة فحركها بالكسر لما
عليه اصل التقا الساكنين ولكنه غير صحيح لان يا الاضافة لا تكون
الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها يا
فان قلت جرت اليا الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها
اي اليا الثانيه
يا وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت
هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر
تتضاءل اليه القياسات بما اشركتمون من قبل ما مصدرية ومن قبل
متعلقة باشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا
اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشرا كهم
اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت
من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل
تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له
شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان

بالله طاعتهم له فما كان من تزيينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها
وهذا آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وعلا ويحتمل
ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك
الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد
لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام
الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ما يخلصهم منه وينجيهم
وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمة الله عليهما وادخل الذين
امنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على انه من قول
الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة
باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم
انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة ان
يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني
ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وقرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق
وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب
قصد مثلا وضعه وضرب ابتدا اي قصده
بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا
كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا
وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال
كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها
ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها وراسها في
السما ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفا بلفظ الجنس وقرا انس بن مالك

كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القرائتين قلت
قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة
اي ثابت
واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من مررت برجل
قايم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة
كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار
والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما
الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان
وغير ذلك وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه قال ذات يوم ان الله
ضرب مثل المومن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي
وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله ان اقولها
وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا
بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه
الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السما معناه في
جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في
السما تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها
كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه
لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير
للمعاني كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقرئ
ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك
وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة
الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث

اي في شان الجبل

Copyright King Saud University

اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اى استقرار يقال قر الشى
قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة
فهو داحض غير ثابت والذى لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه
من قولهم الباطل لجلج اى مضطرب وعن قتادة انه قيل لبعض العلما ما
تقول فى كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها فى الارض مستقرا ولا
فى السما مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها القيمة
ع القول الثابت الذى ثبت بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه
وتمكن فيه فاعتقده واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم به فى الدنيا
انهم اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب
الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط
الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم فى الاخرة
انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم
يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات
عند سوال القبر وعن البرا بن عازب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
ذكر قبض روح المومن فقال ثم يعاد روحه فى جسده فياتيه ملكان
فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله
ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السما ان صدق عبدى فذلك
قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين
لم يتمسكوا بالحجة فى دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم
كما قلد المشركون اباءهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على امة واضلالهم فى
الدنيا انهم لا يثبتون فى مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شى وهم فى

اى مضطرب لا ثبت له

الآخرة

٢٢٨

الاخرة اضل واذل ويفعل الله ما يشاء اى توجبه الحكمة لان
مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المومنين وتاييدهم وعصمتهم
عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية
بينهم وبين شانهم عند زللهم ع بدلوا نعمة الله اى شكر نعمة
الله كفرا لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه
كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى شكر رزقكم حيث وضعتم
التكذيب موضعه ووجه اخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة
كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين
بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله
حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه فكفروا
نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة
فى الرخا والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط
سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا
يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا فى اعناقهم
وعن عمر رضى الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية
فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى
حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا
قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك ع وعطف جهنم
على دار البوار عطف بيان ع وقرى ليضلوا بفتح اليا وضمها فان قلت
الضلال او الاضلال لم يكن غرضهم فى اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت

هذا على الوجه الاول

هذا على الوجه الثانى

اشدهم فجورا

Copyright © King Saud University

لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان
الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجي دخلته اللام وان لم
يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب * تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم
في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون
به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون
لانفسهم امرا دونه وهو آمر الشهوة والمعنى ان دمتم على
ما انتم عليه من امتثال امر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز
ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من
اصحاب النار * المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره
قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة
وينفقوا وجوز ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا
ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي
هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام
لم يجز * فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال
اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على المصدر اي
انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات
والاعلان بالواجب * والخلال المخالة * فان قلت كيف طابق الامر
بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل
ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا
ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا
بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا

اي مقول قل محذوف لان قوله يقيموا ليس مقول قل بل جواب الامر الذي هو قل

اي قل لهم ليقيموا ولينفقوا

او على الظرف اي وقتي سر وعلانية

كقوله

كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله
في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة
ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات
وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا
خلال بالرفع * الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن الثمرات
بيان للرزق اي اخرج به رزقا من الثمرات ويجوز ان يكون
من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا
على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق * بامره بقوله كن *
دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات
واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات * وسخر
لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم *
وآتاكم من كل ما سألتموه نظرا في مصالحكم ومن كل للتبعيض
وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك
غير سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما
احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكأنكم سألتموه
او طلبتموه بلسان الحال * لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا
عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال
واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله * لظلوم كفار
يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها او قيل
ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع * والانسان

من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع ما سألتموه

Copyright King Saud University

للجنس فبيننا وله الاخبار بالظلم والكفران من يوجد منه
هذا البلد يعني البلد الحرام اراده الله آمنا وكفاه كل باغ ظالم
واجاب فيه دعوة خليله ابرهيم آمنا ذا امن فان قلت
اى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد
امنا قلت قد سال في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي
يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها
من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا
واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلث لغات جنبه الشر وجنّبه
واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنّبني شره بالتشديد واهل نجد
جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها
وبنيّ اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب
الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني
وبنيّ ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر
فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر
ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار
بالبيت انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبنيّ
من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن
اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اى افتتنوا بها واغتروا
بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني
اى هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا
فليس منا اى ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم

ومن عصاني

ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني
اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني
فيما دون الشرك من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد
منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع
قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما
فيه الا الاستقامة لا غير عند بيتك المحرم لان الله حرّم التعرض
له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا
عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه
محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حُرّم على الطوفان
اى منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه
ليقيموا الصلوة اللام متعلقة اى ما اسكنتهم بهذا الوادي
الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك
المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك
متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك
الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع
والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك
افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه
ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم
وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند
ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه
قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة

هذا التركيب للاعتقاد الاعرابي
تقول اعتقد الاعرابي اذا اغلق على
نفسه الباب حتى يموت جوعا استنكافا
وتكرما من السؤال

لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة
وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني
ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات
يرحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان ان تطرح
الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان
يكون من أفد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ووِدادا
من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء
للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتَهوَى اليهم من هوي يهوى
اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع
سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم
يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب
ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته
فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله
في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها
ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها
الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة
الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك
من اياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه
وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا
من سلامة ذلك القلب السليم النداء المكرر دليل التضرع واللجأ
الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما

٢٣١

لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم
باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا
منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك
اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا
الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق
العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن
الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح
فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة
عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم
فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن
من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد
ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا
قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن
لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز
وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون او من كلام
ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء
في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما
على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما ترين من كبري
اعلم من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي
وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع
وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي

Copyright King Saud University

انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير
لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة" وانما ذكر حال الكبر
لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس
من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها
في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم
ان ربي لسميع الدعا كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب
لي من الصلحين فشكر لله ما اكرمه من اجابته **فان قلت** الله تعلى
يسمع كل دعا اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام
فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن
الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران **فان قلت** ماهذه الاضافة
اضافة السميع الى الدعا قلت اضافة الصفة الى مفعولها
واصله لسميع الدعا وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة
العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه
ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من
اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد
المجازي والمراد سماع الله ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا
على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون
في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظلمين وتقبل دعاي
اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله وفي قراءة ابي ولابوي
وقرا سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرا الحسن بن
علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد

اذن له اذنا استمع له

اى ما استمع لشى كاستماعه لنبى

بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد
وفي بعض المصاحف ولذريتي **فان قلت** كيف جاز له ان
يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل
لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه ادم
وحوا وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه
لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا
من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو
مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت
الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت
ضوءها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام
اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسأل القرية وعن مجاهد وقد
استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته
وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته
من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه
قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني
اسكنت الاية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم
فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول
الله وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا
قلت ان كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان احدهما التثبيت
على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها اخر كما جا في الامر يايها الذين امنوا

لا يقال فيه كلمه مستثنى الا استغفار الصحيح صح

قد كانت لكم اسوة
حسنة في ابراهيم
والذين معه اذ قالوا
لقومهم انا برآء
منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا
بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء
ابدا حتى تؤمنوا بالله
وحده الا قول ابراهيم

آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا
الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم
على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما
تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة
الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير
وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا
سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له
من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه. وقرئ نؤخرهم بالنون
والياء. تشخص فيه الابصار اى ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما
ترى. مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك
على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف. مقنعي رؤسهم رافعيها. لا
يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اى لا يطرفون ولكن
عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك الاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم
فينظروا الى انفسهم. الهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به
فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال
للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء
لان النعام مثل في الجبن والحمق قال حسان فانت مجوف نخب هواء
وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة
جوف لا عقول لهم. يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر
وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا
الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك

(هامش: نسخة ... ل)
(هامش: الطرف تحريك للاجفان وسميت بفعلها العين)

واتباع

واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او
يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملئكة بلا بشرى وانهم
يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق. اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه
وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة
الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا
واملوا بعيدا. ما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله
اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم
انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار
اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت. يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث
والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه
لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأ ها
واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اى قروا فيها واطمانوا
طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها
بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتد عوا
وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم
وقرئ ونبين لكم بالنون. وضربنا لكم الامثال اى صفات ما
فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم
وقد مكروا مكرهم اى مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم

(هامش: قال المطرزي في المغرب السكنى مصدر سكن الدار وفيها اذا اقام ك)

وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على
ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم
منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى
يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون
ولا يحتسبون ۞ وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم
وتبالغ فى الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته
اى وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت
ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى
ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه
لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود
وما كان مكرهم ۞ وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة
بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما
وان كاد مكرهم ۞ مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا
كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده
ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم
انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله
ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد
كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده
رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه فى الضعف كمن قرأ قتل اولادهم
شركائهم ۞ عزيز غالب لا يماكر ۞ ذو انتقام لاوليائه من
اعدائه ۞ يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم

او على الظرف

او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التى تعرفونها
ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير
وقد يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم
جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفى الاوصاف كقولك بدلت
الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى
شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف
فى تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض
جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت
وعن ابن عباس هى تلك الارض وانما تغير وانشد
وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت تعلم
وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها
وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسموات اخر
وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد
خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب
وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض
بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب
لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان
الامر فى غاية الصعوبة والشدة ۞ مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع
الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين ۞ وقوله فى الاصفاد
اما ان يتعلق بمقرنين اى يقرنون فى الاصفاد واما ان لا يتعلق به

Copyright © King Saud University

فتكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال
وانشد لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادًا يعض بساعد
وبعظم ساق ۞ القطران فيه ثلث لغات قطران وقطران وقطران
بفتح القاف وكسرها مع سكون الطا وهو ما يتحلب من شجر يسمى
الابهل فيطبخ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته
والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه
اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح
فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل
وهى القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع
النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين
القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او وعد به
فى الاخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه
ما عندنا منه الا الاسامى والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ
من سخطه ونساله التوفيق فيما ينجينا من عذابه ۞ وقرى من
قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآنى المتناهى
حره ۞ وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب
يوم يسحبون فى النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع فى ظاهر
البدن واشرفه كالقلب فى باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة
وقرى وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى ۞ اى يفعل بالمجرمين ما يفعل
ليجزى كل نفس مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين
لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم ۞ هذا بلاغ

للناس كفاية فى التذكير والموعظة يعنى بهذا ما وصفه من قوله
ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ۞ ولينذروا معطوف
على محذوف اى لينصحوا ولينذروا ۞ به بهذا البلاغ
وقرى ولينذروا بفتح اليا من نذر به اذا علمه واستعد
له ۞ وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا
به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد
لان الخشية ام الخير كله ۞ عن رسول الله صلى الله عليه
من قرا سورة ابرهيم اعطى من الاجر عشر حسنات
بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد ۝

سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات ۞ والكتاب والقران
المبين السورة وتنكير القران للتفخيم والمعنى تلك ايات الكتاب
الكامل فى كونه كتابا واى قران مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال
والغرابة فى البيان ۞ قرى ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما
بالفتح والضم مع التخفيف ۞ فان قلت لم دخلت على
المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضى قلت لان المترقب
فى اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكانه قيل
ربما ود ۞ فان قلت متى يكون ودادتهم قلت عند الموت
او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين او اذا راوا المسلمين يخرجون من النار
وهذا ايضا باب من الوداده ۞ فان قلت فما معنى التقليل

Copyright © King Saud University

قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك تندم على فعلك
وربما ندم الانسان على ما فعلت ولا يشكون في تندمه ولا
يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه
او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلا
يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن
ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الاية لو كانوا
يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم
يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما
جي بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله
ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا
سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين
فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك
قلل ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي
عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم ياكلوا
ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم
لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا
فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل
الخذلان وانهم لا يجي منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا
واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ
ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم
ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم

بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في
الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم
وما يودي اليه طول الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من
اخلاق المومنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين
لها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا تتوسط
الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال
جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب
معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما
تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها
اخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستاخرون بحذف عنه لانه
معلوم قرا الاعمش يا ايها الذي القي اليه الذكر وكان هذا النداء
منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى
الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع
وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب انك لانت الحليم
الرشيد وقد يوجد كثير في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين
حين تدعي نزل عليك الذكر لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع
الشي لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها
للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما
ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك

وبعضد وتكذ على انذارك كقوله لولا انزل الله ملك فيكون معه نذيرا
او هلا تاتينا بالملئكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا
كما كانت تاتي للامم المكذبة برسلها ﴿ما ننزل﴾ بمعنى تتنزل
وتنزل على البناء للمفعول من نزّل وننزل الملئكة بالنون ونصب
الملئكة ﴿الا بالحق﴾ الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة
في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى
الله عليه لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي
او العذاب ﴿واذا﴾ جواب وجزا لانه جواب لهم وجزا الشرط مقدر
تقديره ولو نزلنا الملئكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم ﴿انا
نحن نزلنا الذكر﴾ رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل
عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع
والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد ومن بين يديه ومن خلفه
رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل
وقت من زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه
لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا
فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القران الى غير حفظه فان قلت
فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل
به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل
من عنده اية لانه لو كان من قول البشر او غير اية لتطرق عليه الزيادة
والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله

كقوله

كقوله والله يعصمك ﴿في شيع الاولين﴾ في فرقهم وطوائفهم والشيعة
الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلناه فيهم
نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم ﴿وما ياتيهم﴾ حكاية
حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال
ولا على ماض الا وهو قريب من الحال ﴿نسلكه﴾ يقال سلكت الخيط في الابرة
واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير
للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين
على معنى انه نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما
لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام
تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله
لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك
نسلكه ﴿سنة الاولين﴾ طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين
كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم
﴿سكرت﴾ حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ
سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت
من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ
من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج
يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء نتخايله
لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملئكة اي
لو اريناهم الملئكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر
الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما

وقرئ يعرجون بالضم والكسر

Copyright © King Saud University

ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار
من استرق السمع في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس
انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات
فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين
موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح
فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة
وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها
معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح
الياء فيها خطا والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ
معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على
معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم
من لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين
يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم
واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله
رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا
عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور
ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون
على ايجاده وتكوينه والانعام به وما ننزله الا بمقدار معلوم نعلم
انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور
لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر
كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح

او وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين

للنون من الياء الزائده نحو صحائف ... الاصلية

كما قال

فيا ... من التعسف ... على في الاوابد انه محذوف المقيد والصحيح
انه العيد المعروف ... في الاوابد كاللام في قوله ولقد امر على اللئيم * عفيف

كما قال ومختبط مما يطيح الطوائح يريد الملاقح جمع ملقحة
ومر وارسلنا الرياح على تأويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه
لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه
في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء
على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها
وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار العجز
ونحن الوارثون الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي
وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه
قوله صلى الله عليه في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا
من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين او من
خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام
وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة
والمستاخرين روي ان امراة حسناء كانت تصلي خلف
رسول الله فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض
يستاخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم اي هو وحده القادر على
حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف
عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل
ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء
الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا
طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل
وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل

على احد الوجهين ... اول الدعاء اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله ...

اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من
سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان
كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من
سننت الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون
الا منتنا من حمأ صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن
من حمأ مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ
الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل
ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان للجن كآدم للناس وقيل
هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن بالهمز
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه
السموم جزء من سبعين جزءا من النار التي خلق الله منها الجان
واذ قال ربك واذكر وقت قوله فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها
وهيأتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحي واحييته
وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه
واستثنى ابليس من الملئكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب
اسم الملئكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا
ابى استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك
واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى حرف الجر مع ان محذوف
تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في ابائك
السجود واي داع لك اليه اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه
لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان من

على الحجر

سموم

عدل الشئ تعديلا سواه

الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد
يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد
منها والضمير في منها راجع الى الجنة او الى السماء او الى جملة
الملئكة وضرب يوم الدين حد اللعنة اما لانه ابعد غاية يضربها
الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما
ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم
الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن
معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد
ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل
انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا
يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف
بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن
والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه
بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر
بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع
لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله
تعالى برئ من غيه ومن ارادته والرضى به ونحو قوله بما اغويتني
لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام
بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما
ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك
لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم

اياي

بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم
في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع
هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة
وهو في السما فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن
مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في
اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها
على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي
هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على
عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من
علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل
ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني
لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى
الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود
والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جز
بالتخفيف والتثقيل وقرا الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة
والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد
كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف المتقي على الاطلاق
من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه
اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها

ادخلوها على ارادة القول وقرا الحسن ادخلوها بسلام
سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد الكامن
في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل
على اخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه
ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور
كنت جالسا عنده اذ جا ابن طلحة فقال له علي رضي الله عنه مرحبا
بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل من
ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الاية لا ام لك
وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في
الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب واخوانا
نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم
الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما
اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر
وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم
يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من
العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه
من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما
اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان
خوفهم لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير
وقت وقرا الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه

Copyright ... University

وقرئ لا تاجل ولا توجل من أوجله بمعنى أوجله. وقرئ نَبْشُرك
بفتح النون والتخفيف. إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي
عن الوجل، أرادوا أنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل. يعني
أبشرتموني مع مس الكبر بأن يولد لي، أي أن الولادة أمر عجيب مستنكر
في العادة مع الكبر. فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها
معنى التعجب كأنه قال فبأي أعجوبة تبشروني، أو أراد أنكم تبشرونني
بما هو غير متصور في العادة، فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشرونني
في الحقيقة بشيء لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء. ويجوز أن
لا تكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأي
طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة.
وقوله بشرناك بالحق يحتمل أن تكون الباء فيه صلة أي بشرناك
باليقين الذي لا لبس فيه، أو بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده
وأنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز
عاقر. وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع
والأصل تبشرونني، وتبشرونِّ بإدغام نون الجمع في نون العماد.
وقرئ من القنطين من قنط يقنط، وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث
في النون. أراد ومن يقنط من رحمة ربه إلا المخطئون طريق الصواب
أو إلا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. يعني
لم أستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة
التي أجراها الله. فإن قلت قوله تعالى إلا آل لوط استثناء متصل
أم منقطع؟ قلت لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا

الاستفهام بمعنى الإنكار كقوله ومن أوفى بعهده من الله

لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان، وأن يكون
استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كأنه قيل إلى قوم قد
أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين. فإن قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين؟
قلت نعم، وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال
وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمى
في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل إنا أهلكنا قوما
مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم. وأما في المتصل فهم داخلون في
حكم الإرسال وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا
هؤلاء فلا يكون الإرسال مخلصا لمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه
الأول. فإن قلت فقوله إنا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين؟
قلت إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال
بآل لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجون، وإذا اتصل كان كلاما مستأنفا
كأن إبراهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا إنا لمنجوهم.
فإن قلت فقوله إلا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء؟
قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم، وليس من الاستثناء
من الاستثناء في شيء لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم
فيه وأن يقال أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته، كما اتحد الحكم في
قول المطلق أنت طالق ثلاثا إلا اثنتين إلا واحدة، وفي قول المقر
لفلان علي عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهما. فأما في الآية فقد اختلف
الحكمان لأن إلا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين وإلا امرأته قد

خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين

لأن الآية المتقطع بمعنى لكن [illegible]

هذا رد على أبي محمد المكي حيث قال في مصنفه في إعراب القرآن إلا آل لوط مستثنى منه لقوله إلا امرأته

تعلق لمنجوهم فأنى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل
فإن قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا إنها لمن الغابرين
والتعليق من خصائص أفعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير
معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم
فإن قلت لم أسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده إلى
أنفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص
بالله الذي ليس لأحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا
بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم
وأنهم لا يتميزون عنه. وقرئ قدرنا بالتخفيف. منكرون أي تنكركم
نفسي وتنفر منكم فأخاف أن تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما
كانوا فيه يمترون أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه فرحك
وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم
بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك. بالحق باليقين من عذابهم. وإنا
لصادقون في الإخبار بنزوله بهم. وقرئ فأسر بقطع الهمزة ووصلها
من أسرى وسرى. وروى صاحب الإقليد فسر من السير والقطع
في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل
وقيل هو بعد ما مضى شيء صالح من الليل. فإن قلت ما معنى أمره
باتباع أدبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث
الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله إجابة لدعوته عليهم
وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وإدامة
ذكره وتفريغ باله لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه

الإقليد تفسير لأبي الفتح

قلبه

قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة
احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة
ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون
مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن
الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا
نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما
غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال
يلوي إليه أخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا
أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني
والتوقف لأن من يتلفت لا بد له في ذلك من أدنى وقفة. حيث
تؤمرون قيل هو مصر. وعدي وامضوا إلى حيث تعديته إلى الظرف
المبهم لأن حيث مبهم في الأمكنة وكذلك الضمير في تؤمرون. وعدي
وقضينا بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحيناه إليه مقضيا
مبتوتا. وفسر ذلك الأمر بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع وفي إبهامه
وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له. وقرأ الأعمش إن بالكسر على الاستئناف
كأن قائلا قال أخبرنا عن ذلك الأمر فقال إن دابر هؤلاء. وفي قراءة ابن مسعود
وقلنا إن دابر هؤلاء. ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى
لا يبقى منهم أحد. أهل المدينة أهل سذوم التي ضرب بقاضيها
المثل في الجور. مستبشرين بالملائكة. فلا تفضحون بفضيحة ضيفي
لأن من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أسيء إليه كما أن من أكرم
من يتصل به فقد أكرم. ولا تخزون ولا تذلون بإذلال ضيفي

الهفوة الزلة

Copyright © King Saud University

من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء ﴿
عن العالمين﴾ عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا
وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه
بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا
لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم
وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط ﴿هؤلاء بناتي﴾ اشارة الى النساء
لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه
قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ﴿ان كنتم
فاعلين﴾ شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما
اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما
حرم ﴿لعمرك﴾ على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك
انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين
الخطاء الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك
البنين الى البنات ﴿يعمهون﴾ يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون
الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وانه اقسم
بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له ﴿والعَمر والعُمر واحد الا
انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف
كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك
مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم
وفي سكراتهم ﴿الصيحة﴾ صيحة جبريل ﴿مشرقين﴾ داخلين
في الشروق وهو بزوغ الشمس ﴿من سجيل﴾ قيل من طين عليه كتاب من

الاوجه ان يكون ذلك كناية عن طريقهم في جالهم قد كونهم ما لا يحل لهم كانه قال لكنهم لا بد من الكبس ... نحن لكم نعلمكم بمحال المباشرة اليه وقد تعارفنا الناس دعوا المنكر الذي لكم تسبقوا اليه

السجيل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة
بكتاب ﴿للمتوسمين﴾ للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار
المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت
في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه ﴿والضمير في عاليها سافلها
لقرى قوم لوط ﴿وانها﴾ وان هذه القرى يعني آثارها ﴿لبسبيل
مقيم﴾ ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار
وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين ﴿اصحب الايكة﴾
قوم شعيب ﴿وانهما﴾ يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير
للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر
الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما ﴿لبامام مبين﴾ لبطريق
واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء
واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ﴿اصحب الحجر﴾ ثمود والحجر
واديهم وهو بين المدينة والشام ﴿المرسلين﴾ يعني بتكذيبهم صالحا
لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد
صالحا ومن معه من المومنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير
واصحابه وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه على الحجر
فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين
حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله راحلته
فاسرع حتى خلفها ﴿آمنين﴾ لوثاقة البيوت واستحكامها من ان
تتهدم وتتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث
الدهر او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ﴿

ماكانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل
والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لاتية وان الله
ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم
فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض
عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو
منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك
وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك
هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم
اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق
وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع
الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع ايات وهي الفاتحة
او سبع سور وهي الطول واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة
لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة
يونس وقيل هي الحواميم او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني
من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما يكرر قراءتها في الصلوة وغيرها
او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او
مثنية صفة للاية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها
من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها
من الثناء كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن

اما للبيان او التبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول
وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني
لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القران بعضها
فان قلت كيف صح عطف القران العظيم على السبع وهل
هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة
او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القران لانه اسم يقع على البعض
كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القران يعني
سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك ما يقال
له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو
الثناء او التثنية والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب
فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان
قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت
النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة
وهي القران العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع
الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقران وحديث ابي بكر
رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما
اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى
واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز
والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال
لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا
لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع

Copyright © King Saud University

ولا تحزن عليهم يعني لا تتمنّ اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا
فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع
لمن معك من فقراء المومنين وضعفائهم وطب نفساً عن ايمان
الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان
وبرهان ان عذاب الله نازل بكم **فان قلت** بم تعلق قوله
كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك
اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين
جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق
موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق
وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة
البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرأونه
من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود اقرّت ببعض التوراة
وكذبت ببعض والنصارى اقرّت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه
تسلية لرسول الله عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر
وشعر واساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو
فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر قريشا
مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على
قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه
اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين
منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر
وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين

اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل
متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم
لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر
شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا
على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام
بمعنى التقاسم **فان قلت** اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله
ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما قلت
لما كان ذلك تسلية لرسول الله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض
بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف
على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المومنين عضين اجزاء
جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها
اعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة
من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقولون
للساحرة عاضهة ولعن رسول الله العاضهة والمستعضهة نقصانها
على الاول واو وعلى الثاني هاء لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل
يسألهم سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا
يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره
يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع
وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق
بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف

اقبل على مجامعه
اي بكليته

Copyright © King Saud University

الجار كقوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ويجوز أن
يكون ما مصدرية أي بأمرك مصدر من المبني للمفعول ۞ عن عروة
بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف الوليد
بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب
والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال
جبريل عليه السلم لرسول الله أمرت أن أكفيكهم فأومى إلى ساق
الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه
فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومى إلى أخمص العاص بن وائل
فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى
صارت كالرحى ومات وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب
فعمي وأشار إلى أنف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود
بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة
ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ۞ بما يقولون من أقاويل الطاعنين
فيك وفي القرآن ۞ فسبح فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى
الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم
ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت أي ما دمت حيا
فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه أنه كان إذا حزبه أمر
فزع إلى الصلوة ۞ عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحجر
كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها
وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب
بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم أتى أمر الله أي
هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه
روي أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن
هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى
ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس
حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا
يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول
الله ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ
تستعجلوه بالتاء والياء ۞ سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن
أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم على أن ما
موصولة أو مصدرية فإن قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم
قلت لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ
يشركون بالياء والتاء ۞ ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل
الملائكة أي تتنزل بالروح من أمره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل
من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد ۞ أن أنذروا
بدل من الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أي بأن
الشأن أقول لكم أنذروا أو يكون أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي
فيه معنى القول ومعنى أنذروا أنه لا إله إلا أنا أعلموا بأن الأمر ذلك
من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولي

لا اله الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو
بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان
وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر
اثقاله وساير حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه
ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ يشركون بالتاء والياء
فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل
عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من
مني جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني
فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم
وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في
كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم
الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا
بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية واكثر ما تقع على
الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه
ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال
خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان
والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء
من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة
والقاء حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت
تقديم الظرف في قوله ومنها تاكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل
من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس

اللام في لكم يدل على الحصر لانه للتخصيص

الدفء السخونة والحرارة من دفئ من البرد ثم سمي به كل ما يدفئ اي يسخن من صوف ونحوه ومنه لكم فيها دفء

في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر
والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان
طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر والحب والثمار التي تاكلونها
منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها
من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب
المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي
وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب
فيها الثغاء والرغاء انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون
الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها
وزينة يواري سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة
على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت
ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة
لاهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون
وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما
لا تجزي الا بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى
المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا
وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف
كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى
قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه
حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد
لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم

اي وتجملكم فيها جمال

الملأى بالكسر والمد جمع ملآن

يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه
قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت طابقه
من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه
بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم
ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم
اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤوف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه
الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على
الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج به على حرمة اكل
لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره
في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول
له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف
والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين
واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير
واو اي وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها اي
وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان
يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا
بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا
بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره
بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل
على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على
قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال

الا بشق الانفس

تكون في معنى حاملها

والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون

ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد
يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه
الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله
قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه
كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام
في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه
من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل
وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرا عبد الله
ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله
بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء لكم منه متعلق
بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر
الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه
سحت يعني الكلا تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي
سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها
تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت بالياء والنون فان قلت
لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة
وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون
فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة
وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرا ابي بن كعب ينبت لكم به
الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع قرئت كلها بالنصب
على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها

اسمت الماشية اذا خليتها ترعى

لتذكر ما في الجنة بسبب ما في الارض

نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار
ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون
بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما
خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا
من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا
كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات
بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما
على الابتدا والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله
بالنصب وقال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الاية
وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة
وابين شهادة للكبريا والعظمة وما ذرا لكم معطوف على الليل
والنهار يعني ما خلق فيهما من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف
الهيات والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان
الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت
ما بال الفقها قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث
والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة
الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال
الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجا بالسمك كان حقيقا بالانكار
ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند
الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث
حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من

جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم
المخر شق الما بحيزومها وعن الفرا هو صوت جري الفلك
بالرياح وابتغا الفضل التجارة ان تميد بكم كراهة
ان تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب
البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي
بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر
الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه
معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة
من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم
في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش
والجدي وعن الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم
كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا
فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم
فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هولا خصوصا
يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتدا
بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم
فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان قلت
من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جي بمن الذي هو لاولي العلم
قلت فيه اوجه احدها انهم سموها الهة وعبدوها فاجروها
مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله

الذي يدور راسه

دا

Copyright © King Saud University

لا يخلقون شيا وهم يخلقون والثاني المشاكلة لله ومن يخلق
والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم
فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة حالهم
منحطة عن حال من لهم ارجل وايد وآذان وقلوب لان هولا احيا
وهم اموات فكيف يصح لهم العبادة لانها لو صحت لهم هذه الاعضا
لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان
وسموها آلهة تشبها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق
فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا
غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه
فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهه بها فانكر عليهم ذلك
بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق ۞ لا تحصوها لا تضبطوا عددها
ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء
الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراها ما لا
ينحصر ولا يعد • ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم
في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها ۞ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من
اعمالكم وهو وعيد • والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم
الكفار من دون الله وقرئ بالتا وقرئ يدعون على البنا للمفعول
نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحيا لا يموتون
وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون
وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب • ومعنى اموات غير احياء

جائز
انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احيا غير اموات اي غير
جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك •
والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم
وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف
يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه
لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه اخر وهو
ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون
على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم • اموات جمادات لا حيوة فيها •
غير احيا يعني ان من الاموات ما يعقب موته حيوة كالنطف التي ينشئها
الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة
فاموات لا يعقب موتها حيوة وذلك اعرق في موتها • وما يشعرون
ايان يبعثون اي وما يعلم هولا الالهة متى تبعث الاحيا تهكما
بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي
القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملكة
وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احيا
اي غير باقية حياتهم • وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم •
وقرئ ايان بكسر الهمزة ۞ الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم
من ابطال ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها
فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم
على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها
وعن الاقرار بها ۞ لا جرم حقا • ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم
وهو وعيد •

Copyright © King Saud University

انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين
ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هولا تحت عمومه ❁ ماذا منصوب
بانزل بمعنى اي شي انزل ربكم او مرفوع بالابتدا بمعنى اي شي انزله
ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير
الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله
ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع **فان قلت** هو كلام متناقض لانه
لا يكون منزل ربهم واساطير **قلت** هو على السخرية كقوله
ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل
هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول
الله اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا
احاديث الاولين واباطيلهم ❁ ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك
اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم كاملة
وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل
والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان
الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا كقولك
خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي
يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر
من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى
يميز بين المحق والمبطل ❁ القواعد اساطين البنا التي تعمده
وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا
بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال

قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين
بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر
لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح
ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر
عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد
من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا
يتوقعون وقرى فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين ❁
يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الاخرة شركاي على الاضافة
الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزا
بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المومنين في شانهم ومعناهم
وقرى تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المومنين
كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم هم الانبيا والعلما
من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم ولا يلتفتون
اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم
وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم
الملائكة ❁ وقرى تتوفاهم بالتا واليا وقرى الذين توفاهم بادغام
التا في التا فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاوا بخلاف
ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل
من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم
اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا

اي الانبياء والعلماء

Copyright © King Saud University

من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا اى انزل خيرا وقيل
لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب
الجاحد يعنى ان هولاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب
على السوال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اى
انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير
الاولين وليس من الانزال فى شئ وروى ان احيا العرب كانوا يبعثون
ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبى صلى الله عليه فاذا جا الوافد كفه
المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول
انا شر وافد ان رجعت الى قومى دون ان استطلع امر محمد واراه
فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبى مبعوث فهم
الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا
حكاية لقول الذين اتقوا اى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته
خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين وجعل
قولهم من جملة احسانهم فحمدوا عليه حسنة مكافاة فى الدنيا
باحسانهم ولهم فى الاخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين الاخرة وحذف المخصوص
بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان
تكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى
لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا
اشرف العبد المومن جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولى الله الله يقرا
عليك السلام ويبشره بالجنة تاتيهم الملئكة قرى بالتا والبا

الاول هو قوله اساطير الاولين ٢ قوله ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين

يعنى ان ياتيهم لقبض الارواح وامر ربك العذاب المستاصل
او القيمة كذلك اى مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب
فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير
سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من
شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث
واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم
عن قبول الحق يعنى انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة
والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم
نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم
اى اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم
وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله
لا يشاء الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان
الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها
بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على
جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه
ولقد امد ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة الا
وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذى هو الايمان
وعبادة الله وباجتناب الشر الذى هو طاعة الطاغوت
فمنهم من هدى الله اى لطف به لانه عرفه من اهل اللطف

بقدر السوء اى بعدم السوء

ومنهم من حقت عليه الضلالة اى ثبت عليه الخذلان والترك
من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتى منه خير فسيروا
فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى انى لا
اقدر الشر ولا اشاه حيث فعلت ما افعل بالاشرار ثم ذكر
عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم
من حقت عليهم الضلالة وانه لا يهدى من يضل اى لا يلطف بمن
يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التى
لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى اى لا تقدر انت ولا احد على هداية
من خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد
بالاضلال الخذلان الذى هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدى
بمعنى لا يهتدى يقال هداه الله فهدى وفى قراة ابى فان الله
لا هادى لمن يضل ولمن اضل وهى معاضدة لمن قرا لا يهدى
على البنا للمفعول وفى قراة عبد الله يهدّى بادغام تا يهتدى
وهى معاضدة للاولى وقرئ من يضل بالفتح وقرا النخعى ان تحرص
بفتح الرا وهى لغية واقسموا بالله معطوف على وقال الذين
اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان
بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشية الله وانكارهم
البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفى اى بلى يبعثهم
ووعدا مصدر موكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين
ان الوفا بهذا الموعد حق واجب عليه فى الحكمة ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا

قال ابو البقاء
قرا لا يهدى بضم اليا على ما لم
يسم فاعله وفيه وجهان احدهما
ان من يضل مبتدا ولا يهدى
خبره والثانى ان لا يهدى
من يضل باسره خبر ان كقولك
ان زيدا لا يضرب ابوه له

القراة ان تحرص بكسر
الرا من حرص بفتحها
وقرى بفتح الرا من حرص له

يجب على الله شى لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين
لهم متعلق بما دل عليه بلى اى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت
وهو عام للمومنين والكافرين والذى اختلفوا فيه هو الحق وليعلم
الذين كفروا انهم كذبوا فى قولهم لو شا الله ما عبدنا من دونه
من شى وفى قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله
ولقد بعثنا فى كل امة رسولا اى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا
فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب
قولنا مبتدا وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التى
بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا وجود شى فليس الا ان نقول
له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان
مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف
كوجود المامور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المطيع
الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله
عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من
شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين
هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم
الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين
ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين
بعد هجرة رسول الله وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال
وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير
ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم

المأمور

البارزة بدلهم للتعدد

بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له
عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم
يريد لو لم يخلق الله نارًا لأطاعه فكيف ﴿فى الله﴾ فى حقه ولوجهه
﴿حسنة﴾ صفة للمصدر اى لنبوئنهم تبوئة حسنة وفى قراءة
على رضى الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم
فى الدنيا منزلة حسنة وهى الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى
العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضى الله عنه انه
كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك
فيه هذا ما وعدك فى الدنيا وما ذخر لك فى الآخرة اكثر وقيل
لنبوئنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم
﴿لو كانوا يعلمون﴾ الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء
المستضعفين فى ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا فى دينهم ويجوز
ان يرجع الضمير الى المهاجرين اى لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا
فى اجتهادهم وصبرهم ﴿الذين صبروا﴾ هم الذين صبروا او اعنى الذين
صبروا وكلاهما مدح اى صبروا على العذاب وعلى مفارقة
الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم
هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح فى سبيل الله
قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل ﴿وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحى اليهم﴾ على السنة الملائكة ﴿فسئلوا
اهل الذكر﴾ وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم
السالفة الا بشرا ﴿ه فان قلت﴾ بم تعلق قوله بالبينات قلت

له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم
الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك
ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط
واما برجالا صفة له اى رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا
مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين
والاول على كلام واحد واما بيوحى اى يوحى اليهم بالبينات
واما بلا تعلمون على ان الشرط فى معنى التبكيت والالزام كقول
الاجير ان كنت عملت لك فاعطنى حقى وقوله ﴿فسئلوا اهل
الذكر﴾ اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب
وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ﴿ما نزل
اليهم﴾ يعنى ما نزل الله اليهم فى الذكر مما امروا به ونهوا
عنه ووعدوا واوعدوا ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ وارادة ان يصغوا
الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا ﴿ه مكروا السيئات﴾ اى المكرات
السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله ﴿ه فى تقلبهم﴾
متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم ﴿ه على تخوف﴾
متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب
وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون
وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير
تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
اى يأخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شىء فى انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا وعن عمر رضى الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها

اى فكيف وقد خلقها له

اتوى سعدى
ولا سعدى له

على

وعلى الوجه الاخير
جواب الشرط لكن
لا من حيث اللفظ
بل من حيث المعنى

وهذه الكلمة
فى التخوف

Copyright © King Saud University

فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص
قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد
البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما
ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم • فان ربكم
لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم •
قرئ اولم تروا وتتفيؤا بالتا واليا • وما موصولة بخلق الله
وهو مبهم بيانه من شي تتفيؤا ظلاله • واليمين بمعنى الايمان
وسجدا حال من الظلال • وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله
لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من شي له ظل وجمع بالواو
لان الدخور من اوصاف العقلا او لان في جملة ذلك من يعقل
فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها
ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد
منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشي اي
يرجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه
فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا
صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع • من دابة يجوز ان
يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا
لله يدبون فيها كما تدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا
لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له
الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملئكة
وكرر ذكرهم على معنى والملئكة خصوصا من بين الساجدين لانهم

الا لا يضل بدوانكم مجزوم لانه جواب للامر وهو عليكم بديوانكم

اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن
وبقوله والملئكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم • فان قلت
سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم
فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد • قلت المراد بسجود
المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة
الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى
الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد
فان قلت فهلا جي بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على
غيرهم • قلت لانه لو جي بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان
متناولا للعقلاء خاصة فجي بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة
العموم • يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون
اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا
له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته • من فوقهم ان علقته بيخافون
فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم
حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر
فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملئكة
مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر
المكلفين وانهم بين الخوف والرجا • فان قلت انما جمعوا بين
العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي
رجال ثلثه وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة
على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان

الصواب بجمعه

العدد عار عن الدلالة على ماهية المعدود

Copyright © King Saud University

فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد
ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى قلت الاسم الحامل لمعنى
الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص
فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق اليه
الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه
والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد
لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي
فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان
الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في
الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجيء ما قبله على
لفظ المتكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف
والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة
له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اى وله الدين ذا كلفة
ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا
لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم
او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجأرون فما تتضرعون الا
اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى
يصف راهبا: يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا
وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرأ
قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء
المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم

المبين اشد

شفع اي الاسم وهو جواب اذا

بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم
من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب
للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر
وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى
البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف
عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا
فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول
عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من
الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر لما لا
يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة
ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك
وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذن جاهلون بها وقيل
الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر
اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم
ذلك تقربا اليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من
الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها
كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون
يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على
ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون
من الذكور ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى

من اذا فيكون حينئذ للتبعيض ك

فتمتعوا التخلية فسوف تعلمون وعيد

Copyright © King Saud University

بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجي ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل
فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكابة والحيا من الناس
وهو كظيم مملو حنقا على المرة يتوارى من القوم يستخفي
منهم من اجل سو ما بشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه
وينظر ايمسكه ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه
في التراب ام يئده وقرى ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث
وقرى على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي
هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا
الوصف مثل السو صفة السو وهي الحاجة الى الاولاد الذكور
وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم
بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغني عن العالمين والنزاهة
عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشوم
ظلم الظلمة وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر
الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم
الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب
ابن ادم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب
عليها وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله
ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركا في رياستهم ومن
الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل
اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى

عند الله

عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم
انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله
هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيوتى بالدواب والثياب
وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيوتى
بالكسر والخرق وما لا يوبه له اما تستحيي من ذلك الموقف وقرا هذه
الاية وعن مجاهد لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان
لهم الحسنى بدل من الكذب وقرى الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
مفرطون وقرى مفتوح الرا ومكسورها مخففا ومشددا
فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا
وفرطته في طلب الما اذا قدمته وقيل منسيون من
افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط
في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم
فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان
اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا وجعل اليوم عبارة عن زمان
الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او وجعل فهو وليهم اليوم
حكاية للحال الاتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي
فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ
الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار
قبلهم اعمالهم فهو ولي هولا لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف
المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان
على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا

الذي أنزل الكتاب ودخل اللام على التبيين لانه فعل المخاطب
لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل
الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من
يؤمن به ومنهم عبد المطلب وأشياء من التحريم والتحليل
والانكار والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر
لان من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لا يسمع ذكر سيبويه
الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال
كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما
في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز أن يقال في
الانعام وجهان أحدهما أن يكون تكسير نعم كالاجبال في جبل وأن
يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما
يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه
واذا أنث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ
نَسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقيل
نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث
والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي
أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك
كله قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته
فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة
على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن
في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما أعظم

قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص
فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم
سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط
وقرئ سيّغا بالتشديد وسيْغا بالتخفيف كهيّن ولين فان قلت
اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان
اللبن بعض ما في بطونها كقولك أخذت من مال زيد ثوبا والثانية
لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه
يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز
أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا
من بين فرث ودم ألا ترى انه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم
كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد
احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في
مسلك البول بهذه الآية وانه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك
البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت
بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف
تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف
لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف
عن كنه الاسقاء او يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد
في قولك زيد في الدار فيها ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف
محذوف كقوله بكفي كان من أرمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها

وتتخذون من بعضها السكر قلت فالام يرجع الضمير
في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف
الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل
المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا
وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال وجاونا بهم سكر علينا
فاجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان احدهما ان يكون
منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع
بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب
والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك
حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج
بهذه الاية وبقوله عليه السلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل
شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي
قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذ
منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل
له قد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج في المروة
وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا
اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك في اعراض
الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب
وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون
منه ما هو سكر ورزق حسن واوحى ربك الى النحل الهامها والقذف
في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه

الدعارة الفسق والخبث يقال هو خبيث داعر بين الدعر والدعارة انتهى واعتمد

والا

والاّ فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما
يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك
وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم وقرا يحيى بن وثاب الى النحل
بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتانيثه على المعنى ان اتخذي هي
ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول قرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء
ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما
يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تتعسل
فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من في
قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في
الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا تبني
بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها
من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد
اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها
فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل
او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل
فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك
او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى
بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها
فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد
البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي
اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا

الجرس اكلها

Copyright King Saud University

جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله تعالى ذللها ووطاها
وسهلها كقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في
فاسلكى اى وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة
شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر
واحمر واسود فيه شفا للناس لانه من جملة الاشفية والادوية
المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطبا فيه
العسل وليس الغرض انه شفا لكل مريض كما ان كل دوا
كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفا الذى فيه او لان فيه بعض
الشفا وكلاهما محتمل وعن النبى صلى الله عليه ان رجلا جا اليه
فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع
فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق
الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا كانما
انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفا من كل دا
والقران شفا من كل دا والقران شفا لما فى الصدور فعليكم
بالشفايين القران والعسل ومن بدع تاويلات الرافضة
ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدى
انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل
الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث
به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم الى ارذل
العمر الى الخسة والحقارة وهو خمس وسبعون سنة عن على
وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوا حالا من عمر الهرم

لكيلا

لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة
فى النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع فى نسيانه فلا يعلمه ان
سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل
لئلا يعلم زيادة علم على علمه اى جعلكم متفاوتين فى
الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم
واخوانكم فكان ينبغى ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى
تتساووا فى الملبس والمطعم كما يحكى عن ابى ذر رضى الله عنه
انه سمع رسول الله صلى الله عليه انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون
واطعموهم مما تطعمون فما رؤى عبده بعد ذلك الا ورداوه
رداوه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون
فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا
له شركا فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما
انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركا ولا ترضون ذلك
لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدى لى شركا وقيل
المعنى ان الموالى والمماليك انا رازقهم جميعا فهم فى رزقى سوا
فلا يحسبن الموالى انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا
من الرزق وانما ذلك رزقى اجريه اليهم على ايديهم وقرى يجحدون
بالياء والتاء من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حوا من
ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذى يحفد اى يسرع فى الطاعة
والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال
حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم

اى خذ منهن فى يوم الرحيل

Copyright King Saud University

فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد
المرءة من الزوج الاول وقيل وجعل لكم حفدة اى خدما يحفدون
فى مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم
كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن
اولادا هم بنون وهم حافدون اى جامعون بين الامرين من
الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات فى الجنة وما طيبات
الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون
من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل
لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه
شىء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التى
لا شبهة فيها لذى عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما
ينكر المحال الذى لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول
لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما
احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت
المصدر نصبت به شيا كقوله او اطعام يتيما على لا يملكون ان يرزقوا
شيا وان اردت المرزوق كان شيا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز
ان يكون تاكيدا للا يملك اى لا يملك شيا من الملك ومن السموات
والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات
مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق
والضمير فى ولا يستطيعون لما لانه فى معنى الالهة بعد ما قيل
لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعنى ولا يستطيع هؤلا

مع انهم احيا متصرفون اولوا الباب من ذلك شيا فكيف بالجماد
الذى لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد
قوله لا يملكون وهما شى واحد قلت ليس فى لا يستطيعون
تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة
منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع
بين نفى الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون
الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك فيهم ولا يستقيم
فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من
يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه
ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه فى العظم لان
العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه
فذاك هو الذى جركم اليه وجراكم عليه فهو تعليل للنهى عن
الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم فى
اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز
عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف يشا فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شى
وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك
فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد
الله واما لا يقدر على شى فليجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما
يقدران على التصرف واختلفوا فى العبد هل يصح له ملك والمذهب

توجيه الجواب ان يقال هما ليسا فى معنى واحد لانه لا يقدر فى لا يستطيعون ضمير الا ان يقدر فيه ضمير مفعول فيكونان فى معنى واحد حينئذ يكون المراد بجمعهما التوكيد او لا يكونان فى معنى واحد لان المراد بعدم الاستطاعة انه لا يمكنهم ان يملكوه فلا يكونا فى معنى واحد ايضا على تقدير الراجع

اى ان الله يعلم وانتم لا تعلمون

الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي
قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق
عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على
الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد ❊ الابكم الذي
ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم ❊ وهو كل على موليه اي ثقل وعيال
على من يلي امره ويعوله ❊ اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في
مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح ❊ هل
يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد
وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط
مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه
لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من اثار رحمته والطافه
ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع
وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه الق سعدا
وقرا ابن مسعود اينما يوجه على البنا للمفعول ❊ ولله غيب السموات
والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه
او اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غائب عن اهل
السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم ❊ الا كلمح البصر او هو
اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشي الذي تستقربونه
هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
اي هو عند الله دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة

سعد اسم رجل يضرب هذا المثل لمن يتلقى الشر اينما سلك كان سعدا كان شريرا سيئ الخلق

لمحه ولمحه اذا ابصره بنظر خفيف والاسم اللمحة

وامانة الاحيا واحيا الاموات من الاولين والاخرين تكون في اقرب وقت
واوحاه ❊ ان الله على كل شي قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث
الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده ❊ وقرئ
امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق
فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي
❊ لا تعلمون شيا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيا من حق
المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق
الى السعة ❊ وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشيا
الا الات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل
به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما
يسعدكم ❊ والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع
القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة اذ لم يرد في السماع غيرها كما
جا شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى ❊ وقرئ الم تروا بالتا
والبا ❊ مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة
والاسباب المواتية لذلك ❊ والجو الهوا المتباعد من الارض في سمت
العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ❊ ما يمسكهن في قبضهن
وبسطهن ووقوفهن في الجو الا الله بقدرته ❊ من بيوتكم التي تسكنونها
من الحجر والمدر والاخبية وغيرها ❊ والسكن فعل بمعنى مفعول وهو
ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف ❊ بيوتا هي القباب والابنية
من الادم والانطاع ❊ تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في
الضرب والنقض والنقل ❊ يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون

الفؤاد وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر اي وسطه

اي يستعمل تارة بمعنى القلة واخرى بمعنى الكثرة والموضع موضع الكثرة ويستعمل جمع الكثرة موضع جمع القلة كقوله ثلثة قروء

الالف الاليف يقال حنت الالف الى الالف

ظعنكم بالفتح والسكون

Copyright © King Saud University

خف عليكم حملها ونقلها ويوم نزلون وتقيمون في مكان لم يثقل
عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على
ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا
فيه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم
بالسكون ۞ مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن
وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف
سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها
تقيكم الحر لم يذكر البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر
يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم يريد الدروع
والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون
اي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون
من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك
وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع ۞ فان تولوا فلم يقبلوا
منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ
فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب ۞ يعرفون نعمة
الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكن بشفاعة آلهتنا
وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان
ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا
اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا
في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل

لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقلما يهمهم البرد

نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها
عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت
ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد
حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ۞ شهيدا
نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب
ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم
فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله
ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم
لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت
معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها
وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء
بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره اذكر يوم نبعث او يوم
نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا راوا العذاب بغتهم وثقل
عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم
الآية ۞ ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي
دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر
وقرناؤهم في الغي وندعوا والمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون
وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم
فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون
الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا انهم المعبودون دوننا
او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشرك وان ربكم

يمنعون اي ... اطم ...

اي وكذلك واذا راوا العذاب منصوب بمحذوف

بالشركاء الشياطين حيا ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون
كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني
الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد
الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون
من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم
وتبرءوا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر
يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة
عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع
احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل
يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار
بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله
شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء
الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء على امتك تبيانا بيانا
بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير
القران فان قلت كيف كان القران تبيانا لكل شيء قلت المعنى
انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة
على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وقيل وما
ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين
وقد رضي رسول الله لامته اتباع اصحابه والاقتداء باثارهم في
قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا
ووطئوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس
والاجتهاد

مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل هو
الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم
واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما
جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه لمن علمه الفرائض فقال والله لا
زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق
والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي
ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز
حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول
بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين رضي
الله عنه اقيمت هذه الاية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة
ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة
لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمن بن مظعون
عهد الله هي البيعة لرسول الله على الاسلام ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله ولا تنقضوا ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها
باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة
بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به
مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي انحت على غزلها
بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله
قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا
قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت

Copyright @ King Saud University

تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن
ما غزلن ٭ تتخذون حال ٭ ودخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا
تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ٭ ان تكون
امة يعني جماعة قريش ٭ هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا
من امة من جماعة المومنين ٭ انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون
امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر ايتمسكون
بحبل الوفا بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان
البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم
وقلة المومنين وفقرهم وضعفهم ٭ وليبينن لكم انذار وتحذير
من مخالفة ملة الاسلام ٭ ولو شاء الله لجعلكم امة حنيفة مسلمة
على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان
يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه
ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى
الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب
ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شي من ذلك ٭ وحققه بقوله
ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتدا
لما اثبت لهم عملا يسئلون عنه ٭ ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا
بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يرتكب منه ٭ فتزل قدم
بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها ٭
وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين
او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا

نقضها

نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ٭ ولكم عذاب عظيم في الاخرة ٭
كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة
قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم
ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله فثبتهم
الله ٭ ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله
ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم
ويمنونهم ان رجعوا ٭ ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن
ثواب الاخرة خير لكم ٭ ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند
الله من خزاين رحمته باق لا ينفد ٭ وليجزين بالنون والياء ٭ الذين
صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت
القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحد عن طريق
الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة ٭ فان قلت من متناول
في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح
على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور
فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا ٭
حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله
ثواب الدنيا والاخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة
وذلك ان المومن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا
ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه
وهو القناعة والرضى بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس
ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا

Copyright © King Saud University

بعيشة وعن ابن عباس الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن
القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة
والتوفيق في قلبه ﴿لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال
الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة
القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقولك
اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ
الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل
وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن
مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان
الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا
اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ﴿ليس له سلطان
تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه
فيما يريد منهم من اتباع خطواته ﴿انما سلطانه على من يتولاه
ويطيعه ﴿به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى
الشيطان على معنى بسببه ﴿تبديل الاية مكان الاية هو النسخ
والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة
امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز
وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته
وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل ﴿قالوا انما انت مفتر وجدوا
مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ

مكان الفعل من القصد

ام عبد كنية ام عبد الله بن مسعود ه

والمنسوخ

والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم
بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد
كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون
والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت
هل في ذكر تبديل الاية بالاية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا
يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان قرآنا
ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة
المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله
واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ
القرآن بها ﴿في ينزل وينزل وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على
حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح
كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه
عن الحكمة ﴿وروح القدس جبريل صلوات الله عليه اضيف الى القدس
وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمقدس المطهر عن المآثم
وقرئ بضم الدال وسكونها ﴿بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا
بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ﴿ليثبت الذين امنوا ليبلوهم بالنسخ
حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم
وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما
هو حكمة وصواب ﴿وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت
والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول
اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ﴿ارادوا بالبشر

والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير ح

Copyright © King Saud University

غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش
أو يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر
بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف
بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل فكان رسول الله إذا مر وقف
عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لأحدهما فقال بل هو
يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغة ويقال
ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود إذا أمال حفره عن الاستقامة
فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن استقامة فقالوا
ألحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه
عن الأديان كلها لم يمله عن دين إلى دين والمعنى لسان الرجل
الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بين وهذا
القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وإبطالا
لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان
الذي يلحدون إليه بتعريف اللسان فإن قلت الجملة التي هي قوله
لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ما محلها قلت لا محل لها لأنها مستأنفة
جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله وإذا جاءتهم
آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله إن الذين لا يؤمنون
بآيات الله أي يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا
يلطف بهم لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا
من أهل اللطف والثواب إنما يفتري الكذب رد لقولهم إنما
أنت مفتر يعني إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقابا

عليه وأولئك إشارة إلى قريش هم الكاذبون أي هم الذين لا يؤمنون
فهم الكاذبون أو إلى الذين لا يؤمنون أي أولئك هم الكاذبون على
الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب
أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم
عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر
من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك
هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى إنما يفتري
الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى منهم المكره فلم
يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا
أي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز
أن يكون بدلا من المبتدأ الذي هو أولئك على ومن كفر بالله بعد
إيمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذي هو الكاذبون على وأولئك هم
من كفر بالله من بعد إيمانه ويجوز أن ينتصب على الذم وقد جوزوا
أن يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لأن جواب من شرح
دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب إلا من أكره
ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي أن ناسا من أهل
مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره
فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان منهم عمار وأبواه
ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأما
سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا
إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين

في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا

فان قلت اى الامرين افضل افعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ﴿ذلك﴾ اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الاخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم ﴿اولئك هم الغافلون﴾ الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ﴿ثم ان ربك﴾ دلالة على تباعد حال هولاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور ﴿من بعد ما فتنوا﴾ بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البنا للفاعل

اى بعد

اى بعد ما عذبوا المومنين كالحضرمي واشباهه ﴿من بعدها﴾ من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر ﴿يوم تاتي﴾ منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشي وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها كانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هولاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك ﴿وضرب الله مثلا قرية﴾ اى جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها ﴿مطمئنة﴾ لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف ﴿رغدا﴾ واسعا ﴿والانعم﴾ جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتا كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابوس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب

وقال عمار ما تركت حتى نلت منك ... طعنه وعابه ... فقال عليه ... كيف وجدت قلبك قال مطمئن بالايمان فقال ان عادوا لك فعد الى اخره اى ان عادوا لك بالاكراه فعد لهم بالكلمة

قوله تعالى يوم ياتي كل نفس تجادل عن نفسها

غير النائب معنى كانها نعم

شبّه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المرّ والبشع
واما اللباس فقد شبّه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان
والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس
الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه
قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان
لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما
ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه هاهنا ونحوه قول كثير
غمر الردا اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار
الردا للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الردا لما يلقى عليه
ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الردا
نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله
ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد
بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في
لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع
والخوف ولقال كثير ضافي الردا اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون
في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفيهم الملائكة ظالمي انفسهم
نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف
عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم
بما ذكر من حال القرية وما اتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل

٢٦٩

بذلك ما لقّى في قوله فكلوا صدّهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة
التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب
وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او
ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم
عنده ثم عدّد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم
باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه
وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم
من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او
الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو
حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق
بتصف على ارادة القول ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم
فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل
ما مصدرية وتعلق هذا حلال ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام
لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق
به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول
ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم
الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم
كانه عين الكذب ومحضه واذا نطقت به السنتهم فقد حلت
الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها
تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل

Copyright © King Saud University

لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف
وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع
صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او
هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا
من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا محذوف
اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها
عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في
موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وعقابه
او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من
بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم
لكماله في جميع صفات الخير كقوله
وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا
وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم
اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة
والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون
مثل قوله اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن
نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله
فقلت غلطت انما هو ابرهيم صلى الله عليه فقال الامة الذي يعلم
الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن
عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة
حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم

جعلته خليفة

حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ابو عبيدة
امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت لله ليس بينه وبين الله
يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم
يعصه وهو هكذا المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو
الخير والقانت القائم بما امره الله والحنيف المائل الى ملة
الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش
في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم شاكرا لانعمه روي انه كان
لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه
فاذا هو بفوج من الملئكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام
فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مؤاكلتكم شكرا
لله على انه عافاني وابتلاكم اجتبيه اختصه واصطفاه
للنبوة وهديه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة
عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه
وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم
لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها
من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه واجلال محله والايذان
بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم عليه السلم من الكرامة واجل
ما اولي من النعمة اتباع رسول الله ملته من قبل انها دلت على
تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه
بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى
انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم

اي وبال ترك تعظيم السبت

فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم
ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر
عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية
التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله
على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته وان ربك
فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت
معناه انه يجازيهم جزاء اختلافهم وفعلهم في كونهم محلين تارة
ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو ان موسى عليه السلم امرهم ان يجعلوا
في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا
نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا
شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان
بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في
السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون
بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم
الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد
من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه
وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ
عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة
بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة
والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد
ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو

حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن
طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك
هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة
ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد
سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع
سوء من قتل ونحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان
عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل
بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم
وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب
فوقف رسول الله على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن
فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين
مكانك فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة
وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور اما
ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين
المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع
الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم
بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع
الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه
قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وعلا فمن عفا واصلح فاجره
على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلم واصبر
انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته

اي امره به وحتمه
القطع اي قطعت
عليك بهذا وهي عبارة
الملوك

ودربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اى على الكافرين كقوله فلا تأس على
القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ
ولا تكن في ضيق ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيّق
اى في امر ضيّق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول
ان الله مع الذين اتقوا اى هو ولى الذين اجتنبوا المعاصي والذين
هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص
فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل
عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه
في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات
واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر
متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة
الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي
تضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على
الظرف فان قلت الاسرى لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت
اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرى وانه اسرى به في بعض
الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد
دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل
اى بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعنى الامر بالقيام في بعض
الليل واختلف في المكان الذي اسرى منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه

وهو الظاهر وروى عن النبي صلى الله عليه بينا انا في المسجد الحرام في
الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق
وقيل اسري به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام
الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم
كله مسجد وروى انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشا
فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل
لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ
بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان
كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله بحديث الاسرا
فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين
مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن
كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق
قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق
ومنهم من سافر الى ما ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس
فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا
اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون
ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت
فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما
قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج
به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس

Copyright © King Saud University

واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجائب وانه لقي الانبيا وبلغ البيت
المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسرا فقيل كان قبل
الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه
كان في اليقظة ام في المنام فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت
والله ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن معاوية
انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا راها واكثر الاقاويل
بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ
وراه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه متعبد
الانبيا من وقت موسى عليه السلم ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار
الجارية والاشجار المثمرة وقرا الحسن ليريه باليا ولقد تصرف
الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم
ليريه على قراة الحسن ثم من اياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي
من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله العالم
بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك الا تتخذوا
قرى باليا على لئلا يتخذوا وبالتا على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه
ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب
على الاختصاص وقيل على الندا في من قرا الا تتخذوا بالتا على النهي
يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح
وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا
كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين
مع نوح عيسى وعزير وقرى ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا

وقرا زيد

وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه انه فسرها بولد
الولد ذكرهم الله النعمة في انجا ابائهم من الغرق انه اي نوحا
عليه السلم كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي
اطعمني ولو شا اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني
ولو شا اظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شا اعراني
واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شا احفاني واذا قضى
حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شا حبسه
وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان
وجده محتاجا اثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما
وجه ملاءمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا
ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلم كان عبدا شكورا وانتم ذرية من
امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباؤكم اسوتهم
ويجوز ان يكون تعليلا للاختصاص والثنا عليهم بانهم اولاد
المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص
ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا
الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا
بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون
في الكتاب في التورية ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري
القضا المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال
واقسمنا لتفسدن وقرى لتفسدن على البنا للمفعول ولتفسدن بالفتح
النا من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عليهم وحبس ارميا حين

Copyright King Saud University

أنذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى
بن مريم. عبادًا لنا وقرئ عبيدًا لنا وأكثر ما يقال عباد الله
وعبيد الناس سنجاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس
جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم
سبعين ألفا فإن قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك
ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم
نمنعهم على أن الله عز وعلا أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه
فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول
الداعي وخالف بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال
الديار بالفساد إليهم فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس
المسند إليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل
الديار فإن قلت ما معنى وعد أوليهما قلت معناه وعد
عقاب أولاهما. وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا
لا بد أن يفعل. ثم رددنا لكم الكرة أي الدولة والغلبة
على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو
قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم
ورجوع الملك إليهم وقيل هي قتل داود جالوت. أكثر نفيرا
مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر
كالعبيد والمعيز. أي الإحسان والإساءة كلاهما مختص
بأنفسكم لا يتعدى النفع والضر إلى غيركم وعن علي رضي الله عنه
ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها. فإذا جاء وعد

أسند المخالفة إلى الله لأنه سبب ما هو سبب للمخالفة

المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية
آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا
وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث ولنسوء
بالنون وقرئ لنسوأن بالنون الخفيفة. واللام في ليدخلوا على
هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوأن جواب
إذا جاء. ما علوا مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه
واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم. عسى ربكم أن يرحمكم
بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي.
وإن عدتم مرة ثالثة عدنا إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله
إليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم وعن الحسن
عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه فهم يعطون الجزية عن يد وهم
صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا
الحي من العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيمة. حصيرا
محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط
الحصير المرمول. للتي هي أقوم للحالة التي هي أقوم الحالات
وأسدها أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات
ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف بحذفه
من فخامة تفقد مع إيضاحه. وقرئ ويبشر بالتخفيف فإن قلت
كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت
كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي وإما مشرك وإنما حدث أصحاب
المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فإن قلت علام عطف أن الذين

وفي قراءة علي لنسوءن وليسوءن

الإتاوة الخراج والجزية

أي المنسوج

Copyright © King Saud University

لا يومنون بالآخرة ولنت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر
المومنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدايهم ويجوز
ان يراد ويخبر بان الذين لا يومنون معذبون ﻫ اي ويدعو الله
عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير
كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير ﻫ وكان الانسان
عجولا يتسرع الى كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه
تانى المتبصر وعن النبي صلى الله عليه انه دفع الى سودة بنت زمعة
اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد
فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى
الله عليه دعا به فاعلم بشانه فقال عليه السلم اللهم اقطع يديها
فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال
النبي صلى الله عليه اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعاي على من لا
تستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد
سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب
استهزا او يستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان
عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس
هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت
عنقه صبرا ﻫ فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان
في انفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة
العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي
النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين

اي يكون المضاف محذوفا

يريد الشمس والقمر ﻫ فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء
مطموسة مظلما لا يستبان فيه شي كما لا يستبان ما في اللوح
الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشيا وتستبان
او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس
فترى به الاشيا روية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في
ضوئها كل شي ﻫ لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار
الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ﻫ ولتعلموا باختلاف
الجديدين ﻫ عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه
ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور
ﻫ وكل شي مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم ﻫ فصلناه بيناه
بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا
ﻫ طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو
من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى
ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب
تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته
وعن الحسن رحمه الله يا ابن ادم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها
في عنقك ﻫ وقرى في عنقه بسكون النون ﻫ وقرى ويخرج بالنون ويخرج
بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البنا للمفعول ويخرج من خرج
والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على
الحال ﻫ وقرى يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان
للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه ﻫ اقرا على ارادة

هذا مثل قوله لا تتخذوا الهين اثنين

طلكبر

يقال قتل فلان صبرا وحلف صبرا اذا حبس على القتل حتى يقتل او على اليمين حتى يحلف

Copyright King Saud University

القول وعن قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا
وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح
بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق
به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع
الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه
فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي
والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل
كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتاول النفس بالشخص
كما يقال ثلثة انفس وكان الحسن اذا قراها قال يا ابن ادم انصفك
والله من جعلك حسيب نفسك اي كل نفس حاملة وزرا فانما
تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا
صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم
رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة
الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا
النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم
النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل
اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت
بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة
الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا
على النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم
ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرنا مترفيهم ففسقوا اي امرناهم

بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول
لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز
انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي
واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة
فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا
من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير
والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فاثروا الفسوق
فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت
هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت
لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على
نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو
كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرا لا يفهم منه الا ان
المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من
مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم
يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض
الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على
المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا
منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا
به وكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول
فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت
هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشا وانما يامر بالقسط

والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت
لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيا وانت
تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير
امر شا في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه
تقول لو شا لاحسن اليك ولو شا لاسا اليك تريد لو شا الاحسان
ولو شا الاساة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت
حال من اسندت اليه المشية انه من اهل الاحسان او من اهل الاساه
فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دل عليه حال صاحب المشية
لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته
فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال
سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا
من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال
عليه السلم انه سيامر اي سيكثر وسيكبر وقري آمرنا من امر وامره
غيره وامّرنا بمعنى آمرنا او من امر امارة وامّره الله اي جعلناهم
امراء وسلطناهم كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم
وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك
كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب
هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها معاقب عليها من كانت
العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا
عليه من منافعها بما نشا لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد
المعجل بمشيته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى

وهو قوله لمن نريد

كثيرا من هولاء يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون
ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليه فقر الدنيا وفقر الاخرة واما
المومن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اوتي حظا
من الدنيا ام لم يوت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له
واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل
لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقري يشا وقيل الضمير
لله عز وجل فلا فرق اذن بين القرائتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد
على ان للعبد ما يشا من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله
ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر
للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلم فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة
ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه مدحورا مطرودا من رحمة الله
سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط
ثلث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد بها همته
ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان
الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله
ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية وشكر الله الثواب
على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف
اليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف
لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل
وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص

لعصيانه * انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في
التفضل وفي الآخرة التفاوت اكبر لانها ثواب واعواض وتفضل
وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب
عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان
فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني
الى الاسلام فاسرعوا وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة
ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ واكثر
تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما
ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل *
فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت
يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهلك
والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له * وقضى ربك وامر
امرا مقطوعا به * ألا تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا
تعبدوا * وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا
بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض
ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته * اما هي ان الشرطية زيدت
عليها ما تأكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت
ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه
* احدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من الف الضمير
الراجع الى الوالدين * وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت

٢٧٨

لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل
قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم
في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك لو جعلته
توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت
لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما
او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول *
اف صوت يدل على تضجر وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون
الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم
اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا
وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك
اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه
في حال الطفولة فهو مأمور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين
الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما
او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه
في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده
ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى
لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته
ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة
* ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر
والنهم اخوات * وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا كما
يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو ان يقول يا ابتاه

في سلك القضاء بالتوحيد والاحسان

يا أمتاه كما قال ابراهيم عليه السلام لابيه يا أبت مع كفره ولا يدعوهما
باسمائهما فانه من الجفا وسوء الادب وعادة الدعار قالوا
ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا
وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله
جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض
لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او
الذل كما أضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك
الذليل والذلول والثاني ان تجعل لذله او لذلّه لهما جناحا
خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في
التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك
عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما
بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان
يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك
وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين
قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان
يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء
للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال
كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل
منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية
بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه
في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل

وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

العاق

العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب
ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك
وانت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه
يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه
كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من
مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي
بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال
للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر
سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر
قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال
انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت
نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي
قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر انه رأى رجلا في الطواف
يحمل امه ويقول انى لها مطية لا تذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر
ما حملت وارضعتني اكثر الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر
قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان
الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع
رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين
وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله

الطلقة مصدر من طلقت المرأة اذا وجعت عند الولادة

فعل ولا ابنا وله الخمر وما اخذ الا انا منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا
امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة
انه استاذن رسول الله في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه
يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم
الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما
ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان
تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اوداءهما
من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه ان من ابر البر ان يصل الرجل
اهل ود ابيه ۞ بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى
الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ۞ ان تكونوا صالحين
قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند
حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة
تؤدي الى اذاهما ثم اتبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله
غفور للاوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير هي البادرة
تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن
المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون — الى التوبة
هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج
تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره
۞ وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية
بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد
وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم

عند ابي حنيفة

عند ابي حنيفة والشافعي لا يوجب النفقة الا على الولد والوالدين فحسب
وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم
بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء
والمعاضدة ونحو ذلك ۞ والمسكين وابن السبيل يعني
وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذوي — القرابة
القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقارب رسول
الله صلى الله عليه ۞ التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه
على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها
وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها
فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله
هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل
كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه
لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (تم كلام مجاهد) وعن عبد الله بن عمرو مر
رسول الله صلى الله عليه بسعد وهو يتوضا فقال ما هذا السرف
يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ۞
اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه
لا شر من الشياطين او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم
فيما يامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل
الوعيد ۞ وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا
يدعو الا الى مثل فعله ۞ وقرا الحسن اخوان الشيطان ۞ وان
اعرضن عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد

قيل لابي تمام ما لك لا تقول ما يفهم فقال ما لك لا تفهم ما يقول ه

يقال فلان شر الناس ولا يقال اشر الناس الا في لغة رديئة ه

فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سالوك وكان النبي
صلى الله عليه اذا سئل شيا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حيا
وقوله ابتغا رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه
اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا
لقلوبهم ابتغا رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك
عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق
من ربك ترجو ان يفتح لك فسمي الرزق رحمة فردهم ردا جميلا
فوضع الابتغا موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد
سبب الابتغا والابتغا مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز
ان يكون معنى واما تعرض عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم
لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن
ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه ميسورا يسر الامر وعسر
مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا
الله واياكم من فضله على انه دعا لهم ييسر عليهم فقرهم كان
معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعا فيه يسر هذا تمثيل
لمنع الشحيح واعطا المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف
والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير
مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني
ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا
احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شي
عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسالة وعن جابر

اكثر عليه السوال

بينا رسول الله صلى الله عليه اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك
درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى
امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل
داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا
فلم يخرج للصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة
بن حصن فجا عباس بن مرداس وانشا يقول
اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع
وما كنت دون امري منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله
عما كان يرهقه من الاضافة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا
لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة
للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما
من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا
ويحتمل انه عز وعلا يبسط لعباده او يقبض فانه يراعي اوسط
الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى
مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم هو وادهم
بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة ونهي لهم املاق فنهاهم
الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخا وقرئ خطا
وهو الاثم يقال خطئ خطا كاثم اثما وخطا وهو ضد
الصواب اسم من اخطا وقيل هو والخطا كالحذر والحذر

العبيد اسم فرسه

وخِطآءً بالكسر والمد وخَطآءً بالفتح والمد وخَطأً بالفتح والسكون وعن الحسن خَطًا بالفتح وحذف الهمزة كالحَبَ وعن ابي رجا بكسر الخا غير مهموز ﴿فاحشة﴾ فعلة ظاهرة القبح زائدة على حد القبح ﴿وساء سبيلا﴾ وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته او ابنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله ﴿الا بالحق﴾ الا باحدى ثلث الا بان تكفر او تقتل مومنا عمدا او تزني بعد احصان ﴿مظلوما﴾ غير راكب واحدة منهن ﴿لوليه﴾ الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه ﴿سلطانا﴾ تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه ﴿فلا يسرف﴾ الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بُؤْ بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواءً وقيل الاسراف المثلة وقرا ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا ردّه على ولا تقتلوا ﴿انه كان منصورا﴾ الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف ﴿بالتي هي احسن﴾ بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهو حفظه عليه وتثميره ﴿ان العهد كان مسئولا﴾ اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا وقرئ ﴿بالقسطاس﴾ بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها ﴿واحسن تأويلا﴾ واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ﴿ولا تقف﴾ ولا تتبع وقرئ ولا تقفُ يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد

ومثل للدمى شم العرانين ساكن بهن الحيا لا يشعن التقافيا
اي التقاذف وقال الكميت ولا ارمي البرى بغير ذنب
ولا اقفو الحواصن ان قفينا وقد استدل به مبطل الاجتهاد
ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام
العلم وامر بالعمل به اولئك اشاره الى السمع والبصر والفواد
كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية
اي كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور
كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت
ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه
ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء
والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفواد ثم استصحب القلب
مع الفتح مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش
المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التوكيد لن تخرق الارض لن
تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطاتك وقرئ لن تخرق
بضم الرا ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال
قرئ سيئه وقرئ سيئة على اضافة سيئ الى الضمير كل وسيئا
في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه
كان شانه فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت
السيئة في حكم الاسما بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم
الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن
قرا سيئا الا ترى انك تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة

فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومونث فان قلت
ثما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرا من قرا سيئه
بالاضافة فما وجه من قرا سيئة قلت كل ذلك احاطة بما
نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة
الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى هذه الغاية
وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد
بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني عشرة اية كانت
في الواح موسى عليه السلم اولها لا تجعل مع الله الها اخر
قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظة وهي
عشر ايات في التوريه ولقد جعل الله عز وعلا فاتحتها
وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة
وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها
الحكما وحك بيافوخه السما وما اغنت عن الفلاسفة
اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفيكم
خطاب للذين قالوا الملئكة بنات الله والهمزة للانكار يعني
افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد وهم
البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات
وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد
لا يوثرون باجود الاشيا واصفاها من الشوب ويكون اردأها
وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه
الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم

Copyright © King Saud University

حيث يجعلون له ما يكرهون ثم بان يجعلوا الملئكة وهم اعلى
خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث ﻫ ولقد صرّفنا
في هذا القران يجوز ان يريد بهذا القران ابطال اضافتهم الى الله
البنات لانه مما صرّفه وكرّر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في
هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير
ويجوز ان يشير بهذا القران الى التنزيل يريد ولقد صرّفناه يعني
هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم
وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا اي
كرّرناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتجّ به عليهم
ﻫ فما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلّة طمانينة اليه وعن سفيان كان
اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا ﻫ قرئ
كما يقولون بالتا واليا ﻫ واذن دالّة على ان ما بعدها وهو لابتغوا
جواب عن مقالة المشركين وجزا للو ﻫ ومعنى لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما
تفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وقيل لتقرّبوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ﻫ علوّا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف
العلوّ بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه ﻫ المراد
انها تسبّح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته
فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركا
وغيرها فان قلت مما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا

يكون جاريا مجرى اللازم ولا يقدر لاجل مفعول نحو اصلح لي في ذريتي

التسبيح

التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وان
كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم
لما جعلوا معه الهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقرّوا
لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه
فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق
فان قلت من فيهن يسبّحون على الحقيقة وهم الملئكة والثقلان
وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح
المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة
في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز ﻫ انه كان حليما غفورا
حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم
بالتسبيح وشرككم ﻫ حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل
مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد
انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر
ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب كانه قال واذا قرأت القران جعلنا على قلوبهم ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه
فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه ﻫ يقال وحد يحد وحدا وحدة
نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه
وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله
يحد وحده بمعنى واحدا وحده ﻫ والنفور مصدر بمعنى التولية

Copyright King Saud University

او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه آلهتهم
لانهم مشركون واذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به من
الهزؤ بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان
من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون
ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون
بالهزؤ اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت
استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى
اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر
وهو الرئة اي هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك
بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب
في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري
ما يصنع لما قالوا ءاذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا
فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا
ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون
ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحي
وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض
اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان
يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من
الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا
حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعهما الجساوة والصلابة لكان
قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في صدوركم

اي جعله من جنسه
اي من بابه كان

[illegible]

٢٨٥

يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على
الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدوركم الموت
وقيل السموات والارض فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا
واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم
يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده
حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك
لمن تامره بركوب ما يشق عليه فيتابى ويمتنع ستركبه وانت حامد
شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح
الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب
عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وترون
الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما
او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا
الاخرة وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي
هي احسن والين ولا تخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن
وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم
يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار
وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر
وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد
ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وما
ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على
الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم

اي لو صيرتم نفس الموت الذي هو ضد الحياة لصيره حياة
وذاته

مبد

في الفنا

ومن اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك
قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل
فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذا المشركين للمسلمين فشكوا الى
رسول الله فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله
يرحمكم الله وقرا طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون
هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي
طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب
وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني
وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم وبما يستاهل
كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى
تفضيل رسول الله وقوله واتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله
وهو انه خاتم الانبيا وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود
قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون وهم محمد وامته فان قلت هلا عرف الزبور كما
عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور
كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد واتينا داود بعض الزبر
وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه من الزبور فسمي
ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القران قرانا هم الملئكة
وقيل عيسى مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب
ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا
عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى اخر

اراد بالذكر اللوح المحفوظ او كتاب موسى ع

او يبدلوه اولئك مبتدا والذين يدعون صفته ويبتغون خبره
يعني ان الهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز
وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو
اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن
يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب
الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون
ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة
ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي
مرسل فضلا عن غيرهم نحن مهلكوها بالموت والاستيصال
او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة
والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم
في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع
والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف
واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب
في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الايات من اجل
صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره
وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين والمراد الايات التي
اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احيا الموتى وغير ذلك
وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم اية فاجيب اليها ثم لم يومن
ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال
ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم

يتحرصون في الخوض ار التقرير

اراد ما الجبال البلاد من الري الى بغداد

Copyright King Saud University

لعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا
هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل
وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من
تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا
واحدة وهي ناقة صالح لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة
من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرى
مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالايات
ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا
من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم
يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل
من الايات كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا
اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة
عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال
احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر
ورسول الله صلى الله عليه في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو
ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع
يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى
اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله
لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع

فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله
من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون
ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله
ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا
يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا
الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة
من جنس لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد
الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب
الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة
تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها
ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا
ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما نرسل بها
تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم
بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة
لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم فما
اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة
فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم
بارسال ما يقترحون من الايات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق
من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا
بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا لعلها
رؤيا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء

بأسمائها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم اين شركائي
ذوانك انك لعن الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة
وقيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول
الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القرآن
قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة
لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على
المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة
وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب
لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام
الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث الذي
يلتوي بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل
وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كانه
قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك طينا حال اما من الموصول
والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين اي اصله طين او
من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا
أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا
الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه
فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني واللام موطئة
للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد
الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه
من قولهم احنك الشاتين اي آكلهما فان قلت من اين علم ان ذلك

يتسهل له وهو من الغيب قلت اما ان سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم
وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها
او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك
لما علمت وسوسته في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم
من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما
معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه
بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم
كما قال موسى صلوات الله عليه للسامري فاذهب فان لك في الحيوة
ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من حق الضمير في الجزاء
ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت بلى ولكن
التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب
فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب
جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار
تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال
فر لصاحبك عرضه فرة استفزز استخفه والفز الخفيف
واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب
وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه
وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس
وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فان قلت
ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت

هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من
يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوّت بهم صوتا يستفزهم من
اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة
ورجالة حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله
ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون
لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد
فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربوا والمكاسب المحرمة والبحيرة
والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل
الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد
العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة
والاعمال المحظورة وغير ذلك ۞ وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة
الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة
ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول
في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل
على الآجل ۞ ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان
لا تقدر ان تغويهم ۞ وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة
منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز ان
يامر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا
الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل
الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم ۞ يزجي يجري ويسير
۞ والضر خوف الغرق ۞ ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم

وخواطركم

وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا
تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعتقدون برحمته حاجتكم
ولا يخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم اولم يهتد
لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل
من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي
ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع ۞ افامنتم الهمزة للانكار
والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك
على الاعراض فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف
مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال
والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه فان قلت
ما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها
في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب من
اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان
الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه
تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده
سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان
يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم
حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم
بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم
فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر
وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ۞ ام امنتم ان يقوي دواعيكم

ويحوجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم
فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو
الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا
قصفته ﴿فيغرقكم﴾ وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك نخسف
ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون ﴿تبيعا﴾ التبيع المطالب من قوله
فاتباع بالمعروف واداء اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع
يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه
والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا
انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف
عقباها ﴿بما كفرتم﴾ بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم
﴿كرمنا﴾ قيل في تكرمة ابن ادم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط
والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد
وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شي ياكل
بفيه الا ابن ادم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق
وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى
ولقد كرمنا بني ادم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق
فردها واكل باصابعه ﴿على كثير ممن خلقنا﴾ هو ما سوى الملئكة
صلوات الله عليهم وحسب بني ادم تفضيلا ان ترفع عليهم الملئكة
وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا
في كل شي وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي
تفضيل الانسان على الملك وذلك بعدما سمعوا تفخيم الله امرهم

وتكثيره

وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم
وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم
فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت
الملئكة ربنا انك اعطيت بني ادم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون
ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل
ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة
انه قال المؤمن اكرم على الله من الملئكة الذين عنده ومن ارتكابهم
انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الاية وخذلوا حتى سلبوا الذوق
فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان
معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم
ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة
في عداوة الملا الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط
فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم ﴿يوم ندعو﴾ قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى
كل اناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل اناس على قلب
الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز
ان يقال انها علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع
مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير
ليست الا علامة ﴿بامامهم﴾ بمن ائتموا به من نبي او مقدم في
الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب
كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر
وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان

اي الواو في يدعو منقلبا من الالف علامة الجمع

Copyright King Saud University

الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات
دون الاباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا
تفتضح اولاد الزنى وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه
ام بهاء حكمته ۞ فمن اوتي من هولاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك
يقراون كتابهم قيل اولئك لان من في معنى الجمع فان قلت
لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقراون
كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم
ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام
التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة
اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن
تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم
على عكس ذلك لا جرم انهم يقراون كتابهم احسن قراءة وابينها ولا
يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارى لاهل المحشر هاؤم
اقرءوا كتابيه ۞ ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى
شي كقوله ولا يظلمون شيا فلا يخاف ظلما ولا هضما ۞ معناه ومن كان
في هذه الدنيا اعمى فهو في الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى
مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى
طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الاخرة فلانه لا ينفعه
الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم
قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت
الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم

يتعلق به شي فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة ۞
روي ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه لا ندخل في امرك حتى تعطينا
خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا
وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان
تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان
تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سالتك العرب
لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وجاوا بكتابهم فكتب
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا
يعشرون ولا يحشرون ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب
اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب
فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله
قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا فنزلت
وروي ان قريشا قالوا له اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب
اية رحمة حتى نومن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة
من المثقلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى
ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا
اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا ۞ لتفتري علينا
لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما اداروه عليه من تبديل الوعد وعيدا
والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم
ينزل عليه ۞ واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ۞ ولولا ان ثبتناك

Copyright King Saud University

ولولا ان ثبتناك وعصمناك لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان
تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت
وفي ذلك لطف للمؤمنين إذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة
لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب
الاخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا
الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات
لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب
في حياة الاخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى
فآتهم عذابا ضعفا في النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك
عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة
الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم
الحيوة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا
وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى
لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما
بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد
بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار
عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل
والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله
وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن

اي المداهنة في الغواة

اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة
بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب
في دين الله وعن النبي صلى الله عليه انها لما نزلت كان يقول اللهم لا
تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك
ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة واذا
لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم
وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه
ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر
بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك
ان رسول الله لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم
فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي
بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا
بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم
فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله على اميال
من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس
عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله
فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن
فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف
فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في
خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها
التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك

ونك

اي استؤصل جميعهم بحيث لم يبق منهم احد

ميقات اهل المدينة في الحج

قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
اى بعدهم ۞ سنة من قد ارسلنا يعنى ان كل قوم اخرجوا رسولهم
من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر
المؤكد اى سن الله ذلك سنة ۞ دلوك الشمس غربت وقيل زالت
وروى عن النبى صلى الله عليه اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت
الشمس فصلى بى الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك
عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة
للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر
والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقران الفجر صلوة
الفجر سميت قرانا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا
وقنوتا وهى حجة على ابن علية والاصم فى زعمهما ان القراءة ليست بركن
مشهودا يشهده ملئكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد
هؤلاء فهو فى اخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير
من المصلين فى العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة
ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على طول القراءة فى صلاة الفجر لكونها
مكثورا عليها ليسمع الناس القران فيكثر الثواب ولذلك كانت
الفجر اطول الصلوات قراءة ۞ ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد
به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التاثم والتحرج ويقال
ايضا فى النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات
الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان
التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك

على الصلوات

على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه
تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اى عسى ان يبعثك
يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز
ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود
المقام الذى يحمده القائم فيه وكل من راه وعرفه وهو مطلق
فى كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة
وهى نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون
والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسال فتعطى وتشفع
فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه
هو المقام الذى اشفع فيه لامتى وعن حذيفة يجمع الناس فى
صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه فيقول لبيك
وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك
وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك
رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ۞
قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلنى
فادخل مدخل صدق اى ادخلنى القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا
على طهارة وطيب من السيئات واخرجنى منه عند البعث اخراجا
مرضيا ملقى بالكرامة امنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر
البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من
مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها
امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل

ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا
لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه
ويلابسه من امر ومكان ٭ سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او
ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت
دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون
ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس
والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه انه استعمل عتاب بن اسيد
على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا
على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن
الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق
فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد
اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه اني رايت فيما يرى النائم كان عتاب
بن اسيد اتى باب الجنة واخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا
حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد
ظلمهم فذلك السلطان النصير ٭ كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما
صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رض كانت لقبائل العرب يحجون اليها
وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اي رب حتى متى تعبد هذه
الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك نوبة
جديدة فاملاك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون
اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه
الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل

الاصنام

اهل الله اي جيران بيته وهم قريش

ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق
الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول
الله حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون
ما راينا رجلا اسحر من محمد ونكاية البيت والوحي تمثيل وتخييل ٭
وزهق الباطل ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت ٭
والحق الاسلام ٭ والباطل الشرك ٭ كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت
في كل وقت ٭ وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد ٭ من القران من للتبيين
كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القران فهو شفاء
للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع
الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه من لم يستشف بالقران فلا شفاه
الله ٭ ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به
وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم ٭ واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والسعة ٭ اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد
بنفسه ٭ ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه
عرض وجهه ٭ والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره
او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المتكبرين ٭ واذا مسه
الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل ٭ كان يؤسا شديد الياس
من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء
بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون
من ناء بمعنى نهض ٭ قل كل احد يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته

جمع اصفر

عرض الشيء بالضم ناحيته

التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل
وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم أعلم بمن
هو أهدى سبيلا أي أسد مذهبا وطريقة ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الأكثر على أنه الروح
الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما
استأثر بعلمه وعن ابن بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وما يعلم
الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وقيل
جبريل وقيل القرآن ومن أمر ربي أي من وحيه وكلامه ليس من كلام
البشر بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي
القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي وإن أجاب
عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح
وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم ﴿وما أوتيتم﴾ الخطاب
عام وروي أن رسول الله لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا
الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم
إلا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة
فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما في الأرض
من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لأن القلة والكثرة تدوران مع
الإضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة مضافا
إلى ما تحته فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا
أضيفت إلى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة
لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد
تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة قليل

في جنب علم الله ﴿ولئن شئنا لنذهبن﴾ جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط
واللام الداخلة على إن موطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا
بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا
وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ﴿ثم لا تجد لك به﴾ بعد الذهاب
به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا ﴿إلا
رحمة من ربك﴾ إلا أن يرحمك ربك فترده عليك كأن رحمته تتوكل
عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من
ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى
ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه
فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما
وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه
في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه إن أول ما تفقدون من
دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا
دين لهم وإن هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل
كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه
أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس
منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب ﴿لا يأتون﴾ جواب قسم
محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله
يقول لا غائب مالي ولا حرم لأن الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا
على أن يأتوا بمثل القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب
العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم

الخالصة

وان لم يكن مجزوما وانما جاز ان يكون جوابا للشرط مع انه غير مجزوم لان الشرط ماض واذا كان الشرط ماضيا والجزاء مضارعا جاز في الجزاء الجزم والرفع

النوابت من الاحداث الاغمار ص

ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث
يكون المقدور فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد
عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها
فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو
قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على
المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مالهم
المكابرة وقلب الحقايق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل
مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود
فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت
الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا
لما تبين اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات
ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فعل
المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر تفجر وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا
غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب
من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشا نخسف بهم
الارض او نسقط عليهم كسفا من السما وقرئ كسفا بسكون السين جمع
كسفة كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا
بصحته والمعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله
كنت منه ووالدي بريا واني وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير
بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة

حالا من الملائكة من زخرف من ذهب في السما في معارج السما فحذف
المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن
نؤمن من اجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السما فيه تصديقك
عن ابن عباس قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السما
سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور
معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا
يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل
اية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في
قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون وحين
انكروا الاية الباقية التي هي القران وساير الايات وليست هي
بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل قل سبحان
ربي وقرئ قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت
الا رسولا كساير الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم
الا بما يظهره الله عليهم من الايات فليس امر الايات الي انما هو الى الله
فما بالكم تتخيرونها علي ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية
رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقران وبنبوة محمد
صلى الله عليه الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله
البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند
الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبيا
ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي
الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السما فيسمعوا من اهلها ويعلموا

ما يجب علمه • مطمئنين ساكنين في الارض فا رين لنزلنا عليهم
من السما ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس
فما هم بهذه المثابه انما يرسل الملك الى مختارين منهم للنبوه فيقوم
ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان
يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه
حسن والمعنى له اجوف • شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما
ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم • انه كان بعباده المنذرين
والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول
الله ووعيد للكفره وشهيدا تمييز او حال • ومن يهد الله ومن
يوفقه ويلطف به • فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف
ينفع فيه • ومن يضلل ومن يخذل • فلن تجد لهم اوليا انصارا •
على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول
الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم
قادر على ان يمشيهم على وجوههم • عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا.
لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة
كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا
ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ويجوز
ان يحشروا موفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد
اخبر عنهم في موضع اخر انهم يقرؤن ويتكلمون • كلما خبت كلما
اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فيسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت
ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافنا جعل الله

من ان يكون رسولا صدقه

جزاهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها
لا يزالون على الافنا والاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم
البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد • وقد دل على ذلك بقوله
ذلك جزاؤهم الى قوله انا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت
علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان
المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض
فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما
قال انتم اشد خلقا ام السما • وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت
او القيمة • فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا • لو حقها ان تدخل
على الافعال دون الاسما فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون
وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير
وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم
لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون
تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه
علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس
هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني
وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل
الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر •
ورحمة الله رزقه وساير نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح
الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما
اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق

٢٩٧

جزاهم

لتبخلوا بها ۞ قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل يقدر لامسكتم
مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك ۞
عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرايل وعن الحسن الطوفان
والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد
العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر
كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه
فنفضه واذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص
وعدس كلها حجاره وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول
الله عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرايل لا تشركوا بالله شيا
ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا
ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
محصنه ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في
السبت ۞ فسل بني اسرايل فقلنا له سل بني اسرايل اي سلهم من فرعون
وقل له ارسل معي بني اسرايل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم
او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك وتدل عليه
قراه رسول الله صلى الله عليه فسال بني اسرايل على لفظ الماضي بغير همز
وهي لغه قريش وقيل فسل يا رسول الله المومنين من بني اسرايل وهم
عبد الله بن سلام واصحبه عن الايات لتزداد يقينا وطمانينة قلب
لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم
ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم تعلق اذ جاهم قلت اما على

الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاهم
او بسال في القراه الثانيه واما على الاخر فبآتينا او باضمار
اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاهم اذ جا اباهم ۞ مسحورا سحرت
فخولط عقلك ۞ لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلا الايات الا الله عز
وجل ۞ بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرى علمت بالضم على معنى اني
لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الايات
منزلها رب السموات والارض ۞ ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان
ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك
لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لايات
الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة
امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفرا مثبورا مصروفا
عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك
وصرفك وقرا ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففه
واللام هي الفارقة ۞ فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم
منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال فحاق به
مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه ۞ اسكنوا الارض
التي اراد فرعون ان يستفزكم منها ۞ واذا جا وعد الاخره يعني قيام
الساعة ۞ جينا بكم لفيفا جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم
بينكم ونميز سعداكم من اشقياكم ۞ واللفيف الجماعات من
قبايل شتى ۞ وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القران الا بالحكمة

Copyright King Saud University

المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله
على الهداية الى كل خير او وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا
بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من
تخليط الشياطين وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا
من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك
وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابي فرقناه بالتشديد
اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا
وقال لم ينزل في يومين او ثلثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة
يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم
على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث
قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم
والازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه
وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية
وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا
ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه
النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا
الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به
من بعثة محمد صلى الله عليه وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد
في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم
القرآن لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم
من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به

او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله
وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء
وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت
ما معنى الخرور للاذقان قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن
وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن
فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه
فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم
قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام
للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف
الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم
باكين عن ابن عباس رضي سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن
فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل
الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية هذا الاسم
فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين
تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا
والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير بمعنى ادعوا
الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا
واما هذا والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام
المؤكد لما في اي اي ايا ما هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء
الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين
ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم

والمعنى أيًّا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى
لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها
ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس
والتعظيم ۞ بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا
يلبس من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير
والصلوة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه يرفع صوته
بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته
والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك
وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي أن أبا بكر رضي الله عنه
كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي
وكان عمر رض يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان
فأمر أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر
بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة
الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم
إلى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل
مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ۞ ولي من الذل ناصر من الذل
ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها
بموالاته فإن قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة
التحميد قلت لأن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة
فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه إذا أفصح الغلام
من بني عبد المطلب علمه هذه الآية ۞ عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ

كواشي: المعنى لم يذل فيحتاج إلى ناصر ه

أفصح الصبي وفصح خلصت لغته من اللكنة ... وهو الذي لا رغوة فيه وهذه الآية تسمى آية العز ه

بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في
الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية ۞

سورة الكهف مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل
نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه
من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ۞ ولم يجعل له عوجا
ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في
الأعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج
شيء منه من الحكمة والإصابة فيه ۞ فإن قلت بم انتصب قيما
قلت الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لأن قوله
ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله
حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره
ولم يجعل له عوجا جعله قيما لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت
له الاستقامة فإن قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات
الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التأكيد
فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج
عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها
شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه
من الشرائع وقرئ قيما ۞ أنذر متعد إلى مفعولين كقوله إنا
أنذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على أحدهما وأصله لينذر الذين

فيلزم إيراد صلة قبل تمام صلة قبل ه

كفروا «بأسا شديدا» والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس
العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة «من لدنه» صادرا من عنده
وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون «ويبشر» بالتخفيف
والتثقيل فإن قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت
قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه
والدليل عليه تكرير الانذار في قوله «وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا»
متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله
«ان لهم اجرا حسنا» استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة «ما لهم
به من علم» اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم
ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد استملته اباؤهم من الشيطان
وتسويله فإن قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من
علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته
وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه
في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به «كبرت كلمة» وكلمة
بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه
معنى التعجب كأنه قيل ما اكبرها كلمة «تخرج من افواههم» صفة
للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من
افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من
المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل
يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت
بسكون الباء مع اشمام الضمة فإن قلت الام رجع الضمير في كبرت

اي بتقدم ذكر المنذر به وهو البأس

قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها
شبهه واياهم حين تولوا عنه لم يؤمنوا به وما تداخله من
الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط
حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم
وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها
وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ ان لم يؤمنوا
بمعنى لان لم يؤمنوا «بهذا الحديث» بالقرآن «اسفا» مفعول له اي
لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب
يقال رجل اسف واسيف «ما على الارض» يعني ما يصلح ان يكون زينة
لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها «لنبلوهم ايهم
احسن عملا» وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد
في الميل اليها بقوله «وانا لجاعلون ما عليها» من هذه الزينة «صعيدا جرزا»
يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة
في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة
الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الاسباب
الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها
وازالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال «ام حسبت» يعني ان ذلك اعظم
من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة «والكهف» الغار
الواسع في الجبل «والرقيم» اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد
وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف

الرئيس

وقيل ان الناس ذهو احد بثتهم نفر اى الجبل وقيل هو الوادى الذى
فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم ومكانهم بين غضبان وايلة
دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات
عجب ربنا آتنا من لدنك رحمة اى رحمة من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق
والأمن من الاعداء وهيّئ لنا من امرنا الذى نحن عليه من مفارقة الكفار
رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا
كله كقولك رايت منك اسدا فضربنا على آذانهم اى ضربنا عليها
حجابا من ان تسمع يعنى انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات
كما ترى المستثقل فى نومه يصاح به فلا يسمع ولا ينتبه فحذف المفعول
الذى هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة
سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد
القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال
الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر
احتاج الى ان يعد ثم اى يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم
فلم يعمل فيه ونرى لنعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء
لا بإسناد نعلم اليه وفاعل نعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم
اى الحزبين المختلفين منهم فى مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا
فى ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين
علموا ان لبثهم قد تطاول او اى الحزبين المختلفين من غيرهم احصى
فعل ماض اى ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن

قال ابو البقاء سنين ظرف لضربنا

وقال الزجاج يدل على ان المراد القلة

جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك
ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس
من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ فى غير القرآن ممتنع فكيف
به ولان امدا لا يخلو اما ان ينصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينصب
بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت انى انصبه باضمار فعل يدل
عليه احصى كما اضمر فى قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا
على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت
ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت
كيف جعل الله العلم باحصائهم المدة غرضا فى الضرب على آذانهم
قلت الله عز وجل لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم
من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمنى
زمانهم وآية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت
وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم
والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق
والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدى الجبار وهو دقيانوس
من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا
ربنا رب السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط
فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط فى السوم
وفى غيره هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان اتخذوا خبر وهو
اخبار فى معنى الانكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم
فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على

Copyright © King Saud University

عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لابد في الدين
من الحجة حتى يصح ويثبت ۚ افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه ۞
واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على
الفرار بدينهم ۚ وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم
واعتزلتم معبوديهم ۚ الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما
روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان
يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية
انهم لم يعبدوا غير الله ۚ مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق
به اي ينتفع انما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم
لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان اخبرهم به نبي في عصرهم
واما ان يكون بعضهم نبيا ۞ تزاور اصله تتزاور فخفف بادغام التاء
في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر
وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور
الميل عن الصدق ۚ ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة
باليمين ۚ تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة
الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس
وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم
كله لا يصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع
منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل متفتح
من غارهم يصل لهم فيه روح الهوا وبرد النسيم ولا يحسون كرب
الغار ۚ ذلك من ايات الله اي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها

طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس
ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل
لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من ايات الله ان شانهم وحديثهم
من آيات الله ۚ من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله
واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة
السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين
الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض
للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله ۞ وتحسبهم بكسر السين
وفتحها خطاب لكل احد ۚ ايقاظا جمع يقظ كانكاد في نكد وقيل
لعيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل
لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشورا
وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا
وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد
تقلبهم ۚ وقرأ جعفر الصادق وكالبهم اي وصاحب كلبهم ۚ باسط
ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي
واضافته اذا اضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية
الحال الماضية ۚ والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد
بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر ۚ وقرئ
ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا
بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملؤه وذلك لما البسهم
الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل

المقناة المكان الذي لا يقع فيه الشمس

لوحشة مكانهم وعن معوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف
لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك
قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم
فرارا فقال معوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا
فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فأحرقتهم
وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم تلك النومة
كذلك بعثناهم ادكارا بقدرته على الإنامة والبعث جميعا ليسأل
بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا
على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم به عليهم
وكرموا به قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم جواب مبني على غالب الظن
وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وأنه لا يكون كذبا
وإن جاز أن يكون خطأ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم إنكار عليهم من بعضهم
وأن الله أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله
أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله وروي أنهم
دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم
فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك فإن قلت كيف وصلوا
قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كأنهم قالوا ربكم أعلم
بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة
مضروبة كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث أن عرفجة أصيب أنفه يوم
الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأنتن فأمره رسول الله أن يتخذ أنفا من ذهب
وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر

الراء وإدغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأدغم وهذا غير جائز
لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم
ما كان معهم من الورق دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر
هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما
في أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها
عن محرم يشد عليه هميانه أوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض
صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله
ويقول من ذلك وكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج
أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذر إليهم ويحمد إليهم
بذلهم فإذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر إلا شيئان
شد الهميان والتوكل على الرحمن أيها أي أهلها فحذف الأهل كما
في قوله واسأل القرية أزكى طعاما أحل وأطيب أو أكثر وأرخص
وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى
لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا يعني ولا
يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه إلى الشعور بنا فسمى ذلك إشعارا منه
بهم لأنه سبب فيه الضمير في إنهم راجع إلى الأهل المقدر في أيها
يرجموكم يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم
أو يعيدوكم في ملتهم بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها والعود في
معنى الصيرورة أكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون
ابتداء الفعل ولن تفلحوا إذا أبدا إن دخلتم في دينهم وكذلك أعثرنا عليهم
وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم ليعلم الذين أطلعناهم

على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم
بعدها كحال من يموت ثم يبعث ﴿ واذ يتنازعون ﴾ متعلق
باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم
ويختلفون في حقيقة البعث وكان بعضهم يقول تبعث الارواح
دون الاجساد وبعضهم تبعث الاجساد كالارواح ليرتفع الخلاف
وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما
كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ﴿ ابنوا
عليهم بنيانا ﴾ اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا
بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحظيرة ﴿ قال الذين غلبوا على امرهم ﴾ من المسلمين وملكهم
وكانوا اولى بهم وبالبنا عليهم ﴿ لنتخذن عليهم ﴾ على باب الكهف مسجدا
يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم
اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم
وما اظهر الله من الاية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين
توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا
ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا
وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها
وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على
الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب
فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله
فقال ما تريدون مني انا احب احباب الله فناموا وانا احرسكم

وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف
فكانوا يعبدون الله على اذانهم وقيل ان يبعثهم الله ملك
مدينتهم رجل صالح مومن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين
وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس
على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من
رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما
دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان
من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك
فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم
وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل
واحد تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها
من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ﴿ ربهم اعلم بهم ﴾ من كلام
المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في
انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا
ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في
حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على
عهد رسول الله من اهل الكتاب ﴿ سيقولون ﴾ الضمير لمن خاض
في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمومنين سالوا
رسول الله عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا

وسط
ان الفتية لما هربوا من ملكهم ودخلوا الكهف امر الملك ان يسد عليهم باب الكهف ويدعوهم كما هم في الكهف يموتوا عطشا وجوعا وليكون كهفهم الذي اختاروا قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ وقد توفى الله ارواحهم وفاة النوم

Copyright © King Saud University

بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم
من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنه
أنا من أولئك القليل وروي أن السيد والعاقب وأصحابهما
من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه فجرى ذكر أصحاب
الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال
العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون
كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك
بإخبار رسول الله عن لسان جبريل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر
أسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك
وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير
هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا
من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير
فإن قلت لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين قلت
فيه وجهان أن يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم
تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن يريد بيفعل معنى الاستقبال
الذي هو صالح له • رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله
ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل
ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى
لم يبق عندهم فرق بين العبارتين ألا ترى إلى قول زهير
وما هو عنها بالحديث المرجم أي المظنون • وقرئ ثلاث رابعهم بإدغام
الثاء في تاء التأنيث • وثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة وكذلك

نصرانيان وكانا رئيسي أهل نجران

خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة
لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فإن قلت
فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون
الأوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة
للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني
رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما
أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة
بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه
الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه
عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل
عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول
الثالث ما يعلمهم إلا قليل وقال ابن عباس رضي حين وقعت الواو
انقطعت العدة أي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها وثبت
أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات • وقيل إلا قليل من
أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة
أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم
وأكثرهم على ظن وتخمين • فلا تمار فيهم فلا تجادل أهل الكتاب في شأن
أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم
ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف
بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن • ولا تستفت ولا
تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده

وعلى الأول كان لهم وللمسلمين جميعا

Copyright © King Saud University

عليه وترتبت عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة
والمجاملة ولا تسال احدا منهم شيئا لان الله قد ارشدك بان اوحى
اليك قصتهم ﴿ ولا تقولن لشي ﴾ ولا تقولن لاجل شي تعزم عليه
اني فاعل ذلك الشي غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد
خاصة ﴿ الا ان يشا الله ﴾ متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو
قال اني فاعل كذا الا ان يشا الله كان معناه الا ان تعترض مشية
الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على
وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشا الله ان تقوله
بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشا الله اي الا بمشيته
وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشية الله قائلا ان شا الله
وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شا الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل
ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله
لان عودهم في ملتهم مما لن يشاه الله وهذا نهي تاديب من الله لنبيه
حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين
فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي
حتى شق عليه وكذبته قريش ﴿ واذكر ربك ﴾ اي مشية ربك وقل
ان شا الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة
الاستثنا ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو
بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر
او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن
عطا يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقها انه لا اثر

لا تقل اني فاعل ذلك على الاطلاق لكن معلقا بالمشية

او استثنا من اعم عام الوقت اي لا تقولن في حين من الاوقات الا وقت المشية

له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة
خالف ابن عباس في الاستثنا المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال
له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى
ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه
ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار
اذا نسيت كلمة الاستثنا تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل
واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند
ذكرها ﴿ وهذا ﴾ اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله
يوتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة
واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من
قصص الانبيا والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل
والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيا فاذكر ربك وذكر ربك
عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشي آخر بدل هذا المنسي
اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة
كقوله او ننسها نات بخير منها ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلث ماية سنين ﴾
يريد لبثهم فيه احيا مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو بيان لما
اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله
اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيه بمدة لبثهم والحق ما اخبرك
به وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم
وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثماية

هو من الخروج على الامام

Copyright King Saud University

وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في
التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراءة ابي ثلثمائة سنة وازدادوا تسعا
تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب
في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه
هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات
والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما
عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها
كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما
يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي
من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرأ
الحسن و لا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون ائت
بقرآن غير هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من القرآن ولا تسمع
لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلماته لا يقدر
احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا
بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به
قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين
كان ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء
المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون
فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذويب
فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة
والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر

قراءة ابي جارية على القياس لان حق مميز مائة ان يكون مفردا

وقرئ بالغدوة والغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال
وادخال اللام على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك
ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا
طوره وجاءني القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى
نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته
ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا
تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه
اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف
رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك متجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله
تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين لها
وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة
وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه
فعد همك عما ترى نهى رسول الله ان يزدري بفقراء المؤمنين وان
تنبو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد
زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا
عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته
اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر
ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة
بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب
على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا
متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل

افحمته عيني ازدرته
الشارة اللباس والهيئة
اي بغير علامة

Copyright © King Saud University

وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل
فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو
في طريق الهلاك وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار
أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين شبه
ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط
وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل
دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل
كقوله فأعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما أذيب من جواهر
الأرض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب انشوى
الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه
سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا
متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق
لأهل النار ولا اتكاء إلا أن يكون من قوله إني أرقت فبت الليل مرتفقا
كأن عيني فيها الصاب مذبوح أولئك خبر إن وإنا لا نضيع اعتراض
ولك أن تجعل إنا لا نضيع وأولئك كلاما مستأنفا بيانا للأجر المبهم فإن قلت
إذا جعلت إنا لا نضيع خبرا فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ قلت
من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام
من أحسن مقام الضمير أو أردت من أحسن عملا منهم فكان كقولك
السمن منوان بدرهم من الأولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير
أساور لإبهام أمرها في الحسن وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج
وبين الإستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لأنه

هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين
ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل
أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران
في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم إني كان لي قرين ورثا من أبيهما ثمانية
آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر أرضا بألف فقال المؤمن اللهم
إن أخي اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشتري منك أرضا في الجنة بألف فتصدق
به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال اللهم إني أشتري منك دارا في الجنة بألف
فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم إني جعلت ألفا صداقا
للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف فقال اللهم إني اشتريت
منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه
على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق
بماله وقيل هما مثل لأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة
عبد الله بن عبد الأشد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله وكافر وهو
الأسود بن عبد الأشد جنتين من أعناب بستانين من كروم
وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين
في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال حفوه إذا
أطافوا به وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد
إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به
وجعلنا بينهما زرعا جعلها أرضا جامعة للأقوات والفواكه
ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل
بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل

قال الزجاج معناه واضرب للمؤمنين والكافرين مثلا مثل رجلين فحذف مثل لدلالة الأول عليه

Copyright © King Saud University

من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل
ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها • والاكل الثمر وقرى
بضم الكاف • ولم تظلم ولم تنقص • وآتت حمل على اللفظ لان كلتا
لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز • وقرى وفجرنا
على التخفيف وفي قراءة عبد الله كلا الجنتين آتى اكله برد الضمير على كلا •
وكان له ثمر انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد
الذهب والفضة اي كان له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب
والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة
الارض كيف شاء • واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا
ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث • يحاوره يراجعه الكلام
من حار يحور اذا رجع وسالته فما احار كلمة • يعني قطروس اخذ
بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره
بما ملك من المال دونه • فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت
معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في
الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم
يقصد الجنتين ولا واحدة منهما • وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما
اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله
وهو افحش الظلم • اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته
لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة
واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين
وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به
منادية عليه • ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد

صح ساح الماء يسيح سيحا اذا جرى على وجه الارض والسيح الماء الجاري

اي ودخل جنته التي له في الدنيا

٣١

الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة
خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه
ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله
وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى
لاوتين مالا وولدا • وقرى خيرا منهما ردا على الجنتين • منقلبا مرجعا
وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه
لانها فانية وتلك باقية • خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق
اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له • سويك عدلك وكملك
انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا
لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا • لكنا
هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون
لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل
وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي
اي لكن انا لا اقليك • وهو ضمير الشان وقوله الله ربي والجملة
خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات
الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من
حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء
لكنه • وقرى هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب
لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي • فان قلت
هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت
كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر • ماشا

الله يجوز ان يكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا
محذوف تقديره الامر ما شا الله او شرطية منصوبة الموضع
والجزا محذوف ومعناه اى شى شا الله كان ونظيرها فى حذف الجواب
لو فى قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند
دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شا الله اعترافا
بانها وكل خير فيها انما حصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده
ان شا تركها عامرة وان شا خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان
ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى
احد فى بدنه ولا فى ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم
حائطه ايام الرطب فيدخل من شا وكان اذا دخله ردد هذه الاية
حتى يخرج ⁂ من قرا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله
مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترنى وفى قوله وولدا انصره
لمن فسر النفر بالاولاد فى قوله واعز نفرا والمعنى ان ترنى افقر
منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى
فيرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب
بستانك ⁂ والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اى
مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب
حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا
مرامى الواحد حسبانة وهى الصواعق صعيدا زلقا ارضا بيضا
يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر ⁂
واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط

واحيط به

به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل اهلاك ومنه قوله
تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم
العدو اذا جاهم مستعليا لهم ⁂ وتقليب الكفين كناية عن الندم
والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض
الكف والسقوط فى اليد ولانه فى معنى الندم عدى تعديته بعلى
كانه قيل فاصبح يندم ⁂ على ما انفق فيها اى انفق عمارتها ⁂ وهى
خاوية على عروشها يعنى ان كرومها المعرشة سقطت عروشها
على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا
فاكلتها ⁂ يا ليتنى تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتى من جهة
شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه
ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا فى الايمان
قرى ولم تكن بالتا واليا وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله
فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم ⁂ فان قلت ما معنى قوله
ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون
الله اى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا
انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل ⁂ وما كان منتصرا
وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله ⁂ الولاية بالفتح النصرة
والتولى وبالكسر السلطان والملك وقد قرى بهما والمعنى هنالك
اى فى ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا
يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من
دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه

قوله ولم يكن له فئة ينصرونه قال صاحب الكواشى المعنى لم يجد عند هلاك جنته وهلاكها ناصرا له من عذاب الله

ان لا ينصره الله معلوما للغيره

او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويومن به كل مضطر يعني
ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجي اليها فقالها جزعا
مما دهاه من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى
هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المومنين على الكفرة وينتقم لهم
ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المو
من وصدق قوله عسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا
من السما ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل
هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم
وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية والله وقرا عمرو بن عبيد رحمة الله عليه
ورضوانه بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل
وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم
وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى
العاقبة فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى
خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الما فاختلط به حتى
روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط
بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما
بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة
وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه
حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفنا
بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن
وكان الله على كل شي من الانشا والافنا مقتدرا الباقيات

نجع الطعام اذا هنا ... قال ابن السكيت نجع فيه الدواء ونجع في الدابة العلف

ورف النبت اي اهتز ... وهاج النبت هياجا يبس

الصالحات

الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويفنى عنه كل ما
تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد
به وجه الله خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها
من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة
وقرئ تسير من سيرت وتسير من سيرنا وتسير من سارت اي
تسير في الجو ويذهب بها بان تجعل هبا منبثا وقرئ وترى
الارض على البنا للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان
عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون
والبا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفا
والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين
على السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل
واحد لا يحجب احد احدا لقد جيتمونا اي قلنا لهم لقد جيتمونا
وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب
باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة
وقيل جيتمونا عراة لا شي معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد
جيتمونا فرادى فان قلت لم جي بحشرناهم ماضيا بعد نسير
وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز
ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك
موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبيا من البعث
والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون

الغدير ... من الما تغادره السيل ... لانه يغدر باهله اي ينقطع عند شدة الحاجة اليه

لقد جيتمونا مفعوله ويوم نسير معمول فعل ... الفعل

هلكتهم التي هلكوا بها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا
كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك
شيئا من المعاصي الا احصاه اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني
قليلا ولا كثيرا لان الاشيا اما صغار واما كبار ويجوز ان
يريدوا ما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر
فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم
والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنى
وعن الفضيل كان اذا قراها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر
الا احصيها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في
الصحف عتيدا او جزا ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم
يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم
الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم كان من الجن
كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثنا ابليس من الساجدين
كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفا
للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان
ملكا كسائر من سجد لادم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون
البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وجل
لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده
الله وبين قول من ضاده من زعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى
فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج

٣١٣

عما امره به من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا او صار
فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لادم افتتخذونه
الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه
وذريته اوليا من دوني وتستبدلونهم بي بئس للظالمين بدلا من الله
ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقري
ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركا لي في العبادة وانما كانوا
يكونون شركا فيها لو كانوا شركا في الالهية فنفي مشاركتهم في
الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في
خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله
ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين بمعنى وما كنت
متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما
لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم
شركا لي في العبادة وقري وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله والمعنى
وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وعن علي
رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرا الحسن عضدا
بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقري عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا
بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد
من عضده اذا قواه واعانه ويوم يقول بالياء والنون واضافة الشركا
اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق
وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا
كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان

Copyright © King Saud University

الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن
موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله
لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل
اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد
الملئكة وعزير وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا
بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم
وهم في اعلى الجنان وظنوا فايقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون
فيها مصرفا معدلا قال ابو ذؤيب ازهير هل عن شيبة من مصرف
اكثر شيء جدلا اكثر الاشيا التي يتاتى منها الجدل ان فصلتها واحدا
بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز
يعني ان جدل الانسان اكثر من كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى
نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس
الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي هلاكهم او
انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا
انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا
من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا
يجوز ان يكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه
من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزؤا بالسكون اي
اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا
ولو شاء الله لانزل ملئكة وما اشبه ذلك بايات ربه بالقرآن ولذلك
رجع الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين

ذكر

ذُكّر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر
فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم
ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا
على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة
كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها واذا جزاء
وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما
يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب
للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة
الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مواخذة اهل مكة عاجلا
من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله بل لهم موعد وهو
يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجا يقال وال اذا نجا
ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم
لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا تلك مبتدا والقرى صفة لان
اسما الاشارة توصف باسما الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان
يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك
اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا
لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون
عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته
وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم
او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتيه لعبده

Copyright © King Saud University

وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه اخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلم وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم

الى الله

الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضا يوشع من

تلك العين فانتضح الما على الحوت فعاش ووقع في الما سربا امسك
الله جرية الما على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في
مثل السرب معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا فلما جاوزا الموعد
وهو الصخرة لفتيان موسى تفقد الحوت وما كان منه وفتيان يوشع
ان يذكر لموسى ما راى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة
الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع
حين جاوزا الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه
وقوله من سفرنا هذا اشارة الى سيرهما وراء الصخرة فان قلت
كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي
تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة
الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الما وانتصابه مثل
الطاق ونفوذها في مثل السرب منه كيف استمر به النسيان حتى خلفا
الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلم
الحوت قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل
مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله
عند موسى من العجائب واستانس باخوانه فاعان الالف على قلة الاهتمام
ارايت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التيام هذا الكلام فان
كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت
لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك
الغاية فدهش فطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني
اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة

التي

امره

التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الها في انسانيه اي وما
انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا
ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو
كونه شبيه السرب او قال عجبا في اخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية
تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل
ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك ذلك اشارة الى اتخاذه
سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقا
الخضر قرئ نبغ بغير يا في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو
واما الوقف فالاكثر فيه طرح اليا اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا
في ادراجهما فقصا يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او
فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما
يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب رشدا قرئ بفتحتين
وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني فان قلت
اما دلت حاجته الى التعلم من اخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشى
لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم قلت لا غضاضة بالنبي
في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير
انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى
وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله نفي استطاعة
الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك
بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان

نبيا

رجع ادراجه اذا رجع في الطريق الذي جاء منه

استعضبت منه اذا غضبت وشق عليك

نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك ويأخذ
في الانكار ° وخبر ا تمييز اي لم يحط به خبرك او لان لم تحط به
بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ° ولا اعصي في محل النصب عطف
على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او في لا محل عطفا على
ستجدني رجا موسى عليه السلم لحرصه على العلم وازدياده ان
يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلم عن حقيقة الامر فوعده
الصبر معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان
الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شي لا يطاق
هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امر الله بالمسافرة اليه واتباعه
واقتباس العلم منه بري من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين
وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم
° فلا تسئلني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت
مني شيا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت
في نفسك ان لا تفاتحني بالسوال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح
عليك ° وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع
فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها انهما
من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبيا
وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس
فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى
يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرى لتغرق بالتشديد
وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع ° جيت شيا امرا اتيت شيا

عظيما

عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهيا ادا امرا
° بما نسيت بالذي نسيته او بشي نسيته او بنسياني اراد انه
نسي وصيته ولا مواخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض
النهي عن المواخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره
في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل
الى الغرض كقول ابرهيم عليه السلم هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان
الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ° يقال رهقه
اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني ° عسرا من امري وهو
اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضا
وترك المناقشة وقرى عسرا بضمتين ° فقتله قيل كان فتل عنقه
وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه
بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فا
وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفا قلت جعل خرقها جزا
للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزا قال اقتلت
فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب
الركوب وقد تعقب القتل لقا الغلام ° وقرى زاكية وزكية
وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها
قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث ° بغير نفس يعني لم
تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب
اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان فكتب
اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل ° نكرا

قوله اولا احمل فيه نظر لانه اذا كان عطفا على ستجدني يكون في محل النصب لان ستجدني مقول القول ومقول القول منصوب والمعطوف على المنصوب يكون منصوبا قطعا ٥

ص قال ما فيه غميزه اي مطعن والمغموز المتهم والمغامز المعايب ٥

بلغوا اللجة

لعطف الفعل الماضي الجزا ٥

Copyright © King Saud University

وقرى بضمتين وهو المنكر قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس
واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا
انكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا
لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة
المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة
الثانية ۞ بعدها بعد هذه الكرة او المسألة ۞ فلا تصاحبني فلا تقارني
وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرى فلا تصحبني فلا تكن صاحبي
وقرى فلا تُصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك ۞ من لدني
عذرا قد اعذرت وقرى لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال
وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه رحم الله
اخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث
مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب ۞ اهل قرية هي انطاكية وقيل الابلة
وهي ابعد ارض الله من السماء ۞ ان يضيفوهما وقرى يضيفوهما يقال ضافه
اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره
من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه
كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا
يعرف لابن السبيل حقه ۞ يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة
والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي
في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس اذا اردن نصولا
يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان
ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول

اسم امراة

عزم السراج ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق
والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة
والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة
اذ قالت الانساع للبطن الحق يقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود
وشكا الي بعبرة وتحمحم ان يكذبني صادقا وهو صادق في
ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق وبعضهم
يابى على اجفانه اغفاءة هم اذا انقاد الهموم تمردا
ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا
قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن
لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم
الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده
الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان
ادخل في الاعجاز ۞ وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر
وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة
وقرى ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت
طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة ۞ فاقامه قيل
اقامه بيده وقيل مسحه وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار
في السماء مائة ذراع ۞ كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى
المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا
مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس
الحاجة ان قال لو اتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى

ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين

بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به

Copyright King Saud University

نتعيش به ونستدفع به الضرورة وقرى لاتخذت والثاني تخذ
اصل كما في تبع واتبع افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ
في شي **قال ولنت** هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما
عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلم ان سالتك عن شي بعدها
فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا
اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى
السوال الثالث اى هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق
بيني وبينك وقد قرا به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف
كما يضاف الى المفعول به **لمساكين** قيل كانت لعشرة اخوة خمسة
منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر **وراهم** امامهم كقوله ومن ورايهم
برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم
خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى **قال ولنت** قوله فاردت
ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن
السبب فلم قدم عليه قلت النية به التاخير وانما قدم
للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها
للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله
كل سفينة صالحة **فكان** ابواه مومنين على ان كان
فيه ضمير الشان **فخشينا** ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا
ان يغشي الوالدين المومنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما
بعقوقه وسو صنيعه ويلحق بهما شرا وبلا او يقرن بايمانهما طغيانه
وكفره فيجتمع في بيت واحد مومنان وطاغ كافر او يعديهما

بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان
وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وجل اعلمه بحاله واطلعه على سر
امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي
قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة
الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل
بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك **وقرى** يبدلهما بالتشديد والزكوة
الطهارة والنقاء من الذنوب **والرحم** الرحمة والعطف فروى انه
ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه
امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مومنا مثلهما
قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه
الحسين **واختلف** في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة
وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف
يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة
احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم
واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة **ولانه**
وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما
وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة
ابا وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام

جرى بينهما من حفظ الله الغلامين والان بصلاح ابيهما قال فاني
وجدي خير منه فقال قد انبأنا الله انكم قوم خصمون رحمة
مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما
وما فعلته وما فعلت ما رأيت عن امري عن اجتهادي ورأيي وانما
فعلته بامر الله ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا
قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر
وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله
الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور
والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من
ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا
يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء
حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت
له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احبه الله فاحبه وساله
ابن الكوا ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان
عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله
فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله
وقيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه
سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها
وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس
وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه
كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على

اي بختنصر

اي مكنه الله من كل شئ واقدره

١٣٢٠

راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما
يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس
لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان
وقيل ساله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين
من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه
سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم
او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ
وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا
وقرئ فاتبع في عين حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيه الحمأة وحامية
بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه
على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه
قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود
وطلحة وابن عمرو وابن عامر والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس
عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله
بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار
كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة
وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع
فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد
اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية
فجاز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله
بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة

Copyright © King Saud University

والاجتهاد في استمالتهم وقال اما من دعوته فابى الا البقا على
الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين واما
من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزا الحسنى وقيل خيره بين القتل
والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزا الحسنى فله ان
يجازى المثوبة الحسنى او فله جزا الفعلة الحسنى التي هي كلمة
الشهاده وقرى فله جزاءً الحسنى اى فله الفعلة الحسنى جزاءً
عن قتاده كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر
ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اى لا نامره بالصعب الشاق
ولكن بالسهل المتيسر من الزكاه والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر
كقوله قولا ميسورا وقرى يسرا بضمتين وقرى مطلع بفتح اللام وهو
مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله
كان مجر الرامسات ذيولها يريد كان آثار مجر الرامسات على قوم
قيل هم الزنج والستر الابنيه وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية
وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار
خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين
فسالت عن هولا فقيل بينك وبينهم مسيره يوم وليله فبلغتهم
فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف
لسانهم فقالوا له جيتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن
كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم
يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الما اذا هي فوق الما كهيئة
الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر

يجعلوا

يجعلوا يصطادون السمك يطرحونه في الشمس فينضج لهم
وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان
عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اى امر ذى
القرنين كذلك اى كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا
بما لديه من الجنود والالات واسباب الملك خبرا تكثيرا
لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي
جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنيه والاكنان من كل جنس
والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اى كما
بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب
عليهم يعني انهم كفره مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه
لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم بين السدين
بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرى بالضم والفتح
وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو
مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اى هو مما فعله الله وخلقه
والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على
انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافه في قوله هذا فراق
بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي
تستعمل اسما وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي
المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا
لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم
البكم وقرى يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه

Copyright King Saud University

لان لغتهم غريبة مجهولة ❊ ياجوج وماجوج اسمان اعجميان
بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرائه به الجوج وماجوج
وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل
والديلم ❊ مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل
كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله
صلى الله عليه في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر
من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا
الطول وقصار مفرطوا القصر ❊ وقرئ خرجا وخراجا اي جعلا
نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال ❊ وقرئ سدا وسدا
بالفتح والضم ❊ ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من
كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي
اليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما اتاني الله خير مما اتيكم
وقرئ بالادغام وبفكه ❊ فاعينوني بقوة بفعلة وصناع
يحسنون البناء والعمل وبالالات ❊ ردما حاجزا حصينا موثقا
والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع
قيل حفر للاساس حتى بلغ الما وجعل الاساس من الصخر والنحاس
المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما
بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار
صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه
ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ ❊

وقرئ سوى

ما مكنني

اراد البنائين

الزبرة القطعة من الحديد والجمع زبر

وقرئ سوى وسوى وعن رسول الله صلى الله عليه ان رجلا
اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سودا
وطريقة حمرا قال قد رايته ❊ والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين
لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين
بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة ❊ والقطر النحاس المذاب
لانه يقطر ❊ وقطرا منصوب بافرغ وتقديره اتوني قطرا افرغ
عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ائتوني اي
جيئوني ❊ فما اسطاعوا بحذف التا للخفة لان التا قريبة المخرج
من الطا وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرا بادغام
التا في الطا فملاق بين ساكنين على غير الحد ❊ ان يظهروه ان يعلوه
اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته
وثخانته ❊ هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة
على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته ❊ فاذا جا وعد
ربي يعني فاذا دنا مجي يوم القيمة وشارف ان ياتي جعل السد دكا
اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع
فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكا
بالمد اي ارضا مستوية ❊ وكان وعد ربي حقا اخر حكاية قول ذي
القرنين ❊ وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض
يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون
الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد
مزدحمين في البلاد وروي يانون البحر فيشربون ماه وياكلون

بنه

Copyright © King Saud University

1

دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس
ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله
نغفا اى اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم
وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها عن ذكرى عن آياتى التى ينظر
اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها
ونحوه صم بكم عمى وكانوا لا يستطيعون سمعا يعنى وكانوا صما
عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء
كانهم اصميت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادى
من دونى اولياء هم الملائكة يعنى انهم لا يكونون اولياء كما حكى عنهم
سبحانك انت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود افظن الذين
كفروا وقراءة على رضى الله عنه افحسب الذين كفروا اى افكافيهم ومحسبهم
ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان
اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل كقولك
أقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله
كما حسبوا وهى قراءة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل وهو
الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم
الرهبان عن على رضى الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب
وعن على رضى الله عنه ان ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء
وعن ابى سعيد الخدرى يأتى ناس باعمال يوم القيامة هى عندهم فى العظم
كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزنا فنزدرى بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا نقيم

لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات
من الموحدين وقرى فلا يقيم بالياء فان قلت الذين ضل
سعيهم فى اى محل هو قلت الاوجه ان يكون فى محل الرفع
على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا
على الذم او جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم
الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عادنى حبها
عودا يعنى لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم
وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى اى نعيم كان
فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفى التحول وتأكيد
الخلود المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج
من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم
الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان
تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد ايضا والكلمات غير
نافدة ومددا تمييز كقولك لى مثله رجلا والمدد مثل المداد
وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا
بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرى ينفد
بالياء وقيل قال حيى بن اخطب فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى
خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعنى ان
ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه
فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا
اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهى عن الاشراك بالعبادة

Copyright King Saud University

ان لا يرآى بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به
غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله
عليه اني اعمل العمل لله واذا اطلع عليه سرني فقال ان الله
لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران اجر
السر واجر العلانيه وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه
عليه السلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر
قال الريا ○ عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة
الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها
كلها كانت له نورا من الارض الى السما وعنه عليه السلم
من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه
نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملئكة
يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا
يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملئكة
يصلون عليه حتى يستيقظ

ولله الحمد والمنه واتفق الفراغ من كتبه بيد عبيد الله الفقير الى الله سعد بن
مسعود بن ابي سعد الحلواي وهو يحمد الله على نواله ويصلي على النبي واله وسلم
في اواسط شوال من سنه احدى وثلثين وسبعمايه عفر الله له ولوالديه

نظر في هذا الربع من اوله الى آخره وصححه بقدر الامكان صاحبه ...
احوج عباد الله الى رحمة ربه ...
بن المرحوم محمد بن الحسن ...

King Saud University
Copyright © King Saud University